مقدمة

الجزء الرابع

تلخيص لما سبق

اليك ، ايها القارىء الكريم ، الجزء الرابع من كتاب (النكبة) . ذلك الكتاب الذي سجلت فيه جميع الأحداث التي حدثت في فلسطين من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧) الذي وقـــع فيه آخر اتفاق من اتفاقات الهدنـــة (٢٠ تموز (يوليو) ١٩٤٩) .

●

ولا بد انك تذكر انني في الجزء الاول من الكتاب ، حدثتك عن فترة النضال الفلسطيني . تلك الفترة التي اعقبت قرار التقسيم .. يوم كان المناضلون الفلسطينيون يقاتلون اعداءهم اليهود وحدهم .. ولم تكن دولة (اسرائيل) قد قامت بعد .. ولا كانت الجيوش العربية قد وصلت الى البلاد : معارك ضارية .. واحداث جسام .. وقعت خلال تلك الفـــترة العصيبة من حرب فلسطين .. في القدس ويافا وحيفا .. وفي صفد وطبريا وعكا والناصرة وبيسان .. وفي غزة وبير السبع .. وفي اللد والرملة .. وفي القسطل ودير يس .. وفي الزراعة ومشمارهاعميك .. وفي الدهيشة وكفار عاصيون .. وفي مختلف السهول والوديان وفي كل ناحية من انحاء فلسطين ..

وفي ذلك الجزء فصول من مختلف فرق الجهاد : الجهاد المقدس .. وفرق التدمير .. ومنظمات الشباب .. وجيش التحرير .. وفصول اخرى عن مشاكل السلاح والقيادات .. وما الى ذلك من امور جرت قبل انسحاب الجيش البريطاني من البلاد .

وفي الجزء الثاني من الكتاب حدثتك يا أخي عن الفترة التي تلت انسحاب الجيش البريطاني من فلسطين ، وعن الجيوش العربية الستة : الاردني والعراقي والمصري والسوري واللبناني والسعودي .. متى اجتاز كل منها الحدود ؟ وعن اية طريق ؟ وما هي المعارك التي خاض غمارها ؟ وكيف انتهت تلك المعارك ؟ ولماذا انتهت الى انتهت اليه : في كيشر وكوكب

الهوى .. وفي سمخ ودجانيا . وفي الدنقور ويدمردخاي وكفارنتسناليم .. وفي اللطـــرون وباب الواد .. وفي كل مواضع القتال ..

وهناك وصف مسهب للمعارك التي وقعت في الحي اليهودي من مدينة القدس وفي غيره من أحياء المدينة .. وما حولها من قرى ومستعمرات وضياع .. وفصول عن الاخوان المسلمين وما خاضوه من معارك ، لا سيا في كفارداروم ورامات راحيل .. وعن جيش الانقاذ وقادته ، ومعاركه .. ثم انسحابه من البلاد .

وفي الجزء الثالث منه حدثتك عن الهدنة الاولى والمعارك التي سبقتها .. لا سيما تلك التي وقعت في جنين وقاقون وفي انحاء أخرى من قطاع السامرة .. وفي قطـاع القدس .. وعن القرار الذي أصدره مجلس الأمن من أجل فرض الهدنـــة .. كيف تمت الهدنـــة ؟ وكيف كان وقعها عند الفريقين ؟ وما هي التدابير التي اتخذها كل فريق قبل أن يستأنف القتال ؟

وفي ذلك الجزء فصول مسبة عن المعارك التي وقعت بعد استئناف القتال لا سيما في اللد والرملة .. وفي الشجرة والناصرة .. وفي مختلف انحاء البلاد .. وعن الهدنة الثانيـــة .. ووقعها في فلسطين وفي سائر انحاء العالم العربي .. وعن المساعي الفاشلة التي بذلها الوسيط الدولي من اجل اقامة سلم دائم في البلاد .. وعن التقرير الذي رفعه الوسيط الى مجلس الامن .. ذلك التقرير الذي اقترح فيه تعديل قرار التقسيم الاول بشكل اقرب الى مصلحة العرب ، وقد أدى ذلك الى اغتياله من قبل اليهود .

وفيه حدثتك عن مؤتمر القاهرة .. ذلك المؤتمر الذي كشف فيه الرؤساء العرب من وراقهم ، فاعترفوا بعجزهم عن مقاتلة اعدائهم .. وما كادت اخبارهم تصل الى اليهود - ولسنا ندري كيف وصلت ؟ .. - حتى قام هؤلاء بهجومهم على النقب .. فسقطت المجدل .. وحوصرت الفالوجة .. ثم سقطت بير السبع .. ومضى اليهود قدما في زحفهم عبر وادي العربة حتى احتلوا المرشرش ، وركزوا علم اسرائيل على شاطىء البحر عند خليج العقبة .

كل هذا تقرؤوه باسهاب في الجزء الثالث من الكتاب .

❁

واما في هذا الجزء الذي اضعه بين يديك ، وهو الرابع من كتاب (النكبة) ، فساحدثك

ايها القارىء الكريم ، عن معارك النقب الأخيرة .. وعن موقف كل جيش من الجيوش العربية في تلك المعارك .. وعن مؤتمر اريحا .. وضم الجزء الباقي من فلسطين الى الاردن . وعن الاختلافات التي اشتعلت بين الدول العربية في وقت كان العرب في اشد الحاجة الى الاتفاق والوحدة ..

وفيه فصول مسهبة عن الجيش العربي وتاريخه منذ تكوينه الى ان وقع القتال .. وعن الجيش وانسحابه من البلاد ..

وعن قيام دولة (اسرائيل) .. وعـن تاريخ الهاغانـا والارغون وشترن وحيروت وسائر الاحزاب والمنظمات اليهودية ..

وعن المساعي التي بذلها الوسيط الدولي مـن اجل اقناع الدول العربية للتفارض مع اسرائيل .. واتفاقات الهدنة الدائمة التي عقدت في رودس بين اربع مـن تلك الدول واسرائيل .. وعن كارثة المثلث .. وخسائر العرب في الارواح والاراضي والممتلكات .. مؤيداً ذلك كله بالاسماء والوثائق والارقام ...

فاذا كنت قد أصبت المرمى في سردي للوقائع ، كان ذلك ما أبغي . والا فرجائي اليك ان ترشدني إلى خطئي ... عاذرا لا عـاذلا .. فان أعـدل الناس أعذرهم للناس .. والعصمة لله وحده .

١ كانون الاول ١٩٥٩ عارف العارف

لماذا تأخر الجيش العربي في زحفه صوب القدس ؟

فيما كانت المعارك الطاحنة قائمة على أشدها خارج اسوار القدس، وكان الجيش البريطاني قد انسحب من المدينة في اليوم الرابع عشر من شهر ايار ١٩٤٨ راح النـــاس يتساءلون : لماذا لم يأمر الملك عبد الله جيشه بالزحف صوب القدس؟ وكان قبل ذلك يقول للمجاهدين من ابنائها كلما قصدوه مستنجدين : « انا لا استطيع أن اسوق جيشي الى اي جزء من فلسطين قبل انتهاء الانتداب في ١٥ ايار ... »

ولما انتهى الانتداب وانسحب الجيش البريطاني من البلاد ، اشرأبت اعناق الفلسطينيين عامة والمقدسيين خاصة ، نحو عمان ومن فيها ، لعلهم يرون ولو كتيبة واحدة تزحف صوب القدس ، لتنقذها ، وكانت القدس يومئذ على وشك السقوط . وكان المناضلون من ابنائها قد استنفدوا معظم ما كان لديهم من عتاد . ووقفوا عند الابواب وعلى الاسوار يدفعون عادية اليهود عن مدينتهم بما كان قد تبقى بايديهم من عتاد يكاد لا يبل الغلة .

ولكن عمان وقفت ، حتى بعد انسحاب البريطانيين مـن القدس ، صامتة .. لا تحرك ساكناً .. فاستغرب المقدسيون هذا الصمت . وراحوا يستغيثون. ولكن صيحات الاستغاثة التي ارسلوها ذهبت مع الريح . وظل الصمت مسيطراً على عمان ومن فيها حتى اليوم السابع عشر من شهر ايار . حيث بدأ الملك يظهر حماساً لنجدتها. فأصدر أمره الشفوي إلى رئيس الأركان غلوب باشا طالباً اليه ان يزحف بجيشه صوب القدس . وأتبعه بعد ذلك بأمر خطي طالباً منه ان يرفع اليه تقريراً بالوقت الذي يتحرك فيه الجيش . ذلك لأن سمعته (اي سمعة الملك) كانت قد انحطت إلى الحضيض ، ليس في القدس فحسب ، بل وفي أنحـــاء العالم العربي كله .

ولكن الامر بتحرك الجيش لم يصدره رئيس الاركان إلا في مساء اليوم الثامن عشر من ايار . ودخل الجيش المدينة في صباح اليوم التاسع عشر .

ولم يكن ثمة اي ريب في ان رئيس الاركان غلوب باشا قد فعل ما فعل وامر الجيش بالزحف صوب القدس مكرها . وحجته في ذلك ما قاله في الصفحة ١٠١ من كتابه :

« إنا إذا زحفنا صوب القدس ، وجب علينا استعمال نصف الجيش الذي نملكه ، وإذا ما فعلنا ذلك استحال علينا ان نحتفظ بالقسم الباقي من البلاد . واذاما احتل اليهود الاقسام الاخرى فان القدس ستسقط حتماً دون قتال . ذلك لانه سيصبح بامكانهم (اي اليهود) ان يطوقوها ... » هذا ما قاله غلوب في جوابه الخطي الذي ارسله إلى الملك .

وفي مواضع اخرى من كتابه ذكر الاسباب الاربعة التالية لتردده . قال : (١)

اولا : ان المندوب السامي السر الن كانغهم كان قبل نهاية الانتداب بشهر واحدتقريباً اقنع الفريقين المتقاتلين في مدينة القدس كي يمتنعا عن القتال . وقد نجح في عقد هدنة قبلها الفريقان . وكان لا بد من احترام تلك الهدنة .

ثانياً : طهر الجيش العربي الذي كان يريد ان يتجنب الدخول في قتال في مدينة القدس خشية ان تصاب الاماكن المقدسة باذى .

ثالثاً : ان المنطقة التي كان على الجيش العربي ان يحتلها كبيرة . انها واسعة طولها مئة وستون ميلا . وما كان لدى الجيش من القوة ما يكفي للاحتفاظ بها .

رابعاً : حتى لو تمكن الجيش العربي من انزال نصف قواته الى ميدان القتال في المدينة فان النصر ما كان مضموناً . لان جنودنا واكثرهم من البادية ماكانوا خبيرين في حرب الشوارع . واما اليهود فكانوا اكثر عدداً واكثر خبرة في هذا المضمار .

هذا ما قاله غلوب الذي كانت بيده مقاليد الجيش العربي في ذلك اليوم . ومنه يفهم ان المسؤول عن النكبة التي حلت بمدينة القدس ، وعدم انجادها هو فانه لم يعرها اهتماماً كافيا ، ولم ينجدها في الوقت المناسب . وكان من الواجب الاسراع في الزحف صوب القدس لعدة اسباب منها ما هو ديني ومنها ما هو استراتيجي بحت. فالقدس مدينة لها قيمتها من الناحية الدينية لوجود الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية فيها. ان سقوطها بيد اليهود يمنحهم قوة معنوية لا تقدر في نظر العالم الخارجي . اضف الى ذلك انها لو سقطت بايديهم لتمكنوا من شطر القطاع العربي الى شطرين : شطر يضم جبل الجليل وما حوله من مدن وقرى عربية . وآخر يضم لواء السامرة . وكلا الشطرين في حالة انفصالها ، يتعرضان لخطر السقوط . ولا سيا جبل الخليل الذي سيصبح محاطا باليهود من كل ناحية وستصبح الطريق بين القدس والاردن ممهدة امام اليهود ، فيقطعون كل اتصال كان بين ضفتي الاردن. حتى ان غلوب نفسه قال في موضع آخر من كتابه(٢) « ان لمدينة القدس أهمية خاصة ليس فقط من الناحية الادبية والدينية ، بل من الناحية العسكرية ايضاً . ذلك لان مفتاح الطريق المؤدية الى الاردن اذا تمكن اليهود من احتلالها يصبح باستطاعتهم ان يسيروا قدماً حتى يبلغوا اريحا . وفي تلك الحالة يتأزم الوضع العسكري في فلسطين كلها تأزماً تاماً . واذا تمكن اليهود من الوصول الى جسر اللنبي على نهر الاردن، اصبح بامكانهم ان يقطعوا على الجيش العربي خط

«١» اقرأ الصفحة ٩٨ من كتابه A soldier With the Arabs

«٢» ص ١٠٧

رجوعه الى الوراء ، ويحولوا دون وصوله الى قواعده وراء ذلك النهر . وهناك هي الطامة الكبرى . » .

ولكنه ، على الرغم مما تقدم، بقي خمسة ايام صحاح صاماً اذنيه لقاء استغاثات المناضلين من ابناء بيت المقدس . ولم يعر رغبة المليك التفاتاً . وبدلا من ان يأمر الجيش بالزحف صوب القدس ، راح يحث الملك وحكومته كي يعملا على احترام الهدنة التي فرضها المندوب على الفريقين المتقاتلين في المدينة قبل رحيله . واتباعا لنصحه راح الملك يحث لجنة الهدنة القنصلية كي تفرض ارادتها !.. على الفريقين بوقف القتال .

وعبثاً حاولت تلك اللجنة ان تفرض ارادتها. فقد قضت طوال اليوم الخامس من عشر شهر ايار في اتصال تلفوني ، تارة مع هذا الفريق وطوراً مع ذاك . ورغم انها اخبرت الملك عن طريق احد اعضائها ، وهو قنصل البلجيك في القدس ، انها على اتصال باليهود ، وان املها وطيد بأن الوضع سيتحسن (؟) في اليوم التالي ، إلا انها لم تصب اي نجاح في مسعاها .

ولم يكن اليهود ، في الحقيقة ، راغبين في وقف القتال بمدينة القدس . ذلك لأنهم رأوا قبل يومين الجيش العربي الذي كان يرابط في معسكر العلمين بالبقعة الفوقا من المدينه وقد انسحب منها ، وان المناضلين كانوا قد استنفدوا كل ما لديهم من عتاد ومن يدري ؟لعلهم كانوا ايضاً على علم بقرار رئيس الاركان وعدم استعداده للزحف صوب القدس .اذاً فكل شبر يحتلونه من اطراف المدينة هو ربح لهم .

وهكذا انقضت الايام الخمسة الاولى ـ وهي التي أسميناها نحن ابناء بيت المقدس ـ بالايام الحمراء ، دون ان تنجد المدينة . وقد ظل القتال فيها مستمراً .. وبعنف ... وراح الناس يسبون غلوب ... وجيشه ... والملك الذي رضي ان يكون آلة بيد الاستعمار والمستعمرين ..

ولما بلغ هذا السب مسامع الملك ، بعث الى رئيس اركانه رسالة باللاسلكي ، يأمره فيها بالزحف صوب القدس من ناحية رام الله وكان ذلك (اي صدور الامر) في تمام الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين من صباح اليوم السابع عشر من شهر ايار ١٩٤٨

وبعد نصف ساعة تلقى رئيس الاركان رسالة برقية من وزير الدفاع قال له فيها : «ان الملك مهتم جداً بمصير القدس وان جلالته يأمر بانقاذها على ان تزحف من ناحية رام الله قوة تسندها المدافع .ان هجوماً كهذا من شأنه ان يخفف عن المناضلين عبء اليهود الذين وصلوا الى الابواب يقصدون احتلال المدينة . وقد يحدوهم الى قبول الهدنة . ان قنصل البلجيك الذي جاء الى عمان اليوم وتحدث الى جلالة الملك في موضوع الهدنة ، يعتقد ان عملا كهذا

من قبلنا قد يخيف اليهود ويجعلهم اقل عناداً !.. وجلالته بانتظار خبر منكم يؤيد تنفيذالامر وتحرك الجيش بسرعة ... »

كل مافعله رئيس الاركان يومئذ انه امر بأن تقترب النقاط العسكرية الامامية اكثر قليلاً من ذي قبل صوب القدس من ناحيتها الشمالية . ووضع مدفعين من مدافع الجيش من عيار خمسة وعشرين رطلا في مواضع تساعد على دعم الزحف عند صدور الامر !.. وعلى الرغم من وجود سريتين من المشاة يومئذ على جبل الزيتون وهماالسرية الاولى والثانية فانه لم يأمر بزحفهما . ذلك لانه على حد قوله ــ كان لا يزال يأمل (؟) ان يقبل اليهود الهدنــة !.. وكان لا بد من اتخاذ بعض التدابير الفنية (؟) لتركيز القطعات المبعثرة !.. وفيما كان ينعم النظر في الوضع راح يسأل نفسه (١) « عما اذا كان المناضلون مــن ابناء القدس يستطيعون الصمود اربعا وعشرين ساعة اخرى ؟!..»

وعندما زار مقر الفرقة في صباح اليوم التالي (١٨ ايار) ليدرس الوضع بالاشتراك مع قائدها ، علم ان المناضلين اصبحوا منهوكي القوة ، وانهم على وشك الفشل ، وان رجــال (البالماخ) يكادون يقتحمون المدينة . وانهم (اي اليهود) يستعملون في قتالهم مدافع قوسية (مورتر) وسيارات مصفحة عندئذ (وعندئذ فقط!)(٢) ايقن انه لافائدة ترجى من المساعي التي بذلت من اجل اقناع اليهود بقبول الهدنة . وشعر بتكبيت الضمير، معترفاً انه هو المسؤول عن هذه النتيجة ، اذ انه ظل يماطل الملك وحكومته ثماني واربعين ساعة !.. والحقيقة انـه ماطلهم اربعة ايام صحاح ، وليس ثماني واربعين ساعة فحسب . وفي غضون تلك الايام (الحمراء) فقد العرب مرتفعاتهم الاستراتيجية في المدينة. ولكنه رغم هذا الاعتراف بالمسؤولية وتبكيت الضمير ، لم يفعل شيئاً سوى انه امر بارسال احدى السريتين اللتين قلنا أنهما كانتا ترابطان على جبل الزيتون فراحت السرية الاولى تزحف صوب القدس عبر الطريق التي تمر بين كنيستي الجثمانية وسانتا مريم ، ودخلت المدينة من باب الاسباط .

ان وصول هذه السرية الى القدس وان كان قد انعش المناضلين من ابنائها الا انه لم يغير من وضعها الحربي شيئاً . اذ ان عدد المقاتلين فيها ما كان يجاوز المئة . وكل ما فعلته انهــا تمكنت من اغلاق (باب النبي داود) وسده سداً محكماً بالحجارة والاسلاك الشائكة . ذلك الباب الذي تركه رجال جيش الانقاذ مفتوحاً ، بعد انسحابهم من ذلك الحي .

ورغم وصول هــذه السرية بقيت كفة اليهود هي الراجحة . ولهذا اوعز غلوب الى

«١» اقرأ السطر الاخير من الصفحة ١١٠ من كتابه A. S. W. the A.

«٢» اقرأ ما قاله هو نفسه عن هذا البطل من السطرين ٢٢و٢٣ من الصفحة ١١١ من كتابه A S.W. the A.

مساعده عبد القادر باشا الجندي . فابرق هذا الى القاوقجي طالباً (؟) انجاد القدس . وفي البرقية التي ارسلها اليه الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح اليوم الثامن عشر قال:

من عبد القادر الجندي الى فوزي القاوقجي

« مستعجل جداً . القدس في ضيق شديد . على وشك الانهيار . هل باستطاعتكم نجدتنا باقرب وقت واقرب طريق . »

عبد القادر

وفي اليوم نفسه ، وبعد اربعين دقيقة ارسل فاضل عبد الله آمر الحامية برقية الى القاوقجي جاء فيها :

« الحالة خطرة . العدو يقوم بهجوم عليه في قطاعات المدينة . المدفعية تقصف بشدة من كل ناحية يجب ان تصلنا النجدات والا فصيرنا الفناء .. الفناء.. اؤكد لكم الفناء وسقوط المدينة . القنابل تسقط في الحرم »

آمر حامية القدس . فاضل

وبعد ذلك بساعة وخمس وعشرين دقيقة ابرق آمر الحامية مرة اخرى يقول :

« ازدادت الحالة سوءاً . المدفعية تقصف الحرم. وا أسفاه على المدينة المقدسة. ازحفوا لانقاذ الموقف . الارواح تنتظر نجدتكم السريعة .

وكذلك فعل آمر الحامية مع الملك عبد الله وقيادة الجيش العربي في عمان .

عندئذ ! .. وبعد خراب البصرة ! .. تفضل(؟)رئيس الاركان .. غلوب باشا.. فاصدر امره الى زميله .. لاش باشا .. ان يزحف صوب القدس .. وان يهاجم حي الشيخ جراح مع طلوع فجر اليوم التالي (١٩ ايار) على ان تزحف السرية الثامنة من جبل الزيتون فتدخل المدينة عن طريق (وادي قدرون) وتشترك مع اختها التي سبقتها (السرية الاولى) في الدفاع عن المدينة القديمة .

ويقول رئيس الاركان انه لم يستطع ان يمد القدس يومئذ باكثر مما تقدم . ذلك لأن كتائب الجيش وسراياه الاخرى كانت تقوم بواجباتها الدفاعية من انحاء فلسطين الاخرى وما كان من السهل حشدها وجمعها في صعيد واحد ومن وقت قصير جداً ؟ ! ..

هذا ما علمناه عن البطء الذي وقع ، من حيث تأخر الجيش العربي في زحفه صوب القدس . ولو زحفت قبل ذلك بخمسة ايام، لما ألم بها ما ألم .. ولما بقيت ممزقة كما هي الآن

فهل كان الجيش العربي حقاً من القلة والضعف بحيث لم يستطع ان يقوم بواجبة ، ام كانت هناك دوافع اخرى جعلته يقف عند حده . هذا ما سنبحثه في الفصل القادم .

وكذلك قل عن مبدأ (التقسيم) نفسه..وأعني به تقسيم فلسطين كلها بين العرب واليهود فسنذكر لك في السطور التالية ما علمناه عنه وعن موقف الملك عبد الله عنه ورجـــاله في الفصول التالية .

الجيش العربي

نبذة تاريخية عنه منذ تكوينه (١٩٢٢) الى ان وقع القتال (١٩٤٨)

كانت بلاد الاردن في القرون الاربعة الأخيرة ، جزءاً من السلطنة العثمانية. وظلت تابعة لسلطان العثمانيين من عام ١٥١٧ الى عام١٩١٧ . ولما تقلص ظل الدولة العثمانية عن هـذا الجزء من الشرق وتخلص العرب من حكم الأتراك اثناء الحرب العـــالمية الاولى (١٩١٤ ــ ١٩١٧) عاش الاردن بمدنه وقراهوعشائره في حالة يرثى لهامن التفكك والفوضى.لايجمعها جامع . يسيطر على كل جزء من اجزائه المتناثرة بريطاني مـــن الحكام الذين سيطروا على الضفة الشرقية من نهر الاردن ، كما سيطر زملاؤهم البريطانيون الآخرون على الضفةالغربية (فلسطين) .

وفيما كان البريطانيون يعملون على تمهيد السبيل في فلسطين ، لجعلها وطناً قومياً لليهود، راح زملاؤهم فيما وراء الاردن يحكمون البلاد حكما عسكرياً اوتوقراطياً تكاد لا تعرف له لوناً معيناً . وبقوا على ذلك الحال ثلاث سنين : من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٠ م

ولما نادى (المؤتمر السوري) المنعقد في دمشق بالامير فيصل بن الحسين ملكا على سورية من طوروس الى رفح . وكان ذلك في شهر آذار سنة ١٩٢٠،وكان بين اعضاء ذلكالمؤتمر اردنيون ، فقد اعتبر (الاردن) ايضا جزءاً من سوريا .

ولكن استقلال سوريا تحت حكم فيصل لم يدم اكثر من بضعة شهور . فقضي عليه . عندما غزا الجنرال غورو دمشق ، واحتل الجيش الافرنسي سوريا كلها (١٩٢٠) ولما جاء الامير عبد الله بن الحسين من الحجاز قاصداً محاربة الافرنسيين ، اقنعه الانكليز بالبقاء في الاردن وعدم التحرش بفرنسا . فنزل عند رغبتهم. وبقي في الاردن . مؤسسا فيه امارته (١٩٢٢) . وقد اتخذ عمان عاصمة له .

كانت هناك ، في مستهل عهد الامارة ، قوة صغيرة من رجال الدرك لحفظ الامن في الداخل اسموها : (قوة البادية) . وكان عدد رجال تلك القوة ، في بدء تكوينها ، لا يتعدى الالف . يقودهم ضابط بريطاني اسمه . (فريدريك بك) . وكان هذا يتصرف بقوة البادية كما يشاء . ذلك لأن المال الذي ينفق عليها وعلى قادتها وعلى عدد آخر من البريطانيين الذين اشغلوا المناصب الادارية العليا ،كان يأتي معظمه من الخزانة البريطانية . وكان هذا المبلغ

يدخل الميزانية في فصل اسموه : (الاعانة البريطانية) .

واني لذاكر الآن ان هذه الاعانة كانت خلال عام ١٩٢٦ عبارة عن اربعين الف جنيه، وان الشطر الاكبر منها كان يذهب الى جيوب البريطانيين الذين فرضوا انفسهم - وبعبارة افصح فرضتهم بريطانيا - على الاردن : مثل فريدريك بك قائـــد قوة البادية . وجون باغوت غلوب مساعده (وقد تولى القيادة من بعده). والمستر كركبرايد المستشار المـالي . والمستر سيتون المستشار القضائي . وغيرهم كثيرين . وما كان لأحد من الموظفين الاردنيين سواء في ذلك العسكريون او المدنيون ، لا ، ولا الامير نفسه او رئيس وزرائه ، ان يطلع على ميزانية قوة البادية او يسأل كيف تصرف الاعانـــة البريطانية ؟ وما كان البريطانيون يسمحون باذاعة اخبار تلك القوة . وكل ما كان يعرفه الناس - والحكام ايضا ! .. - ان الاعانة البريطانية تنفق في سبيل الدفاع ؟! .. وان البريطانيون ينوون خلق جيش عربي كبير من القوة التي اسموها : قوة البادية ! .. وكثيراً ما سمعنا ان تلك القوة بلغت (؟) او كادت تبلغ عشرة آلاف مقاتل ! . مع ان تلك القوة مازادت ، خلال السنوات التي انقضت بعد تأسيس الامارة (اي بين سنة ١٩٢٢و١٩٣٨م) على الف مقاتل. ولما تحرج الموقف الحربي في شمال افريقيا اثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٢) ودحر الالمان البريطانيين حتى العلمين ، وكان هؤلاء في حاجة الى العون ؛ لم يروا مناصا من تقوية الجيش العربي. فرفعوا عدد رجاله في ١٩٤١ الى ١٣٥٠ ثم ازداد هـــذا العدد فاصبح في سنة ١٩٤٥ ثمانية آلاف مقاتل (١) . وكان هؤلاء يزودون بالزاد والعتاد من مخازن الجيش البريطاني .

وكانت لدى غلوب الذي تولى قيادة هذا الجيش بعد بيك اوامر عليا (لا مـــن الامير عبد الله بل من القيادة البريطانية في القاهرة) تقضي بألا يعتدي الجيش العربي على اليهود ، ما دام الانتداب قائما في البلاد، حتى ولو كان ذلك على سبيل الاخذ بالثأر . حتى انغلوب نفسه لم ينبس ببنت شفة عندما مر يوما من امام مستعمرة (النبي داود) على طريق القدس - رام الله ، ورأى بعينه اليهود وهم يطلقون النار من مدافعهم الرشاشة على السيارات العربية وكان لا بد لهذه السيارات من اجتياز تلك الطريق ، اذا ما كانت قاصدة القدس او رام الله او نابلس .

يقول غلوب الذي اشار الى هذا الحادث الذي جرى قبل نهاية الانتداب انه لم يستطع ان يفعل شيئا ، لأن الجيش العربي كان قد امر بألا يعتدي على اليهود حتى ولو كان ذلك على سبيل الانتقام والاخذ بالثأر ! .. وقد سمع الجندي العربي الذي كان يرافقه وهو يلعن

«١» هذا ما قاله غلوب باشا في الصفحة ٩٠ من كتابه A Soldier With the Arabs

هذه الايام التي يرى فيها المرء امرأة وطفلا من ابناء بلاده يموتان دون ان يحرك ساكنا ! .

والغريب في الأمر ان عدد رجال الجيش عـــاد فانخفض خلال عام ١٩٤٨ ، الى ستة آلاف مقاتل . وقد تم هذا التخفيض في وقت كانت البلاد تتقلى فيه على احر مـن الجمر . وكانت في حاجة الى مقاتلين . وما كان شيء مـــن ذلك ليتم ، لولا ان بريطانيا ــ وهي صاحبة الحل والعقد في تلك الفترة من الزمن ـــ كانت تريد ان تحول دون اتساع رقعةالقتال بين العرب واليهود . يدلك على ذلك ان رئيس الاركان غلوب باشا أصدر ،قبل الانتداب بقليل ، وبناء على تعليمات تلقاها من لندن،اوامره الى جميع قطعات الجيش العربي التي كانت ترابط في القدس ويافا وحيفا وصرفند وفي سائر انحاء فلسطين (١) كي تنسحب الى ما وراء نهر الاردن . واستغرب الفلسطينيون صدور هذه الأوامر في مثل تلك الآونة الحرجة مـــن القتال . وراحوا ينشدون الضباط العرب مـــن قادة هذه القطعات كي يبقوا في اماكنهم ويساعدوهم في بلوائهم . وكاد هؤلاء الضباط يبكون اشفاقــاً على اخوانهم . ولكنهم لم يستطيعوا اجارتهم . اذ لم يكن لهم بد من الانسحاب نزولا عند اوامررؤسائهم وانسحبوا. وقد تم انسحابهم في شهر نيسان ١٩٤٨ . والغريب ان امر الانسحاب كان يقضي بتجمع الجنود المنسحبين كلهم في (الزرقاء) البعيدة عن حدود فلسطين زهـــاء مئة كيلو متر ، لا في الشونة مثلا ، او في اي مكان آخر قريب من تلك الحدود ، بحيث يمكن الاستعانة بهم عند الحاجة بسرعة .

إلا سرية واحدة هي السرية الثانية عشرة التي كانت ايام الانتداب ، تعسكر في جنوب فلسطين .. بين غزة ورفح . فانها لم تنسحب . اذ كان عليها ــ اذا ما ارادت الانسحاب ان تجتاز طريقاً(٢)يسيطر عليهااليهود المرابطون في مستعمرة (كفار عصيون) والمستعمرات الأخرى المجاورة لها. وكثيراً ما ازعج هؤلاء اليهود العرب المارين من هناك باعمال قناصتهم

أضف الى ذلك ان الجيش العربي كان في حاجة لتلك الطريق مـــن اجل تأمين المؤن والذخائر التي كانت ترسل اليه من مستودعات الجيش البريطاني في (فايد) من اعمال مصر. ولا سيما في الاسبوعين الأخيرين ، عندما طلب البريطانيون الىغلوب باشا ان ينقل مايستطيع نقله من تلك المستودعات قبل انتهاء الانتداب .

---

(١) كان هناك في فلسطين عدد من سرايا الجيش العربي ،امرت بان ترابط في فلسطين اثناء الحرب العالمية الثانية «١٩٣٩ - ١٩٤٢م» عندما سيق الجيش البريطاني المرابط في فلسطين الى الحدود المصرية ليرد عادية الالمان وكان هؤلاء « اي الالمان » قد ضيقوا الخناق على البريطانيين ووقفوا على الحدود عند « العلمين » وكادوا يهزمونهم .

(٢) هي الطريق التي تربط عوجا الحفير على حدود سيناء ـ بئر السبع ـ والخليل ـ والقدس ـ وعمان .

وكذلك قل عن السرية التي كانت ترابط في حيفا . فانها أمرت بالبقاء حيث كانت . لأن البريطانيين كانوا في حاجة اليها من اجل تأمين انسحاب البقية الباقية من جنودهم عندما يحين في اللحظة الأخيرة الرحيل عن البلاد كلها .

هكذا كان الجيش العربي في آخر عهد الانتداب ، وقبل رحيل الجيش البريطاني عن البلاد ستة آلاف مقاتل ، غير مسلحين تسليحا يدعو الى الارتياح . ولم يتخذ قائده من التدابير ما يدل على انه كان يريد فعلا تقويته ، واعداده لخوض غمار القتال . مع ان الناس جميعا كانوا يتوقعون نشوب القتال في فلسطين . وفي تبرير موقفه هذا قال غلوب في موضع كتابه ما يلي بالحرف الواحد (١) :—

« ما كدنا نعلم ان بريطانيا تنوي الانسحاب من فلسطين ، حتى رحنا نشعر بضرورة البحث عن السلاح والعتاد اللذين يحتاج اليهما الجيش . ولكنا مع ذالك ، لم نكن لنتوقع ان الوضع سيصل الى ما وصل اليه من سوء في البلاد بسبب قرار التقسيم (؟؟!..) وما أدركنا خطورة الموقف إلا في شهر آذار ١٩٤٨

عندئذ رحنا نبحث عن السلاح والعتاد . ولم يكن في مقدور (؟) بريطانيا أن تعطينا ما نطلب دون ان ندفع ثمنه ، ولم يكن بأيدينا من المال ما يكفي لدفع الثمن . »

ويقول غلوب انه على الرغم مما تقدم ارسل هو القائد العام للقوات البريطانية المرابطة في الشرق الأوسط رسالة شخصية (؟) رجاه فيها ان يرسل اليه عن طريق العقبه انواعاً معينة من الاعتدة ، وان القائد العام نزل عند طلبه وارسل اليه مطلوبه على ظهر سفينة بريطانية غادرت السويس في طريقها الى العقبة . ولكن هذه السفينة اوقفتها الحكومة المصرية قبل ان تترك القناة ، واستولت على ما فيها من عتاد (٢)

ويقول غلوب انه ابرق الى القائد العام مرة اخرى يرجوه ان يرسل له سفينة اخرى ، وان السفينة شحنت بالعتاد المطلوب . ولكنها قبل ان تبحر اصدرت هيئة الأمم المتحدة اوامرها بحظر تصدير السلاح من اي نوع كان الى الفريقين المتحاربين، وهكذا فشل الجيش العربي في الحصول على العتاد الذي كان في اشد الحاجة اليه ...

ولما سئل غلوب : لماذا لم يعمل على شراء الاسلحة من اي مصدر آخر وبطرق كالطرق التي كان اليهود يلجأون اليها من اجل تسليح رجالهم . اعتذر قائلا : انه ما كان يملك من المال ما يكفي لمثل هذا العمل .

---

(١) اقرأ الصفحة ٩١ من كتابه A. S. W the A.

(٢) لم يقل لنا غلوب ما هو نوع العتاد الذي صادرته الحكومه المصرية ومقداره ، لنعلم فيما اذا كانت حجة الصاحب «؟» مقبولة في ان العتاد المصادر كان ذا اثر عميق في مجري القتال من الناحية الاردنية !..

ومما قاله غلوب في هذا الصدد انه عندما شعر بالخطر وايقن ان القتال بين العرب واليهود واقع لا محالة ، واجه بوصفه رئيساً للأركان ، توفيق باشا أبا الهدى رئيس الوزراء ، وسأله عن التدابير المالية التي اتخذها لمواجهة خطر الحرب . فقال له ابو الهدى انه لا يستطيع ان يضيف الى ميزانية الجيش اي مبلغ جديد !.. وان عليه (اي على غلوب) ان يتصرف كما يشاء بالمبالغ المخصصة للجيش في تلك الميزانية !.. ولما لفت رئيس الاركان نظر الباشا الى ان الميزانية التي وضعت في ايام السلم لا تفي بالغرض المطلوب في ايام الحرب ، قال له هذا بشيء من المرارة : «على الذين يريدون القتال ان يتكبدوا ما يحتاج اليه القتال من نفقات!» وقد اضاف الى ما تقدم قوله انه ليس ثمة في خزانـــة الدولة اي مبلغ احتيـــاطي يستطيع الاستغناء عنه !..

ويقول غلوب ، عندما اشار الى هذا الحديث في الصفحة ٨٢ من كتابه انه راح عندئذ يضرب اخماساً بأسداس ، ويقول لنفسه : كيف تطالب الحكومة الاردنية مني الدخول في القتال ، وهي لا تملك شروى نقير ؟! .. هـــذا ما قاله في كتابه . وحبذا لو انصف اكثر قليلا وقال لنا : كيف كان هو يتصرف بالمبالغ الضخمة التي وضعتها بريطانيا تحت تصرف تلك الحكومة (واشرافه هو) وقد بلغت الملايين من الجنيهات (١) ؟!.. ولمـــاذا كان يبعثر تلك المبالغ ذات اليمين وذات اليسار على الاعوان والانصار ؟!.. من اجل غايات لاتسمن ولا تغني من جوع .. واين انفقت تلك المبالغ التي لم يتنازل (؟) لاعطاء حساب (؟) عنها السلطات المـــالية المسؤولة في الدولة ؟!. واين هو الجيش العربي الكبير الذي كان صاحبنا يباهي به وبأسلحته ونظامه وقدرته على العمل امام الناس وفي كل صبح ومساء ؟!..

واما الحقيقة التي لا ريب فيها فهي ان الحكومة البريطانية في لندن ، وممثليها في فلسطين والأردن ، ما كانوا يريدون تقوية الجيش العربي . لا ، بل انهم عملوا على اضعافه . ذلك لأنهم كما سبق وقلنا ــ ما كانوا يريدون ان تتسع رقعة القتال في فلسطين . بل كانوا يريدون تنفيذ القرار الذي وضعته هيئة الأمم والذي يقضي بتقسيم فلسطين . اوليسوا هم اول مـــن وضع فكرة التقسيم ، وعملوا على اقرارها .

---

(١) عندما اشار غلوب الى هذه الاعانة في الصفحة ٢٥٨ من كتابه قال ان الاعانة البريطانية التي دفعتها بريطانيا للاردن خلال عام ١٩٤٨ كانت عبارة عن مليونين ونصف المليون من الجنيهات . وان الحكومـــة الاردنية تسلمت خلال العام نفسه ٢٥٠،٠٠٠ جنيه من صندوق الجامعة العربية . وان الحكومة نفسها انفقت من ميزانيتها الاعتيادية ٣٠٠،٠٠٠ دينار لاغراض الدفاع ؛ ولكن هذه المبالغ كلها ما كانت تكفي لسد العجز المنبثق عن القتال في ذلك العام . وقد تولت بريطانية سد ذلك العجز الذي زاد – على حد قوله – عن الستة ملايين من الجنيهات

فقد اعترف غلوب بعد انسحابه من البلاد عام ١٩٥٦؟ (١) : انه في اوائل شهر ايـار ١٩٤٨ وقبل ان يدخل الجيش العربي فلسطين تحدث الى عدد من ضباط الجيش في عمان ؛ فقال لهم -- فيما قال -- ان الحكومة الاردنية لا تستصوب الدخول في اعمال عدائية (؟) مع اليهود !.. ولكن الحكومات العربية الأخرى - وان شئت فقل بعضها - تصر على الاشتراك في القتال .. وان اخشى ما يخشاه ان تنسحب الحكومات التي تريد القتال من الميدان ونحن في وسط المعركة !.. وان يبقى الجيش العربي وحده في الميدان !..

هذا ما قاله غلوب لضباطه في عمان .. وما كان دائمـاً وابداً يقوله للضباط الآخرين كلما زارهم في معسكر من معسكراتهم : ولست ادري الحكمة من قوله هذا . وقد سمعت الكثيرين ينقدونه . بلى وربك . ان معظم الضباط لم يصدقوه وان بعضهم ذهب الى حد الاعتقاد انه قال ما قاله عـن خبث ونية سوداء ... وانه كان يرمي الى ابقاء الرعب في قلوبهم .. ومهما كان الباعث لقوله هذا ، فانني لم ار فيه مما يدل على حكمة وبعد نظر !.. وسواء كنا مخطئين في قولنا هذا او كنا على صواب . فان الجيش العربي كان في اليوم الذي انتهى فيه الانتداب (١٥ ايار ١٩٤٨) عبارة عن ٦٠٠٠ رجل خلا رجال الشرطة المسؤولين عن الأمن في الداخل .

ويقول غلوب الذي نقلنا عنه هذه الارقام انه لم يستطع ان ينزل الى ميدان القتال بفلسطين سوى ٤،٥٠٠ مقاتلا . وانه الّف من هؤلاء المقاتلين :

١ . اربع كتائب مشاة ينقلون بالسيارات

٢ . وبطاريتين من المدافع من عيار ٢٥ رطلا ! واحدة منها مؤلفة من اربعة مدافع .

٣ - سبع سرايا مشاة (حاميات) .

ثم أعيد تشكيل الكتائب المتقدم ذكرها بحيث جعل منها لواءان . كل لواء مؤلف من كتيبتين . ووضع هذان اللواءان تحت إمرة البريغادير لاش Brigader N. O. Lash قائـد الفرقة . وقد اتخذ هـذا رام الله مقراً له . وكان يرجع في جميع اموره الى رئيس الأركان غلوب باشا الذي كان يقيم في عمان .

كان اللواء الاول مؤلفاً من كتيبتين هما الكتيبة الاولى والثالثة ، وكان يعسكر في منطقة نابلس . واللواء الثـالث وهو مؤلف من كتيبتين هما الكتيبة الثانية والكتيبة الرابـعة أمر بالتمركز في رام الله . ومع كل لواء بطارية من مدفعية مؤلفة من اربعة مدافع مـن عيار خمسة وعشرين رطلا .

---

(١) اقرأ الصفحة ٢٢١ من كتابه A Soldier With the Arab

وقد سمي اللواء الثالث (ثالثاً) بقصد تضليل العدو ـ ليعتقد ان لدى الجيش ثلاثة ألوية لم يكن هناك في الحقيقة سوى لوائين .

حتى هذا اللواء الذي سمي اللواء الثالث ، وقد تمركز في رام الله ، فقد أطلق على مقره زيادة في التضليل : (مقراً للواء الرابع) .

كان لدى الجيش يومئذ مقدار لا بأس به من العتاد (٣٠٣) (١) للبنادق الاعتيادية ومدافع البرن .

واما العتاد اللازم للمدافع الكبيرة والمدافع القوسية (المورتر) فلم يكن لدى الجيش العربي منه ما يكفي لأكثر من معركة واحدة . وكان على هـذا الجيش أن يستعمل تلك الكمية الضئيلة من العتاد سنة واربعة شهور !..

وكان الجيش مزوداً بعدد غير قليل من المدافع المعروفة بـ (Piats) (٢) تلك المدافع التي يستعملها المشاة ضد المصفحات ، وكان لديه ١٦ مدفعاً من المدافع القوسية (مورتر) من عيار ٣ بوصات . ولكنه ما كان يملك العتاد الكافي لهذه المدافع .

لم يكن لدى الجيش العربي يومئذ .. وطوال فترة القتال في فلسطين ، اية قوة للطيران. واما الجيش الاسرائيلي فانه وان لم يكن لديه قاذفات او نفاثات إلا ان طائراته من النوع الاعتيادي ما كانت انتقطع عن التحليق في الاجواء العربية بقصد الاستكشاف . وكانت هذه في بعض الاحيان تلقي قذائفها من صنع محلي بسيط .

لم يكن لدى الجيش العربي يومئذ ، اي مدفع من المدافع الثقيلة . والمدافع الثمانية من عيار ٢٥ رطلا التي ذكرناها في ١٤ ايار ، تسلمها الجيش في شهر شباط ١٩٤٨ . وكان لا بد من تمرين الجنود والضباط على استعمالها . وهذا التمرين يحتاج الى ثلاثة شهور . وما كان هناك سوى ضابط واحد خبير في المدفعية ، وهو انكليزي .

وان اضعف نقطة في الجيش هي انه لا يملك جنداً من النوع المعروف بـ (الاحتياطي) في الجيوش الاخرى فاذا استشهد جندي في ميدان من ميادين القتال ، لم يكن هناك جندي آخر يقوم مقامه ، ويسد الثغرة التي خلت بموته ..

ويقول غلوب الذي اشار الى هذه الناحية من ضعف الجيش في كتابه (٣) انه في خلال

---

(١) هذا العتاد تسلمه من مستودعات الجيش البريطاني في فلسطين ، اذ ان ذلك الجيش لم يكن في مقدوره ان ينقل سلاحه كله عندما غادر فلسطين .

(٢) كلمة مؤلفة من الحروف التالية :

P وهو يعني Projectior I وهو يعني Infahtry AH وهما يعنيان Anti tanc

(٣) اقرأ الصفحة ٩١

الثمانية والعشرين سنة التي انقضت على تأليفه لم يخطر ببال احد (؟) انه ـ اي الجيش العربي ـ سيدخل حرباً هدفها الاستقلال ! ..

ويقول غلوب ان الجيش العربي لم يحتفظ في يوم من الايام بأي مقدار من العتاد والمؤن على سبيل الاحتياط . فقد كان لدى الجيش البريطاني في الشرق مقادير وفيرة من الاعتدة والمؤن وكان دائماً (؟) على استعداد لتموين الجيش العربي منها بما يشاء ، وفي اي وقت شاء وبالقدر الذي يشاء ! ..

ولكنه لم يقل لنا لماذا لم يزود الجيش البريطاني جيشنا هذا بما يشاء وبالقدر الذي يشاء من المؤن والعتاد، عندما رأى ان الجو قد ادلهم ، وان الحرب واقعة لامحالة بيننا وبين اليهود وان المعاهدة المعقودة بين الاردن وبريطانيا تقضي بالدفـــاع . والدفـــاع يتطلب السلاح والعتاد . كما يقضي بالتأهب والاستعداد لجميع الاحتمالات ! .. فما الذي فعله صاحبنا غلوب(؟) ومن قبله سلفه بيك طوال السنين التي قضاياها في الاردن ، وقد تعدت الثلاثين ! ..

ليس هذا فحسب . فـــان الضباط البريطانيين الذين كانوا يعملون في صفوف الجيش العربي كضباط مستعارين تلقوا في ٣٠ ايار ١٩٤٨ امراً من الحكومة البريطانية كي يتركوا مناصبهم ويصفوا اعمالهم وينسحبوا من ميادين القتال كان هذا بسبب الاقتراح الذي قدمه ممثل بريطانية في مجلس الأمن ، والذي قبله المجلس المذكور في ٢٩ ايار وفرض على الفريقين المتقاتلين هدنة مدتها اربعة اسابيع .

والغريب ان هـــذا الانسحاب قد تم في وقت كان الجيش العربي يشغل منطقة ويرابط في جبهة من القتال طولها سبعون ميلا . وكان هذا الجيش قد خسر زهاء ٢٠ في المئـــة من مجموع رجاله . وكان العتاد ينقصه بشكل فاضح .

ويقول غلوب الذي اشار الي هذا القرار في كتابه (ص١٣٣) ان الحكومة البريطانيـة نزلت في عملها هذا عند رغبة نيويورك (١) التي كانت تريد ابعاد الضباط البريطانيين عـن الجيش العربي . مع انه كان هناك في صفوف الجيش الاسرائيلي ضابط اميركي كبير برتبة كولونيل هو David Harcus وكان هذا يقود الجيش الاسرائيلي في معارك باب الواد . ولم يعترض احد على وجوده . ولم يطالب احد انسحابه ! ..

ما لنا ولهذا . هكذا كان الغرب يكيل للفريقين المتحاربين بكيلين : كيل مليء بالعطف والتأييد لليهود .. وآخر طافح بالبغض والحقد للعرب ! ..

هذا كان موقف الجيش العربي اثناء الفترة الاولى للقتال . ولم يفعل القائمون على رأس

(١) يعني الولايات المتحدة حكومة وصحافة وشعبا . وبعبارة افصح اليهود الذين كانوا يسيطرون عـــلى الحكومة والصحافة والشعب .

هذا الجيش شيئاً لتقويته اثناء الهدنة . لا ، ولا من أجل تزويده بالسلاح والعتاد . ويقول غلوب في تبرير موقفه هذا (١) :

ان رئيس الوزراء توفيق باشا ابو الهدى رفض ان يقوم بأي عمل ، اثناء الهدنـة ، من اجل تقوية الجيش وتزويده بالاسلحة او زيادة عدد رجاله،لاعتقاده بان القتال لن يستأنف في فلسطين !.. ويضيف الى ذلك قوله انه لم يكن لدى الجيش يومئذ (تموز ١٩٤٨) اي مبلغ من المال لسد العجز الذي كان ظاهراً في موازنة الجيش بسبب احتفاظه بعدد مـن الجنود المشاة في بعض السرايا بعد انتهاء السنة المالية في ٣١ كانون اول ١٩٤٧ ولم تزوده الحكومة بمبالغ اخرى .

وقد اعترف غلوب انه احتفظ بتلك السرايا على مسؤوليته الشخصية !.. ولم يتردد في القول انه لولا أن فعل ما فعل لفقد الشطر الاكبر مما تبقى بيد العرب من فلسطين ! ولكنه لم يقل لنا كيف احتفظ بتلك السرايا (؟) ومن أين دفع رواتب رجالها واثمان معداتها (؟) وكيف وأين كان ينفق الملايين من الجنيهات التي دفعتها بريطانيا بموجب تعهداتها (؟) ..

كانت قوة الجيش العربي ، في اليوم الاول من شهر تشرين أول ١٩٤٨ ، عبارة عـن عشرة آلاف مقاتل . وعلى رأي غلوب باشا الذي اقتبست منه هذا العدد (٢) ان عـــدد المقاتلين في الجيش الاسرائيلي كان يومئذ عبارة عن ١٢٠،٠٠٠ يقابلهم في الجيوش العربية الاخرى العدد التالي : ٥٥،٧٠٠

	العدد
الجيش المصري	١٥،٠٠٠
الجيش العراقي	١٥،٠٠٠
الجيش العربي الاردني	١٠،٠٠٠
الجيش السوري	٨،٠٠٠
المناضلون	٥،٠٠٠
الجيش اللبناني	٢،٠٠٠
الجيش السعودي	٧٠٠
	٥٥،٧٠٠

(١) اقرأ الصفحة ١٠٨ من كتابه A S, W the A

(٢) اقرأ الصفحة ١٩٥ من كتابه A S,W the A

وفي اواخر عام ١٩٤٧ بلغت قوة الجيش العربي احد عشر الف مقاتلا . ثم ارتفع هذا العدد الى اثني عشر الف مقاتل (ص٢٢١ من كتاب غلوب) اذاً لماذا لم يأمر غلوب بنزول هذا العدد الى الميدان يوم زحف الجيش الاسرائيلي صوب العقبة وركز اعـلامه على ارض (المرشرش) على شاطىء البحر الأحمر ؟!

وفي الصفحة الأخيرة من كتابه (٤٢٨) قال غلوب ان الجيش العربي كان عندما امضيت اتفاقية الهدنة في رودس مؤلفاً من تسع كتائب مشاة .

وعندما اقيل من رئاسة الاركان في اوائل عام ١٩٥٦ اصبح الجيش عباره عن ثلاثـة وعشرين الفاً . يضاف اليهم رجال الحرس الوطني وقد بلغ عددهم يومـئذ ثلاثين الفاً . واذا ما دعي افراد الاحتياط الى العمل يصبح في الامكان زيادة هذا العدد الى ستين الفاً .

وعليّ ، قبل ان أختم هذا الفصل ، أن أسجل أن الجيش العربي ، بجنوده وضباطـه ، من أحسن الجيوش العربية واكثرها تنظيما وأقدرها على القتال ـ وان رجـال هذا الجيش كلهم محبون لوطنهم مخلصون لواجبهم يعرفون معنى الشرف والواجب . واذا ما قصروا في انقاذ فلسطين ، فما كان ذلك عن جبن منهم أو تقصير ، وانما كان قيادهم بيد فئة من الاغيار لا تهمهم مصلحة العرب ولا يمتون للعروبة بصلة .

وفي كتابي هذا اكثر من دليل على صحة ما أقول . وفوق كل ذي علم عليم .

موقف الملك عبد الله من قرار التقسيم

ظل الناس في حيرة من امرهم يكادون لا يصدقون ما قيل لهم عن الملك عبد الله وعن قبوله فكرة التقسيم . لأنهم كثيراً ما سمعوه يقول : انه يعتزم محاربة اليهود أعـداء فلسطين وأعداء العرب اجمعين .. وانه لن يغمد سيفه قبل ان يفنيهم عن بكرة أبيهم .. وان الدول العربية كلها لو انسحبت من الميدان أو أحجمت عن القتال؛ فسيظل هو يقاتلهم حتى يقضي الله بينه وبينهم . أولم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ... » الى آخر ما جاء في الآية ٨٢ من سورة المائدة .

ولكن الناس ما عتموا ان سمعوا انه (اي الملك عبد الله) كان يقول غير ما يضمر ، وانه هو الرئيس الوحيد بين رؤساء الدول العربية الذي وافق عـلى قرار التقسيم (١) ليس هذا فحسب . بل انـه انتدب رئيس وزرائه توفيق باشا ابو الهدى ليبلغ وزير الخارجية البريطانية المستر ارنست بيفن Ernest Bevin انه وان كان سيأمر جيشه بدخول فلسطين،

---

(١) وتبعه بعد ذلك ابن اخيه الامير عبد الاله الذي كان يومئذ وصياً على عرش العراق . وكان ذلك العرش قد انتهى الى الملك فيصل الثاني بن الملك غازي بن الملك فيصل الاول .

إلا انه يقف عند حدود التقسيم .

فقد ذكر غلوب باشا الذي كان يقود الجيش العربي في حرب فلسطين (١) : ان رئيس الوزراء توفيق باشا ابو الهدى سافر الى لندن في ربيع عـــام ١٩٤٨ للتفاوض مع الحكومة البريطانية من اجل تعديل المعاهـــدة الأردنية ــ البريطانية ــ وكان يرافقه في تلك الرحلة فوزي باشا الملقي بوصفه وزيراً للخارجية ، والفريق غلوب باشا رئيس الاركان ــ وان ابا الهدى بعد ان بحث مع الوفد البريطاني النقـــاط التي تتطلب التعديل ؛ طلب مقابـــلة وزير الخارجية المستر ارنست بيفن مقابلة خاصة . ولما تقابلا قال أبو الهدى لبيفن ــ وكان غلوب باشا هو الذي يترجم للواحد ما يقوله الآخر ، لأن ابا الهدى لايحسن التكلم باللغة الانكليزية ما معناه بالحرف الواحد :

« ان الانتداب البريطاني على فلسطين على وشك الزوال . وان اليهود اعدوا آلة تصلح للحكم بمجرد انسحاب الجيش البريطاني من البلاد في الخامس عشر من شهر ايار ١٩٤٨ . واما عرب فلسطين فانهم لم يفعلوا شيئاً ليتمكنوا من حكم انفسهم بأيديهم . وليس هناك في البلاد زعماء فلسطينيون يصلحون للحكم .

ليس هذا فحسب . فان لليهود جيشاً يسمونه (الهاغانا) واما العرب(٢) فلا جيش لهم وليست لديهم القدرة على تكوين مثل هذا الجيش . فاذا تركنا الوضع على ما هو عليه الآن ، فانه لا مفر من وقوع احد الامرين : فاما ان يهمل اليهود قرارات الامم المتحدة ، ويحتلوا القسم الذي اعطي للعرب من فلسطين حتى نهر الاردن . او أن يتغلب عرب فلسطين على اليهود ، ويعود المفتي الى فلسطين فيحكمها . وكلا هذين الامرين لا يتلاءم ومصالحـــنا : لا المصلحة البريطانيه ، ولا المصلحة الاردنية . ذلك لأنه (اي المفتي) ألد عدو لبريطانيا . وهو الذي عاش مع هتلر في برلين اثناء الحرب العالمـــية الثانية . وهو ايضاً عدو لا يؤمن جانبه من الناحيه الاردنية ... »

ثم تابع ابو الهدى حديثه ، فقال موجهاً خطابه الى بيفن :-

« تلقى جلالة الملك عبدالله ، خلال الاسابيع الاخيرة ، عدداً لا يحصى مـــن الرسائل والبرقيات والعرائض ممضية من مختلف الطبقات في فلسطين . وجاءته وفود من مختلف انحاء

---

(١) اقرأ كتابه الذي نشره بعنوان: A Soldier With the Arabs by Lieutenant General Sir John Bagot Glubb P.63 Printed in Great Brittain by Hodder Stoughton London

(٢) انه يعني عرب فلسطين

البلاد يطلبون انقاذ فلسطين ، والاسراع في زحف الجيش العربي قبل فوات الأوان .

والحكومة ايضاً تلقت مثل هذه الطلبات .

ولهذا فقد قررت الحكومة الاردنية أن تأمر الجيش العربي باجتياز نهر الاردن عندما ينتهي الانتداب البريطاني ، على ان يحتل هذا الجيش الجزء المخصص للعرب من فلسطين والمحاذي لحدود شرقي الاردن .. »

هنا قاطعه بيفن قائلا . « يبدو أن هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن عمله ! .. »

هنا التفت غلوب إلى توفيق باشا وقال له باللغة العربية : — اذكروا يا باشا ان الجيش العربي لا يستطيع احتلال قطاعي غزة واعالي الجليل . ذينك القطاعين اللذين خصصا ايضاً للعرب .. »

فتذكر الباشا هذه الناحية . وذكرها للمستر بيفن . فأعاد هذا كلماته السابقة مضيفاً اليها قوله :

« ولكن . اياكم ان تذهبوا وتحتلوا الجزء الذي خصص لليهود »

فأجابه الباشا من فوره : « ليست لدينا القوات الكافية لمثل هذا الاحتلال ، حتى لو قصدناه !.. هذا فضلا عن ان المعاهدة التي عقدناها مع بريطانيا تحتم على الجانبين المتعاقدين ان يتشاوروا كلما تأزم الموقف او حدث حادث خطير . وهذا ما حداني لايضاح الموقف الذي تنوي الحكومة الاردنية ان تقفه من فلسطين .. »

فشكر وزير الخارجية البريطانية لتوفيق باشا بيانه هذا ، وصراحته في سرد موقف الحكومة الاردنية . وقد اعرب عن موافقته التامة للخطة التي اوضحها له الباشا .

وقد استأذن ابو الهدى بعد ذلك بالانصراف . وعاد الى عمان ليعمل على تنفيذ تلك الخطة . وكان من الجبن بحيث لم يستطع ان يصارح الشعب بنواياه . ولم يصارح احداً فيما جرى سوى الملك الذي انتدبه لتلك المهمة .

جبل المكبر (١)

وضع المندوب السامي البريطاني لحكومة فلسطين ، السر الن كاننغهام Sir Alen Cunninghum قبيل مغادرته هذه البلاد ، دار الحكومة على جبل المكبر والكلية العربية

(١) جبل مشرف على معظم احياء المدينة وواقع في طرفها الجنوبي . وقف عليه عمر بن الخطاب يوم فتح القدس ، وهناك ذكر الله وكبر . ويقوم على احد جوانبه ضريح المجاهد الاسلامي المعروف بـ « ابي ثور » . انه من المجاهدين الذين اشتركوا مع صلاح الدين في فتح القدس . وقد اتخذه الانكليز في عهد الاحتلال مقراً لحكامهم وبنوا فوقه دار المندوب السامي . انه جبل مرتفع واستراتيجي . من احتله سيطر على المدينة كلها .

والمدرسة الزراعية اليهودية وما بين هذه المباني من منشآت ، وضعها تحت تصرف منظمة الصليب الاحمر الدولية . وابلغ الفريقين العرب واليهود ، قراره هذا . فقبله العرب في ٩ ايار ١٩٤٨ . واما اليهود فلم يقبلوه إلا في ١٧ أيـــار . ذلك لأنهم كانوا يؤملون احتلال المدينة كلها . وما قطعوا الامل من احتلالها إلا عندما رأوا طلائع الجيش العربي تزحف صوبها .

تسلم رجال الصليب الاحمر الدولي المباني الكائنة على جبل المكبر بحضور هيئة مختلطة قوامها المسـ و رينيه مندوب الصليب الاحمر ، والدكتور حسين فخري الخالدي مندوب الهيئة العربية العليا ، والمسز غولدا مايرسون مندوبة الوكالة اليهودية •

وقد اشترط يومئذ ان لا يقيم في هذه المنطقة وفي المناطق الاخرى التي سلمت للصليب الاحمر الدولي (٢) اي شخص مدني في سن الجندية، خلا الأشخاص الذين ينتدبون للخدمات المدنية بموافقة الصليب الاحمر • وقد حدد عددهم في منطقة جبل المكبر يومئذ بثمانية للكلية العربية وثلاثة لدار المندوب واثني عشر للمدرسة الزراعية •

ولكن تبين بعدئذ ان هذا الاتفاق لم ينفذ بحذافيره• اذ وجدوا في المدرسة الزراعية، غير طلابها الاصليين ثمانين طفلا يهودياً • الامر الذي جعل العرب الذين كانوا الى الشمال من دار الحكومة يتمسكون بمنازلهم • وقد اتوا الى الكلية العربية باثنين وثلاثين شخصاً مـن صربا ، وعشرة اشخاص من مدينة القدس نفسها • واستقر في دار الحكومة خمس عائلات عربية •

وفيما كان كل فريق من الفريقين المتخاصمين يحاول تثبيت اقدامه في هذا الجزء او ذاك من اجزاء الجبل ؛ راح شاب من ابناء بيت المقدس اسمه (احمد حسين هرمـــاس) وكان هذا موظفاً في دائرة المعارف اثناء الانتداب ؛ راح يعمل على انقاذ مكتبة الكلية العربية • وكان اليهود يحاولون الاستيلاء عليها • حتى انهم استولوا على عدد من مخطوطاتها وكتبها القيمة • ولقد نجح هرماس في مسعاه فانقـــذ المكتبة • ونقل مـــا كان فيها مـــن كتب (١٢،٠٠٧ كتاب) الى الجزء العربي من المدينة • كما نقل مقـــادير ضخمة من الآلات والأدوات التي كانت في مبنى الكلية وقد اعدت لبناء اجنحة جديدة • وقدرت ثمن الاشياء التي انقذها بمئة الف جنيه • وقد وضعت الكتب في مبنى (الكلية الرشيدية) عند باب الساهرة وما زالت هناك حتى يومنا هذا (١٩٥٨) •

وعلى الرغم من كل ما جرى فانه لم يقع بين الفريقين اي اشتباك في منطقة جبل المكبر

---

(٢) دار جمعية الشبان المسيحية وفندق الملك داود والمستشفى الايطالي ومستشفى الحكومة في المسكوبية .

خلال تلك الفترة من الزمن .

ولكن الوضع تغير في أواسط شهر آب ١٩٤٨ .

ففي ساعة مبكرة من صباح اليوم السابع عشر من الشهر المذكور راح اليهود يتسللون الى جبل المكبر ، مــن ناحية المدرسة الزراعية . وراح المناضلون العرب يقاتلونهم قاصدين ارجاعهم الى حيث كانوا . وقامت بين الفريقين معركة اشتركت فيهــا مدافع الجيشين : الجيش العربي من ناحية سلوان ، والجيش المصري من ناحية بيت ساحور . فاندحر اليهود الى مبانيهم في المدرسة الزراعية .

وفي الساعة السابعة من مساء اليوم نفسه ، جاءت سرية يهودية مؤلفة من خمسين جندياً ، يقودها الضابط (زفي) فاحتل هذا مباني الكلية العربية ، ونقل جميع الموظفين الذين كانوا فيها (وعددهم خمسون) الى بيت عكرة في البقعة الفوقا .

وما كاد فجر اليوم التالي ، ١٨ آب ، يبزغ حتى جاء عدد من السواحرة وصور باهر ومن أبناء بيت المقدس يقودهم طارق الافريقي ، وعدد من الاخوان المسلمين المصريين يقودهم اليوزباشي محمود عبده ــ ولما جرح هذا قام مقامه لبيب الترجمان . وامــا زعيم الاثنين فهو القائمقام احمد عبد العزيز . وقد اتخذ هذا (صور باهر) مقراً لقيادته . وجاءت سرية مــن افراد الجيش العربي يقودها عبد الله التل . ووقعت بين الفريقين معركة شديــدة ، كان النصر فيها حليف العرب . وكادوا يقضون على اليهود . لولا ان اليهود لجأوا في اللحظة الأخيرة الى المنطقة الحرام . واحتموا بدار الحكومة . وكان فيها مراقبو الهدنة وعدد من رجال هيئة الأمم . فضرب المجاهدون حصاراً حول تلك الدار . وهددوا بتدميرها . فاستنجد المراقبون بأحمد عبد العزيز . فامر هذا بوقف اطلاق النار ، شريطة ان يحتل المرتفع المعروف بـ (رأس الحرش) كي يتمكن من الاشراف على دار الحكومة وعلى الحي اليهودي في القدس القديمة . فكان له ما اراد .

وجاء اليهود في اليوم التالي (١٩ ايار) قاصدين استرداد المواضع التي احتلها المجاهدون العرب . إلا أنهم فشلوا . ودام القتال على هذا المنوال اربعة ايام ، وبلغت خسائر الفريقين مئتين بين قتيل وجريح .

ولم يقف القتال إلا عندما تدخل الجنرال رايلي كبير المراقبين الدوليين فعقد الفريقــان اجتماعاً في دير السريان الملاصق للسور بين باب العمود والباب الجديد حضره كل من عبد الله التل عن الجيش العربي وموشه دايان عــن الجيش الاسرائيلي واحمد عبد العزيز عــن المصريين وطارق الافريقي عن الفلسطينيين . كما حضره الجنرال رايلي والكاولونيل فوكس

الاميركي والجنرال لاندستروم السويدي عن هيئة الرقابة الدولية . وقد دام الاجتماع من الساعة الحادية عشرة صباحاً حتى الساعة السادسة مساء (٢٢ آب ١٩٤٨) .

ووافق الجانبان على اقتراح قدمه الجنرال رايلي . وهو يقضي باضافة منطقة جديدة من جبل المكبر الى المنطقة التي كان المندوب السامي قد وضعها في ٧ ايار تحت اشراف الصليب الاحمر الدولي . فتسلمت تلك المنظمة الدولية المنطقة كلها . وراحت هذه تعرف بـ (منطقة دار الحكومة وجبل المكبر) . وكان على الفريقين ان يسحبا منها الاشخاص العسكريين ، وان يزيلا المنشآت التي أنشآها فيها . وقد تم تسليم المنطقة الى الصليب الاحمر الدولي في ٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ .

واقر الفريقان الترتيب نفسه عندما اتفقا ، في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٨ ، على وقف اطلاق النار في مدينة القدس كلها . وتركا بين الخطين مناطق حرام . ومن المناطق التي جعلت (حراماً) يومئذ منطقة جبل المكبر والمباني القائمة عليه . وهي دار الحكومة والكلية العربية والمدرسة الزراعية اليهودية وما بين هذه المباني وحولها من اراضي .

وفي ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٩ اتفق العرب واليهود من اعضاء لجنة الهدنة — ولسنا ندري كيف اتفقا — على تقسيم المنطقة الحرام الكائنة الى الجنوب من القدس ، بين الفريقين المتنازعين . وكان اكبر خطأ اقترفه الاعضاء العرب وهم من الضباط ذوي الرتب العليا في الجيش ، هو موافقتهم على ادخال (جبل المكبر) في التقسيم؛ مع علمهم ان هذا الجبل منطقة دولية . وكادت معظم اجزائه —سيّما الكلية العربية ومستعمرة الدجاج ودار المندوب السامي— تكون من نصيب اليهود !..

ان قرية (تبير) وان جُعلت في ذلك الاتفاق الذي اسموه اتفاقاً مبدئياً من نصيب العرب إلا ان قرية (الولجة) جعلت من نصيب اليهود . وكذلك قل عن السكة الحديدية التي تمر من امام تبير ، فقد جعلت من نصيب اليهود .

هذه وما اليها من الاخطاء الفادحة كادت تودي بمصلحة العرب ، وتعرض الاحياء العربية من مدينة القدس الى الخطر . ذلك لأن الجزء الذي جعل من نصيب اليهود ، ذو اهمية عسكرية من الناحية الاستراتيجية . ولا سيما (جبل المكبر) . انه جبل مرتفع ومشرف على معظم انحاء المدينة من احتله سيطر على المدينة كلها .

ولهذا ما كاد العرب من ابناء بيت المقدس يسمعون الخبر ، حتى ثار ثائرهم . وراحوا يهاجمون لجنة الهدنة والحكومة من ورائها مهاجمة عنيفة في صحفهم ومجالسهم . وهو ما حدا بمتصرف القدس عبد الله التل على رفع الامر الى ولاة الامر ، طالباً اعادة النظر في هذا

هذا الاتفاق . ومن حسن الحظ ان الاتفاق لم يكن قد أمضي بعد .

فعقد الفريقان في اليوم التالي ، ٢٦ نيسان ١٩٤٩ ، اجتماعاً آخر . حضره وزيرا الدفاع والداخلية .

وبعد أخذ ورد طويلين اتفق الفريقان على ارجاء البحث في مسألة (جبل المكبر) وتقسيمه ريثما تجتمع اللجنة الخاصة ببحث مشاكل القدس .

وأما السكة الحديدية فقد أقر الاتفاق الذي جرى حول جعلها من نصيب اليهود لقاء (بتير) التي جعلت من نصيب العرب .

هذا ما قاله متصرف القدس في تقريره الـــذي رفعه لرئيس الوزراء في عمـــان بتاريخ ٤٩/٤/٢٩ ثم ٢٧/٤ .

واستغرب الناس كيف اقر وزير الدفاع الاردني ، اليهود في قولهم « ان سكة الحديد تساوي المنطقة التي اصبحت عربية ومنها (بتير) . وان هذه القسمة عادلة !.. »

واعاد اليهود الكرة ، بعد شهر او يزيد . فراحوا يحاولون اقناع الجـــانب الاردني في لجنة الهدنـــة كي يرضوا باقتسام المنطقة الحرام على جبل المكبر . واجتمع الفريقان في ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٩ . ولكنهما لم يتفقا . وكل ما فعلاه يومئذ انهما اسميا تلك المنطقة : (المنطقة بين الخطوط) ، ليجدا مبرراً لبقاء المدنيين الذين ذكرناهم في السطور السابقة .

ثم عادا بعد اسبوعين فاستأنفا بحث مشروع التقسيم (تقسيم منطقة جبل المكبر) .وعقدا في ٢٦ حزيران اجتماعاً حضره عن الجانب العربي علي ابو نوار وعن الجـــانب الاسرائيلي موشه دايان . وانتهيا الى اتفاق مؤقت (١) (؟) مدته ــ كما قـــالا ــ اربعة شهور ؛ سمح بموجب ذلك الاتفاق لمئتين من المدنيين ــ من كل جانب ــ بالدخول الى المنطقة ؛ على ان يستعمل كل جانب قوة من الشرطة لا تزيد على عشرة بالمئة بالنسبة لعدد السكان من أجل حفظ الامن والنظام .

وعندما انتهت الشهور الاربعة استؤنفت المفاوضات بين الفريقين من اجل ايجاد حل للمشكلة .

واجتمع الفريقان في ١٦ تشرين ثاني ١٩٤٩ . وأنعما النظر في عدة مقترحات لاقتسام المنطقة اقتساماً نهائياً .

---

(١) تقبل اليهود هذه القسمة بالرضا . وذلك لان كل شبر يأخذونه من العرب دون ثمن هو ربح لهم . والاراضي الواقعة على جبل المكبر كلها ــ خلا واحد في المئة منها ــ هو ملك للعرب . وأما العرب فقد تلقوا هذا الخبر باستياء شديد . وليس ثمة أي ريب في أن هذا الاستياء الذي شمل المحافل العربية هو الذي جعل الحكومة تقول : « انه اتفاق موقت »

وكان الوفد الاردني لهذه المحادثات ، المرة هذه ، مزوداً بتعليمات من شأنها ألا يمضي في أمر دون الرجوع الى الحكومة . وفيما كان الفريقان يتفاوضان ، تلقى الوفد الاردني من حكومته امراً يقول ان عليه ان يوقف محادثاته وان يعود الى عمان .

وقال قائل ان الفريقين المتفاوضين كانا – قبل انسحاب الوفد الاردني – قد اقرا احد المقترحات التي قدمت بقصد الاقتسام ، وانهما امضيا اتفاقاً مبدئياً (٢٢ تشرين ثاني١٩٤٩) وخريطة تبين حدود الارض المقتسمة ، الا ان ذلك الاتفاق المبدئي لم تقره حكومة عمان . ذلك لأنها خشيت مغبة الامر . وقد شعرت يومئذبثورة الرأي العام العربي ، سيمافي فلسطين فسحبت وفدها قائلة : « ان قضية جبل المكبر جزء من قضية القدس » ولو انصفت لقالت: « انها جزء من قضية فلسطين » وانه لا يجوز حلها قبل ان تحل القضية كلها .

ولكن اليهود الذين يعرفون كيف يستغلون الظروف راحـوا ينظرون الى القسم الذي كان سيعطى لهم في تلك المفاوضات كأنه أصبح ملكاً لهم . وراحوا منذ ذلـك التاريخ يعتدون على المنطقة الحرام . ويستغلونها هنا وهنـاك . وكانوا كلما عملوا عملا أو حصدوا زرعاً أو بنوا شجرة ، يعودون الى مراكزهم ، كأنهم لم يأتوا (؟) امراً إدا ! . . ومكثوا على تلك الحال سبع سنوات ، دون أن يجدوا أمامهم من يردعهم عن غيهم . . لا مـن الناحية الحكومية ، ولا من المراقبين الدوليين ! . . ولما رأوا انه ليس ثمة من يردعهم ، ظهروا الى الميدان فاجتازوا خط الهدنة . وراحوا يزرعون الأرض ويغرسون فيها الأشجار . وقاموا بتلاعبهم هذا في وضح النهار . ولم يكتشف أمرهم إلا في الواحد والعشرين مـن شهر تموز (يوليو) ١٩٥٧ . يوم دخل المنطقة الحرام عمال من اليهود تحرسهم قوة من الجيش الاسرائيلي وراحوا يحفرون الارض ويزرعونها (١) . وأعاد اليهود الكرة في اليوم التالي ، ٢٢ تموز ، وكانت القوة التي تحرسهم يومئذ مسلحة بالمدافـع الرشاشة مـن طراز برن وبمدفع قوسي (مورتر) من عيار بوصتين . وازداد عدد العمال في اليوم الثالث ، ٢٣ تموز ، فاصبحوا استين وكذلك قل عن القوة التي تخفرهم . وبالاضافة الى اعمال الحفر والحرث التي قاموا بها في اليومين السابقين راحوا في اليوم الثالث يسيجون الارض التي زرعوهـا باسلاك شائكة . وفي اليوم الرابع ٢٤ تموز ، كانت القوة التي ترافق العمال اكثر من ذي قبل . وكان معهـا مدفع قوسي (مورتر) من عيار ثلاث بوصات . وقد نصبوه في ساحة الكلية العربية .

في ٢٤ تموز ، قدم الجانب الاردني في لجنة الهدنـة المشتركة شكواه الى كبير المراقبين الدوليين الكولونيل ليري ، طالباً عقد جلسة طارئة لمناقشة هذه الشكوى ووضع حد لأعمال

---

(١) هذا ما قاله لي الرئيس الأول رشيد عريقات رئيس الجانب الأردني في لجنة الهدنة المشتركة

اليهود في تلك المنطقة .

لست أدري ما فعله كبير المراقبين الدوليين عندما تلقى الشكوى الأردنية . وإن كنت قد اطلعت على آرائه في تلك الشكوى خلال سطوره في تقرير (١) رفعه إلى مجلس الأمن بتاريخ ٢٣ أيلول سنة ١٩٥٧ . وقد رفعه استجابة للقرار الذي أصدره المجلس المذكور في ٦ أيلول رقم ٧٨٨ .

التقرير غامض ... وطافح بالحقد على الأردن ... وفيه آراء متناقضة ... استطعت أن أستخلص منه النقاط التالية :

« إن اليهود على حق (؟) في زرع الأرض المختلف عليها .. وقد حرثوها بالفعل ... وخلعوا زهاء ٥٠ إلى ٦٠ شجرة من أشجارها القديمة .. وهم يقصدون بعملهم هذا اعدادها للتشجير كجزء من (مشروع تجميل) ! ..

إن الذين قاموا بهذا العمل من اليهود مدنيون ، وليسوا بعسكريين ! .. وان إسرائيل ليست على استعداد للتخلي عن نشاطها هذا ، وهو نشاط مدني ... وليست لهيئة الرقابة الدولية أية صلاحية للتدخل في النشاط المدني .. وهي — أي هيئة الرقابة — لم تعثر على نص في أي اتفاق سابق يمنع دخول المدنيين (؟) إلى المنطقة المختلف عليها ...

« إن العدد القليل (؟) من ضباط الجيش الاسرائيلي الذين شاهدهم المراقبون الدوليون في المنطقة مرتين ، جاؤا إلى هناك بقصد التأكد (؟) من مساحة الأرض التي يجوز لهم (؟) تشجيرها ... وقد عادوا أدراجهم .. وأما الذين بقوا هناك بقصد حراسة العمال ، فانهم من أفراد الشرطة المحليين .. شرطة الحدود الاسرائيلية ، ويقول المراقبون الدوليون إن عددهم لا يتعدى الخمسة عشر نفراً (؟) وكانوا مسلحين ببنادق اعتيادية (؟) ورشاشات من طراز ستن فقط ... »

وقال أيضاً . إنا إذا أردنا الحقيقة وجب علينا أن نقول أن المدنيين من الطرفين دخلوا المنطقة فيما مضى بحرية وأن احداً من الطرفين لم يصرح في وقت من الأوقات ان دخول المدنيين إلى (المنطقة الواقعة بين الخطين) يعتبر خرقاً لاتفاقية الهدنة العامة التي عقدت في رودس بتاريخ ٣ نيسان ١٩٤٩ »

ومع ذلك فقد اعترف الكولونيل ليري بان أعمال إسرائيل الأخيرة على الرغم من أنها ذات صبغة مدنية قد أثارت حفيظة الأردن . ولهذا فانه لا بد من إيجاد حل لهذه المشكلة . ثم عاد فقال إن الأردنيين أيضاً قاموا باعمال تستحق النقد : منها أنهم أحالوا بيتا واقعاً في المنطقة الحرام إلى مدرسة ، وان هذه المدرسة يرتادها الطلاب من الذين يسكنون خارج

(١) زودني بنسخة من هذا التقرير رئيس الأول رشيد عريقات

المنطقة ...

وانهم بنوا مطعما ، وان هذا المطعم يرتاده الناس من أي مكان... وانهم أتموا بناءمخفر للشرطة ، وان هذا المخفر لا يزال فيه جنود ...

وأضاف الكولرنيل ليري الى ما تقدم قوله انه كان هناك خرق مستمر مـن النـاحية الاردنية لوضع المنطقة المجردة من السلاح . وذلـك باستعمال السيارات العسكريـة طريق القدس ـ بيت لحم ـ الخليل . تلك الطريق التي تدخل في المنطقة تعتبر جزءاً مـن المنطقة الحرام والمجردة من السلاح في موضعين ...

هذه وما اليها من المطالبات الواردة في تقرير كبير المراقبين الدوليين ، إذا مـا تتبعها المرء فقرة فقرة ؛ لا يسعه إلا أن يلاحظ انـه كتبها بعطف شديد على اليهود وسخط على العرب ؟ رغم أنهم ـ أي العرب ـ هم أصحاب الحق وهم أصحاب الأمـلاك التي يحوم حولها الخلاف ! ..

بعد هذا الاستعراض المتناقض لأعمال الفريقين في منطقة جبل المكبر اقترح الكولونيل ليري على مجلس الأمن ، بوساطة المستر همرشولد الأمين العام لهيئة الأمم ، أن يدعو الفريقين للاجتماع ومناقشة النشاط المدني في المنطقة عن طريق لجنة الهدنة المشتركة ، على ان يصلا الى اتفاق نهائي في غضون شهرين ...

وتمهيداً لخلق الجو المناسب لانجاح المفاوضة اقترح أن تؤمر اسرائيل بايقاف مشروع

التحريش في المنطقة انتظاراً لنتيجة المناقشة »

لم يجتمع مجلس الأمن ، لينظر في التقرير المتقدم ذكره . ولينفض الخـلاف القائم بين الفريقين ، إلا في الثاني والعشرين من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٥٨ ؛ أي بعد ستةشهور من اعتداء اليهود السافر واربعة شهور من تاريخ التقرير الذي وضعه كبير المراقبينالدوليين وبعبارة أفصح بعد أن كان اليهود قـد أوغلوا في اعتدائهم . فحفروا في الأرض العربية ما حفروا .. وغرسوا فيها ما غرسوا من حقول وأشجار ! ..

وكل ما فعله مجلس الأمن ، بعد ان استعرض أقوال الفريقين واطلع عـلى تقرير كبير المراقبين الدوليين ، هو انه امر هيئة الرقابة الدولية،ان تأخذ بعين الاعتبار ملكية الأراضي في المنطقة المتنازع عليها .. فلا تسمح لليهود باستعمال املاك العرب ، ولا للعرب باستعمال املاك اليهود ! .. وقد امرها باجراء احصاء دقيق للممتلكات القائمة هناك ، ليقرر من هم ملاكوها الحقيقيون .. والى ان يتم ذلـك امر بوقف كل عمل كالعمل الـذي شرع بـه الاسرائيليون في ٢١ تموز (يوليو) ١٩٥٧ .. وامر الفريقين ان يزيلا او يهدما جميع المباني

ذات القيمة العسكرية قاماها في المنطقة..وطلب المجلس الى هيئة الرقابةالدولية ان ترفع اليه ، في غضون شهرين ، تقريرها عما تم في هذا الموضوع ...

وانقضى على ذلك القرار عام ونصف عام دون ان يعرف العرب شيئاً عما تم في صدد هذا الخلاف .. وعما اذا كان اليهود قد أوقفوا اعمال الحرث والتشجير .. وعما اذا كانوا قد ارتدوا الى حيث كانوا .. وعما اذا كان المراقبون الدوليون قداجروا الاحصاء الذي طلب منهم .. مع انه لا حاجة لمثل هذا الاحصاء؛ لأن سجلات الحكومة الرسمية تثبت ان مساحة تلك المنطقة (انظر الى الخريطة المرفقة) ٢٤٥٠ دونما ، وان اليهود ما كانوا في اليوم الأخير من ايام الانتداب يملكون سوى ٤٧ دونماً .. وان الباقي وقدره ٢٤٠٣ دونمات (اي ٩٩ ٪ من المساحة كلها) هو ملك للعرب .

هيئة الامم تؤلف لجنة للتوفيق بين العرب واليهود

في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ أصدرت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ـ وكانت يومئذ مجتمعة في قصر شايو بباريس قرارها القائل بتأليف (لجنة التوفيق) الدولية لحل المشكلة الفلسطينية . ولكنها لم تشر في قرارها لا الى مشروع التقسيم الاصلي ، ولا الى المشروع الذي اقترحه الكونت برنادوت غير انها اشارت بصراحة الى ضرورة وضع القدس تحت المراقبة الدولية ، وفرض نظام دولي توافق عليه هيئة الأمم ، وتأمين الوصول الى الأماكن المقدسة كما أشارت البرقيات الى ضرورة السماح للاجئين بالعودة الى ديارهم ، والتعويض مالياً لمن لا يرغب في العودة منهم .

معارك النقب الثانية

قلنا ، في موضع آخر من هذا الكتاب ؛ان معارك النقب الاولى بدأت في ١٤ اكتوبر ١٩٤٨؛ وانها انتهت بسقوط بير السبع بيد الأعداء، وكان ذلك في ٢٢ من الشهر نفسه،وان السبب الذي انتحله اليهود لحركاتهم الحربية يومذاك ، رغم اتفاقية المدنـة ، هو تموين مستعمراتهم الكائنة في النقب .

خسر المصريون في تلك المعارك ، بالاضافة الى بير السبع ، مدينة المجدل ، كما خسروا معظم البقاع الكائنة بين هاتين المدينتين . وبقيت (الفالوجة) محصورة من لدن الأعداء (١)

---

(١) أقرأ ما كتبناه عن حصارها في موضع آخر من الكتاب

ولم يبق بيد المصريين من قطاع غزة سوى الشقة الساحلية الممتدة من بيت حانون الى رفح وطولها اربعون كيلو متراً،ومن البحر حتى مسافة تتراوح بين الخمسة كيلومترات والثمانية واما في قطاع بير السبع فقد بقوا ، بعد سقوط المدينة نفسها ، يرابطون في السهول الممتدة بين بير السبع والتخوم المصرية .

وقررت الحكومة المصرية اثر تقهقر جيشها في المعارك المتقدم ذكرها ، سحب اللواء المواوي الذي قاد الجيش المصري منذ دخوله فلسطين الى هذا اليوم. سحبته الى مصر ... فعاد اليها في ٢١ نوفمبر ١٩٤٨ وتسلم القيادة من بعده اللواء احمد فؤاد صادق بك .

هذا ما عرفناه عن معارك النقب الأولى ، نقلناه كما اتصل بنا . ونريد الآن ان نتحدث اليك عن معارك النقب الثانية. تلك المعارك التي بدأت في ٢٢ ديسمبر ١٩٤٨ واستمرت حتى اليوم السابع من شهر يناير ١٩٤٩ . وقد انتصر فيها المصريون .

أما كيف انتصروا وما هي الاسباب التي انتحلها اليهود لتلك المعارك ؟ فنود ان نترك الاجابة عليها للقائد الجديد نفسه ...

فاسمع ماذا يقول (١) : —

« عهد الي بقيادة الجيش في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨ وفي اليوم نفسه كان رؤساء اركان حرب الدول العربية السبع (٢) مجتمعين في القاهرة ، يتدارسون الوضع الراهن في فلسطين، وقد دام اجتماعهم اربعة ايام . فقرروا ما قرروا (٣) .

« والغريب في الأمر انهم لم يبلغوني القرار الذي وضعوه في اليوم التالي لتسلمي منصبي (اي في ١١/١١ / ١٩٤٨) رغم ان محتوياته تهمني وكان علي ان اهتدي بما جـاء فيه . وانه ليؤسفني ان اقول ان ذلك التقرير وقع ولست ادري كيف وقع ؟ (٤) بيد اليهود .

---

(١) كل ما جاء على لسانه في هذا الفصل سمعته منه يوم زرته في منزله بالقـاهرة « ٢٢ ابريل ١٩٥٤ » مستطلعاً طلع الخبر

(٢) الفريق عثمان المهدي باشا «مصر» الجنرال فؤاد شهاب «لبنان» الزعيم حسني الزعيم « سوريا » المقدم احمد صدقي الجندي «الأردن» اللواء اسماعيل صفوت باشا «العراق» ولسنا ندري من الذي مثل اليمن والمملكة العربية السعودية في هذا المؤتمر .

(٣) اقرأ ما كتبناه عن هذا المؤتمر ، والقرارات التي اصدرها في ١١ نوفمبر ١٩٤٨ في موضع آخر من الكتاب ، وتتلخص هذه بأن اليهود يتفوقون على القوات العربية من حيث السلاح والذخيرة والقوات الجوية والبحرية ، ومن حيث العتاد . وهناك ملاحق اعترف فيها العسكريون العرب بما يملكه كل جيش من سلاح وعتاد . وقد ذكروا المدة التي يستطيع كل جيش ان يصمد فيها في حالتي الهجوم والدفاع .

(٤) يغلب الظن بأن ذلك التقرير اطلع عليه الانكليز من ضباط الجيش العربي . وهؤلاء تسلموا نسخة من المقدم احمد صدقي الجندي الذي مثل الاردن في المؤتمر وكان عليـه ، بحكم منصبه ، ان يرفع تقريره الى رؤسائه وهم انكليز.

وهو الذي حفزهم على القيام بهجومهم على الجيش المصري ، هنا ينتهي كلام القائد .

وتسلم القائمقام ابراهيم بك سيف الدين المنصب الذي كان يشغله سلفه القائمقـــام علي مقلد بك فأصبح ركن الحرب للقائد العام . وهو من خيرة الضباط الذين نزلوا الى الميدان.

وراح القواد الجدد يفكرون في احدى الوسائل لرتق الفتق ورأب الصدع . وكان اليهود قد ثبتوا أقدامهم في بئر السبع بعد ان احتلوها كما سبق وقانا في ٢٢ تشرين الاول. واحتلوا بعدئذ التلال المرتفعة ذات الأهمية الاستراتيجية، القريبة منهـا :ــ كتل الشيخ نوران في ٥ كانون الأول ١٩٤٨ واحتلوا بعدئذ تل جمه في ١٥ كانون الأول . ثم تل الفارعــة في ١٨ كانون الأول . ورأوا من الأفضل ان يواصلوا زحفهم قبل ان يتمكن المصريون مــن لم شعثهم ؛ فشنوا عليهم ، بعد ذلــك ، ثلاث هجمات شديدة قاصدين قطع كل اتصال بين الجيش المصري المرابط في قطاع غزة وبين مصر ؛ وقد شجعهم على ذلك المقادير الكثيرة من الأسلحة التي صدرتها اليهم الولايات المتحدة وتشيكوسلوفــاكيا ــ رغم الحظر الذي فرضته هيئة الامم على تصدير الاسلحة الى الشرق الاوسط ــ والعدد العديد من الخبراء الذين وفدوا من تلك البلاد مأجورين .

أضف الى ذلك انهم (اي اليهود) ما كانوا ليجرأوا على ما قاموا به مــن اعمال في معارك النقب الثانية لولا انهم رأوا بأم أعينهم ان الجيوش العربية الأخرى وقفت في معارك النقب الاولى ، وقفة جامدة ، فلم تحرك ساكناً ولم تشاغل جيش اسرائيل ولو مشاغلة بينما كان هذا منشغلا في قتال مع الجيش المصري (١) .

بعد هذه التوطئة نريد ان نقص عليك أنباء المعارك الثلاث التي وقعت خلال تلك الفترة من الزمن فنقول :ــ

التبة ٨٦

بدأ اليهود هجومهم الأول في ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ إذ شنوا يومئــذ هجوماً شديداً باستقامة دير البلح : جاءوهــا من ناحية بئر السبع ، ووقعت بين الفريقين معركة حامية الوطيس عند التبة ٨٦ (٢) بين غزة وخان يونس . هذا بعد ان مهدوا السبيل لهجومهم من الجو : هذا هو الهجوم الاصلي . وقــد قام اليهود في الوقت نفسه بهجومين فرعيين قاصدين الحيلولة دون وصول النجدات الى القلب :ــ واحــد على غزة في الجناح الأيمن ، والآخر على خان يونس في الجناح الايسر . وفيما كان المشاة يزحفون صوب التبة

(١) اقرأ ما كتبناه في موضع آخر عن مواقف الجيوش الاخرى في معارك النقب .

(٢) كلمة تركية الاصل معناها التل او الاكمة . انها على بعد ميلين من محطة دير البلح الى الشرق .

٨٦ كانت السفن من البحر والطائرات من الجو تضرب غزة وخان يونس وما بينهما من بقاع وكان المطر ينهمر بشدة والبرد شديداً ... وكان اكثر الضرب منصباً علي خـان يونس .

فقد اغار اليهود عليها من الجو في الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم (١٢/٢٢) أغاروا عليها بأربع من طائراتهم وقذفوها بقنابلهم المحرقة. فقتل من جراء ذلك اربعة رجال وثلاث نساء (١) وهدمت بعض المنازل .

وما كاد الليل يجن (٢٢ـ١٢/٢٣) حتى كان اليهود قد احتلوا التبة ٨٦. وكان اختيارهم الهجوم في هذه البقعة من الارض اختياراً موفقاً . ذلك لأن هذه التبة مرتفعة ، ومن احتلها استطاع ان يشرف على الطريق العامة التي تربط غزة بخان يونس ، وعلى السكة الحديدية التي تصلها بمصر ، وعلى البحر من ورائها ، ولو استطاع اليهود ان يثبتوا اقدامهم فيها لقطعوا غزة والفالوجة عن القوات المصرية ، ولأصبحت تلك البقعة مـن الأرض في خبر كان .

ولكن الله اخذ بيد المصريين فقاموا في الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي (١٢/٢٣) بهجوم معاكس ، فطردوا اليهود من هناك بعد ان كبدوهم خسائر فادحة .

وقد استعمل المصريون عـدداً كبيراً من مدافع الهـاون وآخر من عيار ٢٥ رطلا . وكانوا جد موفقين في اصاباتهم . لقد انزلوا طائرتين ، واستولوا على عدد من المصفحات اليهودية .

وكانت اهدافهم خطوط القتال فقط ، فقد اكد لي اللواء فؤاد صادق باشا انه ــ طيلة فترة القتال لم يأمر بضرباية مدينة مـن المدن اليهودية . مع ان اليهود قصفوا ــ كما سبق وقلنا ــ غزة ودير البلح وخان يونس (٢) ورفح ، حتى ومخيمات اللاجئين . ولمـا انذرهم وقال لهم انه عـلى استعداد لقصف تل ابيب إذا هم عاودوا قصف المـدن أوقفوا القصف .

حدثني اللواء فؤاد صادق باشا ان اليهود الذين هاجموا التبة ٨٦ عنـد دير البلح كانوا عبارة عن لواء (Brigade) كامل ، اي ثلاث كتائب . فاذا ما علمنا ان في الكتيبة ستمئة مقاتل ، ايقنا ان عدد المهاجمين هناك كان الفاً وثمانمئة . وكانت هناك كتيبة مـن المدرعات امام خان يونس ، ومثلها امـام غزة ــ هذا بالاضافة إلى الطائرات التي كانت تقصف

(١) اقرأ اسماء الشهداء في الملحق التاسع .

(٢) اكد لي السيد عبد الرحمن الفرا رئيس بلدية خان يونس ان غارة اليهود على خان يونس من الجو في ١٢/٢٤/٤٨ تلك الغارة التي اشترك فيها خمس من طائراتهم (ثلاث من طراز Skymaster واثنتان من طراز Spitfire والتي دامت من الساعة الثامنة صباحاً حتى العاشرة كانت شديدة للغاية . اذ قتل مـن جرائها سبعة عشر شخصاً من السكان وجرح خمسة وثلاثون . وهدمت منازل عديدة .

المواضع الثلاثة من الجو . لقد قدر اللواء صادق باشا القوة اليهودية التي اشتركت في هذا الهجوم مع القوة التي كانت ترابط في بير السبع ، بعشرة آلاف مقاتل . وقد اتخذت هذه القوات بير السبع قاعدة لعملياتها العسكرية .

واما القائد الذي قاد الجيش الاسرائيلي في تلك العملية فانه روسي الأصل رتبته كولونيل وقد امتدحه القائد المصري فقال « انه قائد ممتاز ... وان الأوامر التي اصدرها لجنوده تدل على عقلية عسكرية ... وان الجنود الاسرائيليين نفذوا أوامره بدقة وإخلاص .. وان هؤلاء الجنود شباب مثقفون . بعضهم جاء من بولونيا وروسيا وتشيكوسلوفاكيا. والبعض الآخر من بريطانيا ... »

ومما قاله اللواء فؤاد صادق عن خصمه القائد الروسي انه لا يخوض غمار المعركة إلا إذا أيقن أنه سينتصر فيها، وانه ما تردد أبداً في الانسحاب من الميدان عندما رأى ان خصمه يتقدم في هجومه . وكأن به يقول : هؤلاء كثيرون ! جنودي من القلة بحيث لا يجوز لي أن أخاطر بحياتهم أكثر من اللازم !..

وأكد لي اللواء فؤاد صادق باشا أن هذا القائد الجريء قتل في المعركة التي وقعت عند التبة ٨٦ وان أخاه أيضاً قتل في خان يونس وفي اليوم نفسه . وانه (أي القائد) دفن في دير البلح . وقد سمح لليهود بنقل جثته ، فنقلوها بعد الهدنة .

ويقول الخبيرون انه ما كان باستطاعة المقاتلين الاسرائيليين ان ينسحبوا من هناك لأن المصريين قد أحاطوا بالتبة من جميع جهاتها . وقد قرر القائد الاسرائيلي الصمود ، فصمد وظل يقاتل إلى أن قتل (س٢) ولما قتل انسحب جنوده . ولم ينج منهم عند الانسحاب إلا القليل . وقدر بعضهم خسائر اليهود في هذه المعركة بعشرة آلاف بين قتيل وجريح .

ومما قاله القائد المصري ان جيشه في معارك النقب الثانية وإن كان مؤلفاً من خمسة وأربعين ألف مقاتل ، إلا ان هذا العدد من المقاتلين كان مبعثراً على طول الجبهة من العريش إلى غزة غرباً ومن العوجا إلى عصلوج جنوباً ، ومن بيت لحم إلى الخليل والظاهرية شرقاً، وان عدداً كبيراً من جنوده كانوا محصورين في الفالوجة وعراق المنشية (١) من الشمال . مع أنه هو (أي العدو) كان بامكانه أن يختار الموضع الذي سيهاجم المصريين فيه . وقد جمع قواته ، وهاجمهم عند التبة ٨٦ . فكان له ما أراد. وقد احتلها . ولم يكن فيها من المصريين سوى سرية واحدة (أي مئة جندي) من سرايا الكتيبة التي كان يقودها القائمقام عثمان عبد الرؤوف . ولقد حالف التوفيق هذه الكتيبة في هجومها المضاد الذي شنته على التبة فاستردتها

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذا الحصار في موضع آخر من الكتاب

ـ كما سبق وقلنا ـ من اليهود .

وقد أبلى الاخوان المسلمون في هذه المعركة بلاء حسناً وكان يقودهم فيها كامل اسماعيل الشريف . وأما قائد القطعات النظامية التي حاربت في ذلك القطاع فهو الاميرالاي محمود رأفت . وأما القائد العام الذي رسم الخطة ، ونجح في تنيفذهـا ـ فهو اللواء احمد فؤاد صادق .

ولقد سقط من الاخوان المسلمين ومن الجنود النظاميين عدد كبير من الشهداء ذكرناهم في (سجل الخلود) .

هذا هو الهجوم الأول الذي قام به اليهود في معارك النقب الثانية . وقد انتهى كما رأيت بالفشل .

وأما هجومهم الثاني فقد شنوه على الخطوط المصرية الممتدة من عصلوج إلى العوجا ـ حفير .

وقبل أن أنتقل بك إلى الهجوم الثاني الذي شنه اليهود هناك أرى لزاماً علي أن أنقل اليك الحادث التالي الذي لو تم لتغير وجه التاريخ في تلك البقعة من وطننا الغالي . فقد حدثني اللواء فؤاد صادق باشا الذي قاد الجيش المصري في تلك المعركة أن وزير الحربية المصرية حيدر باشا أمره ، بعد سقوط التبة ٨٦ بيد اليهود في ١٩٤٨/١٢/٢٣ ، باخلاء غزة وقطاعها والانسحاب إلى رفح . وانه خالف الأمر ، ولم ينسحب من ذلك القطاع ، قائلا لرئيسه ما يلي بالحرف الواحد :

« ازاي أنسحب وأسيب ربع مليون (١) من اخواني كالفراخ ، يذبحهم اليهود وينتهكون أعراضهم ؟ أتريدني أن آخذهم معي إلى العريش ؟ أم ادافع عن رفح ؟ كلا . لن انسحب مهما كانت النتيجة ؟ »

سكت القائد هنيهة ، ثم قال :

« بلى وربك ، فقد خالفت الأمر ولم انسحب . ولو انسحبت لتمكن اليهود من استعمال طريق غزة ـ رفح لمهاجمتي ... »

« فان وجود الجيش المصري على تلك الطريق كان خطئاً جريباً . إذ ليس للجيش المرابط عليها ، إذا ما ضرب ، إلا ان يختار احد المخرجين : البحر او التسليم . ولهذا كان الانسب ان يتخذ جيشنا بدلا منها طريق غزة ـ بير السبع . وهذا ما فعله القائد الانكليزي

---

(١) كان في القطاع الغزي يومئذ زهاء مئتي الف لاجئ وما يقرب من مئة الف من السكان الاصليين .

اللورد اللنبي في الحرب الكونية الأولى (١٩١٧) وأما نحن فقد أخطأنا (١) إذ لم نكترث لبير السبع ولم نعد العدة للدفاع عنها. بل اكتفينا بأن أبقينا فيها عدداً قليلا من الجنود لايستطيعون أن يدفعوا عنها الضر .

« كما أخطأنا في ترك المستعمرات اليهودية وراء ظهورنا كالخراج الذي يهمله الطبيب في بدن مريضه ، فيعفن وينهك قوة المريض . وكان يجب إزالتها وتطهير البلاد من شرها .

« وأخيراً لو احتفظنا بمنطقة بير السبع — غزة لتمكنا من تموين الجيش والسكان المدنيين معاً بالحبوب التي كانت متوفرة في تلك المنطقة .

« ولكن ! .. سبق السيف العذل ! .. فـــان سقوط بير السبع مهـــد لأعدائنا السبيل كي يهاجمونا في المنطقة الممتدة من عصلوج إلى العوجا » وإليك البيان :—

(ب) عصلوج — العوجا

بدأ اليهود هجومهم على الخطوط المصرية الممتدة من عصلوج الى العوجا في ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨ . ودام هجومهم هذا حتى اليوم الأخير من الشهر .

وكانت قوتهم كبيرة . فقد جاءوا في مئة وستين ناقلة للجنود ، تسندهـــا المصفحات ، وتسندها ايضاً ثماني دبابات ثقيلة من طراز شرمان

وأما القوة المصرية في هذا القطاع فكانت عبارة عن لواء كامل .

بعضه متمركز في (عصلوج) والبعض الآخر مبعثر في مواضع متعددة على الطريق التي تربط بين البلدين (بئر السبع والعوجا) وكان النصر في بادىء الأمر لليهود . اذ تمكنوا من دحر المصريين إلى الوراء . وانتزعوا منهم جميع الأراضي الواقعة بين بئر السبع والعوجـــا . وفي طريقهم الى العوجا ابادوا الحاميات المصرية التي كانت ترابط في (عصلوج) و(الشريف) وفي غيرهما من المواضع . ومن لم يقتلوه من رجال هذه الحاميات أسروه . ومن لم يقتل أو يؤسر راح يهيم على وجهه في تلك الصحراء الواسعة . حتى هؤلاء الفارين فانهم لم يسلموا مـــن أذى الطائرات اليهودية التي راحت تطاردهم ، وتزيد في انتشار الذعر والفوضى . وكانت هذه (أي الطائرات اليهودية) تتزود بوقودها وعتادها مـــن المطارات القريبة ، وفي طليعتها الأرض التي أعدها البريطانيون في عهد الانتداب لهبوط الطائرات في مديـــنة بئر السبع .

---

(٢) انه وان استعمل صيغة الجمع المذكر في قوله « اخطأنا » الا انه كان في الحقيقة يعني ان الذين تولوا قيادة الجيش من قبله هم الذين اخطأوا !...

وبسقوط (العوجا) بيد اليهود تمت لهم السيطرة على صحراء النقب كلها . وفتحت لهم أبواب سينا على مصاريعها . فراح المصريون يتمركزون في المرتفعات المعروفة بـ(الطارة) في داخل الحدود المصريـــة . وما كان يدور في خلدهم ان اليهود سيواصلون زحفهم ، وسيحاولون احتلال سينا . ولكن الوقائع أثبتت عكس ذلك. لقد دب الرعب في صفوف الجنود وفقدت القيادة المصرية في بـادىء الأمر سيطرتها عليهم . فراحوا يفرون . واغتنم اليهود الفرصة . فراحوا يتقدمون . واضطربت اعصاب قائد المنطقة الاميرالاي فؤادثابت فسقط مغشياً عليه . واطلع اليهود على هذا الوضع فراحوا يهتفون ـ(كاديما ـ كايرو ..) أي إلى الأمام !.. إلى القاهرة ! .. وتمكن اليهود في تلك الفترة من أسر ضابطين كبيرين برتبة لواء ..

ووصل الارتباك في الجيش المصري إلى درجة أن جنوده راحوا يطلبون النجاة لأنفسهم تاركين وراءهم اسلحتهم وسياراتهم .واصطدمت هذه السيارات فخرج بعضها عن الطريق وبقي البعض الآخر في عرض الطريق ، فسدتهـــا ، وكانت مشحونـــة بأنواع الاسلحـــة والمعدات والبنزين .

وحاول المصريون اقامة خط للدفـــاع عند (ابو عويقيلة) إلا أن اليهود كانوا أسرع منهم . فنسفوا الجسر الكائن على مقربة من ذلك المكان ، واحتلوا (ابو عويقيلة) نفسها ، قاصدين الحيلولة دون وصول النجدات التي كان يمكن أن تأتي عن طريق الاسماعيلية .

بعد ان احتل اليهود (ابو عويقيلة) انقسموا إلى قسمين : قسم سلك طريق الاسماعيلية ووصل إلى موضع كان فيه مطار للانكليز على بعد ١٠٨ كيلومترات من الاسماعيلية .ولكن هذا القسم قوبل بنيران شديدة من الطائرات المصرية . فقضي عليه بالمرة .

وقسم توجه صوب العريش . ووصل الى موضع يبعد عنها زهاء تسعة كيلومترات .

وفي قول انهم اجتازوا المطار الفرعي ذا الرقم ١٥ واقتربوا مـــن المطار الأساسي ذي الرقم ١٠ ولما رأوا ان عتادهم قد نفد ، ولا سيما البنزين ، عادوا ادراجهم . ومن حسن الحظ انهم لم يكتشفوا ما كان في المطار ذي الرقم١٥من بترول وعتاد . ولو رأوه وتقدموا لاحتلوا العريش .

وفيما كانت المعركة قائمة على مقربة من العريش كان اليهود يتظاهرون بمهاجمة غزة لئلا تأتي حاميتها للنجدة . وكان يقود تلك الحامية محمود فهمي نعمة الله .

وضرب اليهود على الوتر نفسه عند (خان يونس) . إذ بعثوا إليها بعدد من طائراتهم . فراحت هذه تقصفها من الجو (٢٥/١٢/٤٨) .

وظل اليهود يغيرون على تلك البقعة من الأرض بطائراتهم خمسة أيام ، الأمر الذي حدا بالسكان لمغادرة منازلهم . فالتجأوا إلى الرمال .

وفي الثلاثين من شهر ديسمبر ، ضرب اليهود القطار بين العريش والشيخ زويد ، فقتل من ركابه اثنان وجرح كثيرون .

ولم يقف المصريون مكتوفي الأيدي . بل أرسلوا طائراتهم تقصف المواضع التي يتجمع فيها اليهود . ولقد قامت هذه بواجبها حق القيام . فعطلت على مقربة من العريش دبابة من الدبابات اليهودية من طراز (شيرمان) . تعطلت اثر إصابتها بقذيفة من مدفع مصري كان على بعد مئة متر فقط . كما تعطل ستون في المئة من المصفحات اليهودية في هذه المعركة وجر اليهود تلك المصفحات ، وإن لم يستطيعوا أن يجروا الدبابة المتقدم ذكرها ــ عند انسحابهم من أمام العريش . وقد انسحبوا من هناك ومن القصمية في اليوم الأول من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ . وفي قول ان الدبابات التي تعطلت في هذا الهجوم ثلاثة . إحداها أعطبت عند ابي عويقيلة ، والثانية على مقربة من مطار العريش ، والثالثة على طريق الاسماعيلية . وقد دعي وجوه البلاد بعد وقف القتال لرؤيتها ، فرأوها . .

ويقول اللواء فؤاد صادق باشا الذي نقل إلي انباء هذه المعركة ان اليهود لم يكونوا جادين في زحفهم صوب العريش ، وانهم أرادوا ان يوهموه بأنهم يبغون احتلالها ليسحب جنوده المرابطين في رفح . ذلك لأنهم كانوا في الحقيقة يبغون مهاجمة رفح واحتلالها » .

إلى ان قال : ــ

« ولقد سحبت جنودي بالفعل من رفح . ودافعت عن العريش ، وأرجعت العدو . . . إلا انني لم اقتف اثره في تلك الاستنامة . إذ كنت أعرف حق المعرفة انه انما يبغي ان يهاجمني في رفح . ولهذا احتفظت بجنودي فيها . وعندما هاجمني هناك (اي في رفح) كنا أنا وجنودي على اتم ما نكون من الاستعداد والقوة . وقد وفقنا الله في طرده فاندحر الى الوراء تاركاً وراءه عدداً كبيراً من القتلى » .

وهكذا انتهى الشوط الثاني في معركة النقب الثانية باندحار اليهود . وكان ذلك في اليوم الاول من شهر يناير ١٩٤٩ ومع ذلك فقد تمكنوا من احتلال عصلوج والعوجا في هذه المعركة .

(ج) – معركة رفح

لم يهن اليهود بعد معركة العريش ولم ييأسوا إذ ما كادوا يرتدون من امام العريش حتى راحوا يهاجمون رفح . وقد بدأوا هجومهم هذا في مساء اليوم الأول من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ واستمروا فيه حتى الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم السابع من الشهر نفسه .

وفي هذه المعركة أيضاً ... التي دامت ستة أيام ... كان النصر حليف المصريين . وانهزم الاسرائيليون .

واليك التفصيل :–

بدأ اليهود هجومهم ... في شكل نصف دائرة ... من العوجا حتى اكمة قريبة من خان يونس .وفي الوقت الذي كان مشاتهم فيه يزحفون كانت طائراتهم تقصف رفح من الجو . وكذلك قل عن سفنهم البحرية . التي انزلت جنوداً إلى الشاطيء . فقطع هؤلاء السكة الحديدية كما قطعوا اسلاك البرق والهاتف على مسافة ١٧ كيلومتراً .

فجاء المصريون وطردوهم من هناك ·· واصلحوا العطب الذي حل بالسكة الحديدية وبأسلاك البرق والهاتف . واعاد اليهود الكرة مرة ثانية، فثالثة · واحتلوا مرتفعاً مطلاعلى (رفح) يسمى (تبة الأسرى) · واخترقوا الأسلاك المحيطة بالمعسكر · وتمكنوا من احتلال الطريق التي تربط رفح بالعريش ·

وفيما كان اليهود يقاتلون في هذه الناحية كانت طائراتهم تغير على النواحي الاخرى لئلا تأتي القطعات المصرية المرابطة في تلك النواحي للنجدة· وكثيراً ما اشتركت سفنهم بضرب تلك النواحي من البحر ·

أنظر مثلا :–

لم يخل يوم واحد من ايام الاسبوع الاول من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ من غارة جوية على غزة · وفي بعض الايام كان اليهود يغيرون عليها اكثر من مرة ·

ففي اليوم الأول أغاروا عليها ثلاث مرات فقتلوا شخصاً واحداً وجرحوا سبعة· وفي اليوم نفسه (اي في ٤٩/١/١) اغارت اربع طائرات يهودية على خان يونس فقتلت خمسة وثلاثين شخصاً وجرحت ثمانية وثلاثين .

واغارت طائرات على قطار مصر (عند محطة الميدان وعلى مسافة ١٥ كيلو متراً من العريش) وكان في القطار زهاء الف راكب . معظمهم جنود ، وبعضهم مدنيون ·ورغم

ان القاطرة اصيبت بشيء من العطب إلا أن القطار ظل سائراً بتؤدة • وكانت الخسائر في الارواح قليلة جداً •

وفي اليوم الثاني (٢/١) اغار اليهود على غزة من الجو مرتين ، ومن البحر مرتين فقتل من جراء ذلك شخصان وجرح عشرة •

وفي اليوم الثالث اربع غارات لم يقتل بها احد • وفي اليوم الرابع اربع غارات من الجو ، وخمس من البحر ، قتل من جرائها ثلاثة اشخاص ، وجرح عشرة •

وفي ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ شنت الطائرات اليهودية ثلاث غارات على غزة ، فألقت في الغارة الأولى قنبلة وفي الثانية اربع قنابل وفي الثالثة عشر قنابل • فقتل من جراء تلك الغارات خمسة اشخاص وجرح اثنا عشر شخصاً • وقصف اليهود خان يونس بمدافعهم القوسية (مورتر) من ناحية عبسان فقتلوا سبعة اشخاص • وفي اليوم التالي (٤٩/١/٦) القت الطائرات نفسهـا ست قنابل على غزة وخان يونس ، فقتلت سبعة اشخاص • وجرحت اربعة •

وضربت سفينة يهودية رفح من البحر فقذفتها باثنتين وخمسين قذيفة •

وفي مساء اليوم نفسه سقطت قنبلة في حي الدرج من احياء غزة فاصابت عائلة عربية مؤلفة من احد عشر نفراً • لم ينج منهم سوى شخص واحد هو رب العائلة فؤاد درويش ضبان ، وكان هذا اثناء الغارة في المسجد يصلي صلاة العشاء • واما باقي افراد العـائلة ، وعدتهم عشرة فقتلوا (١)

عندها صاح صائح من المصريين يقول :ــ

الوطن في خطر • وما كان هذا الصائح إلا اللواء فؤاد صادق • وقـد رآه الجنود في وسطهم يحثهم على الثبات • ويذكرهم بعظم المهمة الملقـاة على عاتقهم ، وهي تتلخص بالمحافظة على كرامة مصر وكرامة جيشها • وتقدم هو الصفوف • وتبعه الضباط والجنود تؤيدهم المدرعات • فكر الجميع على اليهود ، وحملوا عليهم حملة صادقة • وما هي إلا برهة حتى كان الرعب قد دب في قلوب اليهود • فراحوا يتراجعون ، واخيراً ركنوا إلى الفرار فقد ارتدوا عن طريق العوجا ــ عصلوج • وهكذا انتهت معركة رفح في الساعة السادسة من مساء اليوم السابع من يناير اي في اليوم الذي اعلنت فيه الهدنة بين اسرائيل ومصر ؛ وبعد اعلانها (س٢) باربع ساعات •

هذا ما اصاب اليهود في معركة رفح وهي المعركة الاخيرة التي قاموا بها في هذه الديار

(١) ذكرنا اسماءهم في الملحق التاسع .

فقدمنوا فيها بفشل ذريع رغم أنهم القوا في الميدان بكل ما كانوا يملكون من رجال وسلاح .

اختلف الخبراء في تعيين عـــدد الجنود الاسرائيليين الذين اشتركوا في معـــارك النقب الاخيرة . فمنهم من قدرهم بستين الفاً ومنهم من قـــال ، نقلا عن مراقبي هيئة الأمم انهم تسعون الفاً .

وأما اللواء فؤاد صادق باشا فقد اكد لى انهم استخدموا في هذه المعركة ثلاثة مجاميع لواآت (ثلاثة الوية) كاملة (١) وكانت خسائر الاسرائيليين في معارك النقب الثانية كبيرة (٢) جداً . قال القائد المصري انه لا يستطيع تحديدها وإن كان يميل إلى الظن بأن العـــدد الذي ذكرته الصحف (احد عشر الفاً) يشمل جميع خسائرهم في دير البلح والعريش ورفح .

واتفق الجميع في القول انهم ما كانوا (اي اليهود) ليتمكنوا من النزول الى الميدان بمثل هذا العـــدد الضخم لولا انهم انسحبوا مـــن الميادين الاخرى . ومـــا كانوا ليستطيعوا الانسحاب لو لم تقف الجيوش العربـــية الاخرى ، في تلك الفترة مـــن الحرب ، صامته لا تبدي حراكاً .

وغنم المصريون في معارك النقب الثانية بضع مئات مـــن المصفحات اليهودية وثمـــاني طائرات . وتمكن اليهود خلال الايام الاربعة التي قضوها في سينا ؛ بعد سقوط العوجا من تدمير المراكز المصرية في (القصيمة) و (الحسنة) و (الكنتلة) ومن اسر تسعمئة جندي مصري .

الآن وقد انتهينا من وصف معارك النقب الثانية ، نود ان نقص عليك ايهـــا القاريء الكريم سيرة البطل الذي انتصر فيها ، والذي ادى انتصاره الى بقاء تلك البقعة الطاهرة من ارض الوطن (من بيت حانون وغزة الى رفح) بيد اهلها ، الا وهو اللواء احمد فؤاد صادق باشا فنقول :–

انه اللواء فؤاد صادق بك منح رتبة الباشوية بعد انتصاره على اليهود في معارك النقب الثانية .

انه من الغريب ، مركز زفتا ـ بالدلتا ـ ولد في القاهرة في ١ سبتمبر سنة ١٨٩٣ من أب عربي هو محمد صادق ، وام سودانية • واتم دراسته الاولية فيها • وكذلك قل عـــن دراسته العسكرية (١٩١٣) • فقد اتمها في قسم الفرسان مـــن المدرسة الحربية • وعمل في

(١) معنى اللواء الكامل جميع الصنوف مشاة ومدافع ومدرعات وما الى ذلك ومجموع قوته عبارة عن اثني عشر الف مقاتل .

(٢) قال الجنرال رايلي والدكتور رالف بانش بعد اتفاقية الهـــدنة في رودس « لو عرف المصريون مقدار خسائر الاسرائيليين في معارك النقب لما قبلوا الهدنة » .

وحدات عسكرية بالسودان سبع سنوات . حيث اشترك في فتوح (الفاشر) وفي (اوغندا) وافريقيا الشرقية ، ثم في معارك السودان شرقه وجنوبه . واصيب بجرحين في تلك الحروب وعند عودته إلى مصر (١٩٢٠) انتقل إلى قسم المشاة . وفي عام ١٩٢٧ انتقل الى رياسة الجيش . وفي عام ١٩٤٠ تخرج من الكلية الحربية المصرية وبعد سنتين (١٩٤٢) طرد من الجيش . وكان ذلك بطلب من الانكليز واعيد الى الخدمة بعد سقوط وزارة النحاس في ١٩٤٤ ولكنه احيل إلى التقاعد بعد عام . وكانت رتبته عامئذ اميرالاي .

ولما نشبت حرب فلسطين (١٩٤٨) طلب اليه العودة إلى صفوف الجيش . ورغم انه لبى الطلب وعاد في ٦ تموز (يوليو) من تلك السنة ، إلا انهم لم يولوه قيادة القتال في فلسطين إلا عندما تأزم الوضع ودبت روح الهزيمة في الجيش . فانتدبوه لانقاذ الموقف . فغادر القاهرة في ٩ نوفمبر ١٩٤٨ . وفي اليوم التالي تسلم القيادة مشترطاً على ولاة الامور ان يكون مستقلا في حركاته ، وألا يتلقى اي امر من القاهرة . فكان له ما اراد .

ولما وقف القتال في تلك البقاع ، اذاع على السكان بيانه التالي قال :ـ

الى رؤساء البلديات والمخاتير واعيان واهالي وموظفي ومهاجري
الاراضي الخاضعة لرقابة القوات المصرية

لقد من الله علينا بنصر تام على اليهود . وقد دفعوا في هجومهم الغادر مدة سبعة عشر يوماً كل ما جمعوه للاعتداء على الجيوش العربية والعرب اهالي فلسطين . لقد كانوا يسوقون جنودهم في آخر مراحل القتال بفصائل من الهاجاناه تضربهم بالرصاص ليداوموا الهجوم. ولكن قوة الله وبسالة الجندي المصري لم تقف فقط في وجه هجومهم بل ردتهم على اعقابهم بعد ان خسروا كل ما جمعوه .

لقد كان لموقفكم النبيل المشرف وايمانكم بنصرة الحق احسن الاثر في نفسي ونفس جنودي . فلقد احتملتم متاعب الغارات وضحاياها ، كما احتملتم ضغط العدو باذاعاته الكاذبة ومنشوراته . ولقد كنتم رابطي الجأش ثابتي العزيمة فلم تسببوا لي متاعب في الخلف بالرغم مما لاقيتم من خسائر .

فباسمي واسم جنودي اشكركم اولاً واهنئكم بهذا الايمان وهذه العزيمة الصادقة وابشركم

بنهاية سارة بفضل الله قريباً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رفع في ١٠ ربيع الاول الموافق ١٩٤٩/١/١٠ . لواء اركان حرب

احمد فؤاد صادق

قائد عام القوات المصرية بفلسطين

معركة عراق المنشية

قام اليهود بهجوم عنيف على عراق المنشية (١) ليلة ٢٨/٢٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ بعد ان مهدوا لهذا الهجوم بنيران شديدة من مدافعهم وطائراتهم طوال النهار والشطر الاكبر من الليل .

بدأوا هجومهم في الساعة الثانية من صباح اليوم الثامن عشر ، فاحتلوا جانباً من القرية بعد ان فتحوا ثغرة في خط الدفاع كانت ترابط فيه قوات سودانية . ولكن ماكاد الفجر يبزغ حتى جاءت الكتيبة المصرية السادسة لانقاذ القرية . وقامت هذه بهجوم مضاد يقودها الصاغ (٢) جمال عبد الناصر . فطردت العدو ، بعد ان كبدته مئتين وخمسين قتيلا وعدداً كبيراً من الجرحى وخمسة اسرى . وخسر المصريون مئة قتيل وقتيل ، وجرح منهم مائة وخمسون .

كانت هذه آخر معركة وقعت بين المصريين واليهود في قطاع الفالوجة . وراح اليهود بعد ذلك يقذفون المصريين المرابطين في الفالوجة بوابل من قنابلهم من الجو ونيران بنادقهم من البر ، واستمروا كذلك حتى الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم السابع من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ حيث اوقف القتال تنفيذاً لقرار مجلس الامن .

وتشاء التقادير ان يسافر جمال عبد الناصر هذا . خلال عام ١٩٥٠، وبعدان انقضى عام او يزيد على وقف القتال ، إلى اسرائيل . سافر اليها بناء على طلب تقدم به اليهود بوساطة لجنة الهدنة ليدلها على المكان الذي دفن فيه قتلى اليهود المائتان والخمسون الذين تقدم ذكرهم لخدلهم . وكان مندوب اسرائيل في هذه المشكلة هو الضابط نفسه بروهان كوهين ... الذي طلب في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ ، من المصريين المحصورين في الفالوجة

---

(١) قرية من القرى التابعة لقضاء غزة ، تقع على مقربة من الفالوجة ويعيش فيها زهاء الفي نسمة من السكان كلهم عرب مسلمون . وهي واقعة على الطريق العام التي تربط قطاع الخليل بقطاع غزة

(٢) البكباشي جمال عبد الناصر قائد الثورة بمصر (١٩٥٢) وقد انتخب بعدئذ رئيساً للجمهورية المصرية . وعندما توحدت مصر وسورية في جمهورية عربية متحدة اصبح رئيساً لها ١٩٥٧ .

الاستسلام قائلا انه لا أمل يرجى من المقاومة . وقد تقدم يومئذ نحو الخطوط المصرية في عربة يرفرف عليها علم أبيض وقال انه موفد لهذه الغاية من لدن (بيجال آلون) قائد القطعات الاسرائيلية في جنوب فلسطين .

وكان جمال عبد الناصر أول من قابل هذا الضابط ، ونقل رسالته إلى قائد الكتيبة القائمقام حسين كامل الذى اتصل بدوره بالاميرالاي السيد طه قائد قطاع الفالوجة . وكان الجواب يومئذ بالرفض . وظلت الفالوجة صامدة إلى أن اتفق الفريقان على وقف القتال وأمضي الاتفاق في رودس وقد ذكرنا ذلك في موضع آخر من الكتاب.

حصار الفالوجة

إن للفالوجة وحصارها قصة نرويها لك في السطور التالية :ـ

(الفالوجة) قرية كبيرة ، وإن شئت فقل مدينة صغيرة ـ كان يعيش فيها (سنة ١٩٤٣) زهاء سبعة آلاف نسمة من السكان . كلهم عرب مسلمون . وكان فيها مجلس محلي ذو عشرة أعضاء ، رئيسهم الشيخ محمد عواد ، وهو من خريجي الأزهر بمصر .

انها تبعد عن غزة أربعين كيلو متراً وهي منها إلى الشمال الشرقي ، وعن القدس خمسة وسبعين كيومتراً وهي منها إلى الجنوب الغربي .

فيها دار للبلدية ، وسوق للخضار وللحيوانات . وفيها أيضاً مدرستان إحداهما للذكور والاخرى للاناث .

ويقال انه مدفون فيها ولي من أولياء الله يسمونه (أحمد الفالوجي) مدفون في مسجد معروف باسمه ، وقد بناه (بكر بن أيوب) حوالي القرن الثالث عشر للميلاد .

هذه المدينة الصغيرة واقعة على الدرب السلطاني الذي يصل سهول غزة والمجدل بجبل الخليل ، وعلى الطريق التي تصل شمال فلسطين بجنوبها وبالقطاع المعروف ببئر السبع. وهي من هذه الناحية ذات أهمية عسكرية . هذا بالاضافة إلى أهميتها التجارية . ولهذا بذل اليهود جهوداً كبيرة من اجل الاستيلاء عليها ، واهتم العرب كثيراً من اجل الاحتفاظ بها ولقد بقيت عربية طيلة فترة القتال : من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم ١٩٤٧/١١/٢٩ إلى أن أمضيت اتفاقية الهدنة بين مصر وإسرائيل (٢٤|٢|١٩٤٩) وبعبارة أفصح إلى أن غادرها المصريون في ١٩٤٩/٢/٢٦ .

ولما لم يجد اليهود سبيلا للوصول إليها أثناء القتال ، حاصروها . فصمد لهم حماتها صموداً يستحق الاعجاب والتقدير .

بدأ حصار اليهود للفالوجه في ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٤٨ فيكون الحصار قد دام ١٣٠ يوماً .

ونرى لزاماً علينا ، قبل أن نروي لك قصة الحصار ، أن نقص عليك أخبار هذه المدينة خلال الفترة التي سبقته . فنقول :

لم يكن في الفالوجة ، عند بـدء النضال . سوى عشر بنادق . ولكن ما كاد النضال يشتد حتى تكتل رجال المدينة ، وراحوا يعملون يداً واحدة لدرء الشر عن مدينتهم (١) . واشترى هؤلاء بأموال البلدية وبمبالغ جمعوها عن طريق التبرع عدداً من البنادق من مصر ، فأصبح لديهم مئة وخمسون بندقية ، كما اشتروا أربعة مدافع من طراز برن ومدفعين (اويز) مضادين للدبابات ومسدسين للاشارة وبعض الأعتدة . وأعطاهم الانكليز عشر بنادق و٢٥ طلقة لكل بندقية . وكان في الفالوجة خمسة وأربعون من رجال البوليس البلـدي . وكان هؤلاء مسلحين بالبنادق والاعتيادية .

وحدثت عدة اشتباكات بين الفريقين العرب واليهود في شهري شباط (فبراير) وآذار (مارس) سنة ١٩٤٨ . وكان النصر في هـذه الاشتباكات سجالا . وكان يقود المناضلين طارق الافريقي . وفي أحد هذه الاشتباكات جاء اليهود مـن ناحية (غات) في ١٢ آذار ١٩٤٨ في أربع عشرة سيارة . فهاجم فريق منهم أولا كراتيا ، وكان هجومهم هذا للتغطية وفيما كان هذا الفريق يهاجم كراتيا وقد خف أبناء الفالوجة لنجدتهم راح فريق آخر يهاجم الفالوجة . وقد جاءوا في ست سيارات كبيرة . فاقتحموا البلدة ونسفوا دار البلدية (٢) وركض أبناء كراتيا وحتى وعراق المنشية لنجدة اخوانهم ابناء الفالوجة . فتمكن الجميع من صد اليهود وارجعوهم إلى الوراء .

بعد حادث نسف دار البلدية حصن الفالوجيون بلدهم تحصيناً متيناً . فأنشأوا حولها الخنادق واقاموا الأسلاك . وراح حماة المدينة يصدون كل طارق ، حتى ان قافلة عسكرية مؤلفة من ست مصفحات انكليزية ارادت أن تمر من هناك، فتصدوا لها ومنعوها من المرور وكان ذلك في ٢٧ آذار ١٩٤٨ . وكانت القافلة متجهة يومئذ صوب بيت لحم لتنجد قافلة

---

(١) تألفت فيها لجنة قومية قوامها اعضاء المجلس البلدي وهم الشيخ محمد عواد «رئيس» عبد المجيد الحمان، رشدي الحاج اسماعيل . احمد حسن عواد . جبر عليان . يوسف عبد الفتاح . خميس الشوبكي . خالد مصطفى والمخاتير وهم : احمد حرب . ابراهيم علي النجار . محمد رمضان . عبد القادر عبد الرحمن . ومن الوجوه : — حسين مصطفى . احمد فرج . رشدي رصرص . عبد القادر اليوسف وغيرهم . وتألفت من هؤلاء ومن اعضاء القرى المجاورة (حتى . عراق سويدان . عراق المنشية . بيت عفا . كراتيا . عبدس . جسر . صميل . تلين) ، ومن بعض العشائر لجنة قومية مركزية عهد اليها بادارة شؤون القتال في القطاع كله .

(٢) نسفت دار البلدية في اليوم الذي اعقب نسف دار الوكالة اليهودية في القدس «١١ آذار ١٩٤٨»

كفار عصيون (١)

ولما كانت الفالوجة محاطة بالمستعمرات، وكان هذا العدد الذي تملكه من السلاح والعتاد لا يكفي لدرء الشر عنها ، فقد سافر وفد من أبنائها في اواخر شهر نيسان إلى عمان طالباً النجدة . ولكن هذا الوفد الذي الف من اثنين وعشرين شخصاً عاد بخفي حنين . إذ قيل له ان الجيش العربي لا يستطيع ان يفعل شيئاً قبل انتهاء الانتداب في ١٥ ايار . وكل ماحصل عليه في رحلته تلك كان عبارة عن صندوقين (؟) من الرصاص . مع ان الرصاص الذي انفقوه في الحادث الاخير عندما تصدوا للجنود البريطانيين في ٢٧ آذار كلفهم ستة صناديق . فتأمل .

عندما يئس الفالوجيون ولم يتلقوا اي عون من الناحية الأردنية واوا وجوههم شطر مصر . وذهب وفد منهم في ١ ايار (مايو) سنة ١٩٤٨ الى العريش حيث قابل الاميرالاي اركان حرب محمد نجيب (٢) القائد الثاني للقوات المصرية التي كانت ترابط على الحدود . وكان على رأس الوفد رئيس بلدية الفالوجة الشيخ محمد عواد . فشرح له هذا الموقف ؛ واستنجد به طالباً اليه ان يعمل على احتلال الفالوجة وعراق سويدان وما إلى ذلك من المواضع ذات الأهمية الاستراتيجية قبل ان يحتلها اليهود . وإلا فان الوقت يكون قد فات، ويصبح اشغال هذه المواقع من رابع المستحيلات إذا ما تلكأ المصريون في الزحف .

هذا ما قاله لي رئيس البلدية الشيخ محمد عواد . وقد اطلعت على صورة فوتوغرافية لشهادة أمضاها الاميرالاي اركان حرب محمدنجيب بوصفه (قائد اللواء الرابع المشاةوحامية قطاع المجدل ــ عراق سويدان ــ الفالوجة ــ بيت جبرين ــ الخليل) ذكر فيها المعلومات المتقدم ذكرها ؛ وقد ختمها بقوله :

« فكلفت بعض قوات المتطوعين بقيادة القائمقام احمد بك عبد العزيز بالاستيلاء على عراق سويدان وعلى القطاع المجاور له ، مما كان له احسن الاثر في الاحتفاظ بهذه النقطة المهمة » .

عندما جاء المتطوعون المصريون تولى قيادة المناضلين في الفالوجة قائد مصرى يدعى (حسين عرفه) ولما اجتاز الجيش المصري النظامي الحدود في ١٥ ايار راح يتقدم فدخلت بعض قطعاته غزة ، والبعض الآخر المجدل . ووصلت إلى الفالوجة في ٢٢ ايار قوة مصرية يقودها الاميرالاي السيد طه فاتخذها هذا مقراً لقيادته .

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذه القافلة وعن المعركة التي قامت بين العرب واليهود في « الدهشة » بتاريخ ١٩٤٨/٣/٢٧

(٢) بطل الانقلاب المصري « سنة ١٩٥٢ » ورئيس الجمهورية المصرية سنة «١٩٥٣» .

وفي ٢ حزيران سنة ١٩٤٨ جاءت الكتيبة الاولى فحطت رحلهــا في الفالوجة وتولى قياده حامية البلد البكباشي محمد احمد عفيفي .

وظلت الفالوجة في مأمن من طوارىء الحدثان الى ان بدأت معارك النقب الاولى في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٤٨ ، وبدأ حصار الفالوجة . الامر الذي سنقصه عليك في السطور التالية : ـ

بدأ الهجوم اليهودي في ١٤/١٠/١٩٤٨ وكانت قوتهم عبارة عـن ثلاثة آلاف مقاتل معظمهم من رجال البلماخ . وهم من المشاة . هبطوا فلسطين حديثاً مــن تشيكوسلوفاكيا وايطاليا والمانيا . تؤيدهم الطائرات ذوات المحركات الاربعة والدبابات من طراز(ماتيلدة) والمدافع من مختلف العيارات (١٦ رطل و٢٥ رطل و١٠٥ مليمتر) ومدافع الهاون وبرنات واسلحة أوتوماتيكية اخرى .

القائد (الجنرال ستيلا) يهودي . وكذلك قل عــن مساعــده البريجادير باروخ . وفي ١٦/١٠/٤٨ هاجم اليهود الفالوجة وعراق المنشية وبيت عفا وعراق سويــدان . ولكنهم ارتدوا تاركين وراءهم خسائر كثيرة ، منها سبع دبابات تشيكية . والمعتقد ان هذا الهجوم كان مصطنعاً الغاية منه جس النبض واختبار قوة المصريين .

وفي ١٧/١٠/١٩٤٨ احتل اليهود مدرسة عراق المنشية . ولكنهم فشلوا في الوصول إلى قلب القرية . اذ قاومهم المصريون بمدافعهم فردوهم إلى الوراء . وفيما كان اليهود يزحفون الى الوراء راحت المدافع المصرية تحصدهم ، واشتبكت فئتان من الفريقين بالسلاح الأبيض: فئة سودانية واخرى يهوديــة . اشتبكتا على الدرب السلطاني ، فكان النصر للسودانيــين والمصريين وبلغ عدد القتلى من اليهود في هذه المعركة مئتين . كانت القوة المصريــة هناك عبارة عن ثلاث كتائب هي الاولى والثانية والسادسة . وكان رئيس اركان الكتيبة الثالثة جمال عبد الناصر . واما قائد القوة كلها فهو قائد الكتيبة الاولى الاميرالاي السيد طه .

وفي ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٨ وقف القتال تنفيذاً لقرار مجلس الامن . ولكن اليهود الذين لا يعرفون عهداً ولا ذمة ، عادوا فنكثوا عهدهم بعد ثلاثة ايام . ونزلوا إلى الميدان هذه المرة (في ٧/١١/١٩٤٨) بأعداد كبيرة من محاربيهم ؛ قدرها بعضهم بأحد عشر الفاً ، مزودين بالاسلحة الضخمة ، منها سبع وعشرون دبابة من الدبابــات الثقيلة وخمس طائرات كبيرة من النوع المعروف بـ Sky Master . فهاجموا الفالوجة وعراق سويدان وبيت عفا ،و استمر هجومهم يومين . فسقط مركز البوليس في عراق سويدان (١) وأسر

(١) ذكرنا كيف سقط في موضع آخر من الكتاب

اليهود قائده اليوزباشي صلاح بدر .

واستمر ضرب اليهود للقرى المتقدم ذكرها حتى ٩ نوفمبر . وكان شديـداً . وكان نصيب الفالوجة وحدها من القنابل المحرقة في تلك الليلة ٢٨٨ هدفها الرئيسي المطحنة وخزان المياه وانسحب المصريون من عراق سويدان نفسها ، ومن بيت عفا المجاورة لهـا . وكان ذلك في ١٠/١١/١٩٤٨ . وجاء في اليوم التالي (١١/١١/١٩٤٨) إلى عراق المنشية يهودي يدعى قوهين : جاء رافعاً بيده علما ابيض ، فدعا قائد الحامية السيد طه لمقابلة القائد برنشتين في (غات) المستعمرة اليهودية القريبة منه . فلبى السيد طه الدعوة . وذهب اليـه . ولكن الشروط التي فرضها اليهود للتسليم رفضها السيد طه ، كما رفض الامر الذي وجه اليـه قبل ذلك بثلاثة أسابيع من قبل رؤسائه ليغادر الفالوجة ويركض لنجدة بير السبع ؛ نعم انـه رفض ذلك ، وفي قول ان عمله هذا عرّضه للمسؤولية من قبل رؤسائه . وسقطت بير السبع في ٢١ تشرين اول (اكتوبر) كما فصلنا ذلك في غير هذا المكان .

وفي ٢٢ كانون اول (ديسمبر) سنة ١٩٤٨ قام اليهود بهجوم عام على المصريين في طول الجبهة من غزة إلى دير البلح فخان يونس ورفح .

وظهر بعد قليل ان هجومهم هناك كان بقصد التغطية ، إذ ما كاد المصريون يسوقون إلى تلك الجهة جزءاً من قواتهم ليبعدوا عنها اليهود حتى قام هؤلاء (أي اليهود) في ٢٧ كانون اول بهجوم على جبهة الفالوجة فخرقوا الحصار ، ودخلوا عراق المنشية . دخلوهـا ليلا . وكانوا قد مهدوا لهجومهم هذا بقصف القرية ثماني واربعين ساعة . قصفوها من البر والجو وقتلوا خمسة عشر سودانياً من رجال حاميتها . وكان يقود تلك الحامية يومئذ الصاغ جمال عبد الناصر (١) . وما كاد اليهود يدخلونها . وقبل أن يوطدوا اقدامهم حتى فيها جاءت قوة مصرية من ناحية الفالوجة ، فطوقت عراق المنشية . وابادت كل من كان فيها من اليهود . وقدر عددهم يومئذ بمئتين وخمسين مسلحاً . لم ينج منهم سوى خمسة اشخـاص وقعوا في الأسر (٢) وغنم المصريون كل ما كان مع اليهود ليلتئذ من بنادق وبرنات ومن مدافع هاون ، كما غنموا سبع دبابات تركها اليهود في ارض المعركة . وطلب اليهود مـن المصريين ان يرسلوا اليهم ضابطاً يفاوضهم فذهب جمال عبد الناصر واجتمع بضابط يهودي . وكان كلا الضابطين يرفع راية بيضاء . ولما التقيا كلف الضابط اليهودي الضابط المصري بالتسليم . فرفض عبد الناصر . واستمر القتال .

---

(١) ان البكباشي جمال عبد الناصر رئيس وزراء مصر في يومنا هذا «سنة ١٩٥٤»

(٢) زبيل «هنغارى» . وولف «هولندى» . سلدون «فلسطيني» . اوديت «لتواني» مأمون «يمني»

ان هذا النصر الذي ناله المصريون في عراق المنشية لم ينقذهم من الحصار . فقد ظلوا محصورين فيها وفي الفالوجة . وكانت قوتهم هناك عبارة عن لواء ، هو اللواء الرابع يقوده الاميرالاي سيد طه . وقد اسمي (لواء الفالوجة) وكانت كل كتيبة من كتائبه الثلاث (الاولى والثانية والسادسة) عبارة عـن الف ومئتي جندي . ثلثاهم محاربون والثلث الآخر كتاب وطهاة وجنود غير محاربين . وانضمت الى هذه القوة بعد قليل وقبل رفـع الحصار قوة أخرى فأصبح عدد المصريين الموجودين في الفالوجة وعراق المنشية خمسة آلاف . قائدهم الاميرالاي السيد محمود طه . وقد لقب بعدئذ بـ (الضبع الاسود) يساعده الصاغ زكريا محيي الدين (١) وكان هذا رئوس اركان القوة .

ومن الضباط المصريين الذين كانوا يقودون القوة المصرية في الفالوجة وعراق المنشية اثناء حصارهما : الصاغ جمال عبدالناصر ، اليوزباشي صلاح سالم (٢) ، القائمقام عزيز حيدر القائمقام مفيد رزق الله . القائمقام احمد توفيق (٣) ، الاميرالاي حسين كامل (٤) ، اليوزباشي امين احمد ، الصاغ غالي مسيحة ، اليوزباشي محمود كشك . اليوزباشي محمود الملامي . اليوزباشي صلاح بدر (٥) الملازم الاول شمس الدين بدران (٦) . اليوزباشي اسماعيل فريد . اليوزباشي ابراهيم البغدادي . اليوزباشي محيي الدين ابو العز . البكباشي محمد احمد عفيفي . الملازم اول مصطفى حافظ . اليوزباشي احمد لطفي واكد . الصاغ يس الجزاوي . اليوزباشي حسن تهامي . اليوزباشي محمد وحيد الدين . وغيرهم ممن لم تحضرنا اسماؤهم .

وكان مع القوات المصرية في الفالوجة مدافع كثيرة خمسة منها من العيار الثقيل تصيب الهدف مـن مسافة ١٧ كيلو مترا . وكثيراً ما قصفت المواضع اليهودية في بيت جبرين . وبعضها من عيار ١٠٥ رطل انكليزي . كما كان لديها مدافع من النوع المقاوم للطائرات . بيد انه ما كان بامكان المصريين ان يفيدوا من مدافعهم هذه في ضرب المواضع اليهودية لأسباب فنية هي قصر المسافة بينها . هذا بالاضافة إلى أن عتادها كان قليلا . وإن كانوا قد افادوا منها في ضرب الطائرات . وأسقطوا واحدة منها في احدى الغارات .

وكان التعاون بين المصريين والسكان الاصليين من ابناء الفالوجة على اتمه وكان هناك

---

(١) صار بعدئذ وزيراً للدولة في حكومة الثورة
(٢) وزير الارشاد القومي .
(٣) كان في بيت عفا .
(٤) كان في عراق المنشية .
(٥) اسر في عراق سويدان .
(٦) كان هذا مرافقا للقائد العام السيد طه .

من هؤلاء يومئذ زهاء ثلاثة آلاف نسمة بين ذكور واناث . وكانت المؤن متوفرة . وكان نصيب الشخص الواحد من الخبز في كل يوم رغيفين . فكان في الفالوجة مقادير كبيرة من القمح (١) والشعير .

قال اليوزباشي صلاح سالم في مقال له نشرته مجلة (التحرير) المصرية العدد ١٤ التاريخ ١٣ آذار ١٩٥٣ ان (البقسماط) وهو نوع من الكعك المجفف كان عماد قوة الفالوجة اثناء الحصار ، وان مقداراً كبيراً من هذا الكعك كان قد وقع بيد المصريين عندما هاجموا قافلة يهودية ضخمة من السيارات تحمل المأكولات لمستعمراتهم الكائنة في جنوب فلسطين. وكان يقود المصريين يومئذ اليوزباشي حسن تهامي .

وكانت هناك لحسن الحظ مطحنة كبيرة يطحنون فيها الحنطة ، فأغار عليها اليهود بطائراتهم من الجو اربعين مرة . إلى أن تمكنوا في المرة الأربعين من تدميرها . فاستعاض الأهلون والجنود عن الدقيق بالقمح المسلوق (البليلة) والقمح المحمص بالنار . أضف إلى ذلك الحبوب والمؤن التي كانت تصل إليهم في طرق سرية ، من جبل الخليل (٢) وكانت تحمل إليهم على ظهور الدواب منها الحمير والجمال . فكانوا يأكلون العدس والفول والبازلا . وقد اشترى الجيش المصري ستة وعشرين جملا لهذه الغاية . ولما علم اليهود بذلك راحوا يركزون غاراتهم الجوية على الجمال. وكان اللحم متوفراً (٣) وأما العتاد فكان يأتيهم من مصر بالطائرات . ويلقى عليهم من الجو . وكان ينقص المحصورين التبغ والسكر والشاي والصابون والمادة المطهرة المعروفة بـ (د . د . ت .) كما كانت تنقصهم الثياب الشتوية .

ولم يكن في الفالوجة مستشفى ميدان . لا ولا آلات جراحية كافية . ومع ذلك فقد كان المحصورون من جنود ومدنيين يتمتعون بصحة جيدة . وكان هناك طبيبان هما : الدكتور محمد رشاد خضر . والدكتور محمد صفوة . إلا ان العقاقير الطبية كانت قليلة . وعبثاً حاول المصريون استيراد الادوية من مصر . وكانت القوات المصرية المحصورة في الفالوجة تصدر مجلة باسم (الفالوجة) وكانت هذه تطبع بالجلاتين . وكان اليهود يمطرون

---

(١) حدثني رئيس البلدية الشيخ محمد عواد ان الاهالي اخرجوا معهم عند فك الحصار خمسين طنا من القمح .

(٢) فشلت المحاولة التي اجراها المصريون لتموين الفالوجة من غزة .

(٣) تمكنت قافلة مؤلفة من اثنين وخمسين جملا من الوصول الى الفالوجة من ناحية الظاهرية بعضها «وخمسة» محملة مؤنا والباقي اعتدة فبعد ان استعمل الجنود ما تحمله من مؤن راحوا يستعملون لحمها للاكل . وكان ذلك بتاريخ ١٩/١١/١٩٤٨

البلد بأوراق ومناشير كتبت بلـغة عربية ركيكة . يدعون فيهـا القوات المحصورة إلى الاستسلام . وقد دعوا في احد مناشيرهم السكان المدنيين لطرد المصريين من بينهم وانا لننقل فيما يلي واحداً منها ألقته الطائرات اليهودية من الجو قال :-

« إلى أهالي النقب والجنوب ،

قد تقرر مصير الجيش المصري في هذه البلاد . فنرقه مبعثرة ومطوقة . وطرق ، واصلاته مقطوعة ، وهو على وشك الانهيار .

لا اقصد محاربة سكان البلاد . ولكن ان لحقت بكم الويلات والخسائر فلا عمـداً مني ولا قصداً ولكن هي الحرب .

ايها السكان ، إذا عزت عليكم حياتكم وحياة عائلاتكم فاقذفوا بالمصريين الغرباء الى ما وراء الحدود . ها هم اخوانكم العرب في الناصرة وعكا وحيفا يزاولون اعمالهم اليومية بسلام وهدوء فاقتدوا بهم يا أولي الالباب .

وان عجزتم عن طرد المصريين ووقف القتال فانني انصحكم بأن تبعدوا نساءكم واطفالكم عن هذه المنطقة الى ان يقضي الله امراً كان مفعولا »

القائد العام للقوات الاسرائيلية
في الجبهة الجنوبية

ولكن المحصورين ، من مصريين وفلسطينيين ، لم يستسلموا . لا ، ولا سمحوا لليأس أو الوهن ان يجد سبيلا إلى أفئدتهم ، هذا رغم ان الطائرات اليهوديـة كانت تقوم بغارات يومية عليهم . وقتل منهم حوالي ستمئة شخص : ثلثاهم من المدنيين (١) والثلث الآخر من الجنود النظاميين (٢) وهكذا ظلت الفالوجة صامدة صابرة إلى أن عقدت اتفاقية الهدنـة الدائمة في رودس (٣) بين اليهود والمصريين . وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٤٩ .

فقد قضت المادة الثالثة لتلك الاتفاقية ، بانسحاب القوات المصرية المسلحة من الفالوجة إلى ما وراء الحدود المصرية الفلسطينية عملا بقرار مجلس الأمن الصادر بتاريخ ١٩٤٨/١١/٤ و١٩٤٨/١١/١٦ ونص الملحق الاول لتلك الاتفاقية على ان يبـدأ الانسحاب في الساعة الخامسة مـن ١٩٤٩/٢/٢٦ وينتهي في غضون خمسة أيـام . وأن يتم ذلك تحت إشراف المراقبين الدوليين . وهكذا كان . فانسحب المصريون منها عن طريق سويدان – برير –

---

(١) كان اليهود يصوبون نيران مدافعهم على منازل الاهلين لاعتقادهم ان الجنود مختفون فيها .

(٢) قتل في يوم واحد زهاء اربعة وعشرين سائقا من سائقي السيارات العسكرية .

(٣) اقرأ ما كتبناه عن هذه الاتفاقية والاتفاقيات الاخرى المماثلة لها والمعقودة بين اسرائيل والدول العربية في مواضع اخرى وفي الملاحق المخصصة في آخر الكتاب

غزة ــ رفح .

ورغم ان الرسائل التي تبودلت في ٢٤ شباط سنة ١٩٤٩ بين والتر ايتــان Walter Eytan رئيس الوفد الاسرائيلي والدكتور رالف بانش Ralph J. Bunche الوسيطالدولي بالنيابة ، والتي ألحقت بالاتفاقية المذكورة كجزء منها منحت المدنيين من سكان الفالوجة وعراق المنشية الاصليين حق البقاء في ديارهم أو مغادرة تلك الديارفي الوقت الذيتغادرها فيه القوات المصرية كيف يشاؤون ، فالذين يغادوون منازلهم منحوا حق التوجه صوب منطقة الخليل ، على ان يتم ذلك تحت إشراف المراقبين الدوليين . واما الذين يختارون البقاء فقد احتفظت إسرائيل لنفسها بحق اعتبارهم (أسرى حرب) . وفي كلا الحــالين يكونون امينين على ارواحهم واملاكهم ، ومنازلهم وأمتعتهم الشخصية .

هذا ما جاء في الاتفاقية . ولكنه بقي حبراً على ورق . إذآثر معظم الفالوجيين مغادرة الديار ، على ان يعيشوا في ظل العلم الاسرائيلي . وآثر فريق غير قليل منهم البقاء فيمنازلهم حتى يقضي الله امرآكان مفعولا .ولكناليهود بوسائلهم الشيطانية(١) ارغموهم على مغادرتها، فغادروها . وليس في الفالوجة في يومنا هذا احد من ابنائها .

وقد اطلعت على برقية ارسلها اللواء احمد فؤاد صادق باشا، بوصفه القائد العامللقوات المصرية التي حاربت في فلسطين ، إلى رئيس بلدية الفالوجة الشيخ محمد عواد قال فيها : « احيي بطولة اهل الفالوجة واشيد برباطة جأشهم وعظيم اخلاصهم وحسن معاونتهم » وكان ذلك بتاريخ ١٨ آذار (مارس) سنة ١٩٤٩ .

موقف العراقيين من المصريين في معارك النقب

عندما خرق اليهود الهدنة الثانية ، وهاجموا المصريين ، واحتلوا مساحات واسعة مــن أراضي النقب . راح المخلصون من بني يعرب يتساءلون :

« لم لا يهاجم الجيش العراقي اليهود في القطاع الاوسط من فلسطين (جنين وطولكرم) ليخفف وطأة الهجوم اليهودي في النقب . ولم يكن الشعب العراقيأقل اهتماماً بالوضع القائم من أي قطار عربي آخر . يدلك على هذا القرار الذي اتخذه مجلس الامة العراقي في جلسته المنعقدة في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٨ . واليكه بالحرف الواحد :

---

(١) من الوسائل التي اتخذها اليهود لارغام العرب على النزوح من الفالوجة انهم فرضوا عقب دخولهمالقرية نظام منع التجول . فما كان يجوز لأحد ان يغادر منزله سوى ساعة واحدة في كل يوم . وكانوا يطلقون النار باستمرار في الليل والنهار . وقتلوا عدداً كبيراً من السكان دونما ذنب اقترفوه.

« ياسة مجلس الأمة

بناء على المذكرات التي جرت ، اقترح ان يتخذ مجلس الأمة قراراً بتوجيه الحكومة بالقيام فوراً بما يقتضي لتنفيذ الأمور التالية :

اولا : وضع خطة عسكرية للدفاع عن فلسطين يوضح فيها لكل جيش من الجيوش العربية واجباته واهدافه .

ثانياً : وضع خطط سياسية عسكرية موحدة مقرونة بتأييد صريح قطعي من ذوي الحل والعقد والمسؤولين في الدول العربية ، تبين بصراحة ووضوح الاعمال الحاسمة التي ينبغي القيام بها للقضاء على اية محاولة لتكوين دولة يهودية في فلسطين . ومن ضمن ذلك الخطة التي يجب اتباعهـا لمقاومة اي قرار تتخذه هيئة الامم المتحدة لتكوين دولـة يهودية في فلسطين .

ثالثاً : ان تستهدف الخطط الواردة في المادتين السابقتين العمل السريع بجميع الوسائل العسكرية والسياسية ، لتطهير اراضي فلسطين من العصابات اليهودية ومـن ضمنها مدينة القدس بكاملها ، وذلك لخطورة أهميتها من النواحي العسكرية والسياسية والدينية »

هذا هو القرار الذي اصدره مجلس الامة العراقي . وقد احيل الى الحكومة العراقـية لتتولى تنفيذه . وكان يرأسها يومئذ مزاحم الباججي . وقد طلب هذا إلى القائد العـام للجيش العراقي ، الجـنرال نور الدين محمود باشا ، ان يصدر امره الى الجيش باستئناف الهجوم في الجبهة الوسطى .

ولكن الامر بالهجوم لم يصدر . وظلت الجبهة الوسطى صامتة . وبقي الجيش العراقي في مواضعه جامداً لا يتحرك . فتلقى المصريون الضربة وحدهم . ولم تظهر الحقيقة بعد . ولا يعلم احد حتى الآن لماذا لم يقم الجيش العراقي بهجومه المرتقب. وقد تضاربت الاقاويل فمن قائل ان القائمين على الامر في بغداد (والمعنيون هنا هم الامير عبد الاله ، الوصي على العرش ؛ ونوري باشا السعيد الزعيم العراقي المشهور ، والعميد الركن نور الدين محمود باشا قائد الركن والعميد الركن صالح صائب باشا الجبوري رئيس الاركان) ماكانوا يميلون الى استئناف القتال ؛ وانهم ـ في هذا الموضوع نفسه ـ كانوا ضالعين مع عبد الله بن الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية . وهذا كان على اتفاق تام مع الانكليز الذين وضعوا مبـدأ التقسيم ؛ وعملوا على تنفيذه بكل ما يملكون مـن جهد وتصميم ؛ فقد اكد لي صديق اثق بصدق روايته ، وهو من سراة بغداد ، انه عندما صدر قرار التقسيم جرى اتصال بين الملك عبد الله في عمان من جهة ، وابن اخيه الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق من جهة

أخرى . وان الملك عبد الله قال يومئذ إنه يفضل مشروع التقسيم ، وأنه على استعداد لتحقيقه بجيشه ، وعلى الجيش العراقي أن يسنده فقط . وان القائمين على الأمر في بغداد (١) أقنعوه بضرورة إشراك الجيوش العربية كلها في القتال ، على أن لا تتعدى حدود التقسيم . واتهم المصريون نوري السعيد بأنه قبل ان يتسلم رئاسة الوزارة العراقية تدخل لمنع تنفيذ قرار مجلس الأمة العراقي القاضي باعداد العدة لاستئناف القتال . وبالتالي لابعاد مزاحم الباجحي بحجة أنه أخفق في تنفيذ قرار مجلس الأمة المذكور ، ليحل هو محله . وكان لـه ما أراد . فاستقال الباججي . وحل محله نوري السعيد . وفي الرسالة التي وجهها اليه الوصي في ١٩٤٩/١/٦ طلب منه ان يضع نصب عينيه بالدرجة الاولى قضية فلسطين وإنقاذها من محنتها وتنفيذ مقررات مجلس الأمة الصادر بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٨ .

ولسنا نعلم ما الذي فعله نوري السعيد طوال شهر كانون الأول . وان كنا سمعنا عن لجنة ألفها في ١٠ كانون الثاني ١٩٤٩ برئاسة جميل المدفعي وعضوية رئيس مجلس النواب والنائب حسين الجميل للاشراف على تنفيذ مقررات مجلس الأمة . وفي اليوم ذاته ارسل السعيد إلى رئيس وزراء مصر ابراهيم عبد الهادي خطاباً اقترح فيه دعوة اركان الحرب للتشاور في الموقف وتأليف رتل آلي عراقي يحارب في الجبهة الجنوبية إلى جانب الجيش المصري . فأجابه ابراهيم عبد الهادي بقوله ان مصر حين دخلت حرب فلسطين كانت تعرف ما ينبغي لها مواجهته ؛ وانها أعدت العدة له . وان رؤساء اركان الجيوش العربية كانوا قد اجتمعوا في شباط ١٩٤٨ ، فليس ثمه داع لمشاورات جديدة . وكان هذا الجواب ينطوي على الريبة وفقدان الثقة .

ولما كان معظم اللوم قد وجه إلى نور الدين محمود وصالح صائب بوصفهما القائدان المسؤولان عن إدارة دفة القتال (إذ كان الأول كما سبق وقلنا قائد الجيش العراقي ، والثاني رئيس الاركان ، فقد رأيت من مصلحة التاريخ ان استطلع رأيهما فيما جرى . ولما زرتهما على انفراد في بغداد . اكد لي الأول (نور الدين محمود) انه اقترح على ولاة الأمر في بغداد يومئذ مهاجمة الاسرائيليين في القطاع الاوسط . إلا انهم لم يقروه في اقتراحه .

واليك ما قاله لي بالحرف الواحد :

« لاحظت والمعركة قائمة بين الجيش المصري والاسرائيلي في جنوب فلسطين ان الجبهة اليهودية المقابلة للخط العراقي اصبحت خالية من معظم القوات التي كانت ترابط فيها . ورأيت ان الفرصة مؤاتية لمهاجمة الجيش الاسرائيلي في هذه المنطقة ، وان في ذلك نفعاً لنا

---

(١) المقصود هنا شخصان ، هما : الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق ومعتمده الوحيد نوري باشا السعيد .

وللمصريين . فأبرقت إلى رئاسة الاركان — وكان يتولاها يومئذ العميدالركن صالحصائب باشا الجبوري — مقترحاً مهاجمة الجيش الاسرائيلي . ولكن طلبي لم يلب . وكان من امر المصريين في جنوب فلسطين ما كان »

واطلعت اثناء وجودي ببغداد ، على امر اصدره صالح صائب باشا الجبوري بوصفه رئيس الاركان وقد وجهه الى قائد القوات العراقية بتاريخ ٢٠|٦/٤٨ عدد ٧١ وقد جاء فيه ما يلي :—

« ان واجب القوات العراقية الآن هو الدفاع عن المنطقة الموزعة فيها القوات وليس القيام بمهاجمة المستعمرات الصهيونية والاستيلاء عليها .

« بالنظر لوجود الهدنة فليس هناك ما يبرر بقاء جميع قطعاتكم في تماس دائم مع العدو في الخطوط الأمامية . ففي وسعكم سحب معظمها الى مناطق مناسبة خلف القواطع للاستراحة ... »

واكد لي صادق البصام . الذي كان وزيراً للدفاع في وزارة اباجحي التي تولتشؤون العراق في غضون الهدنة الاولى انه :

« عندما اشتبك المصريون واليهود في قتال بالنقب كان باستطاعة الجيش العراقي ليس فقط ان يتقدم في القطاع الاوسط ، بل كان باستطاعته ان يحتل تل ابيب ، وان ينقذ المصريين . إذكانت جبهته خالية من الاعداء . وكان لديه (اي لدى الجيش العراقي) خمسة وعشرون فوجاً »

إلى ان قال :

« ليست القضية قضية نقص في الجيوش ، او نقص في الاسلحة ، او نقص في الاعتدة . وإنما هي قضية خيانة ، وانصياع بعض رؤساء الدول العربية إلى الانكليز . هذا هو الذي أخرنا . وهو الذي اضاع علينا فلسطين » .

ولما سألته عن موقف الجيش العراقي في حرب النقب قال :

« انني القي التبعة في ذلك على رئيس الأركان صالح صائب باشا الجبوري »

وحدثني اسماعيل صفوت باشا عن موقف الجيش العراقي من المصريين في حرب النقب قال :

« ان مجلس الوزراء العراقي فوض يومئذ صالح صائب باشا باتخاذ كل ما يسمح به الموقف العسكري الراهن من تدابير للتخفيف عن الجيش المصري . ولكن صالح صائب لم يستطع ان يفعل شيئاً » .

بعد ان سمعت ما قاله نور الدين محمود وصادق البصام ، اجتمعت الى صائب صالح فأكد لي انه لم ير البرقية التي قال نور الدين انه ارسلها اليه . وانهم لم يعثروا لهـا على اثر لا في رئاسة الاركان ، ولا في قيادة الجيش بالميدان . ومع هذا فقد قام الجيش العراقي بما يجب عليه من تدابير لمساعدة اخيه الجيش المصري . اذ أرسلنا فوجاً كاملا ألى قطاع الخليل وامرناه ان يبقى هناك تحت تصرف المصريين . وان هذا الفوج بقي في الخليل شهراً كاملا دون ان يطلب اليه المصريون ان يقوم بأي عمل . ولاثبات قوله اطلعني صالح صائب باشا على كتاب مـن الميرالاي سعد الدين صبور ممثـل القيادة المصرية في الزرقاء تاريخـه ١٩٤٨/١١/١٧ ، يطلب فيه ارسال الفوج العراقي . كما اطلعني على برقية من القيادة العراقية العامة وكتاب تاريخه ١٩٤٨/١١/٧ ورقمه ح ٥٧٤/١٦/٢ وقد جاء فيها ان الفوج العراقي تحرك إلى بيت لحم . واراني ايضاً كتاباً من ضابط الاتصال المصري في الزرقـاء ، تاريخه ٤٨/١٢/١٥ ورقمه ١٥/٢١٢ يقول فيه :

« انه لم يبق ثمة حاجة لبقاء الفوج العراقي في المنطقة المصرية » .

أيد هذا القول رئيس اركان الجيش العراقي في يومنا هذا (١٩٥٣) اللواء رفيق عارف باشا ، عندما تحدث إلي في هذا الموضوع بتاريخ ١٩٥٣/١٢

وحدثني الزعيم الركن انيس وزير الذي قاد الفوج العراقى المتقدم ذكره ، وكان يومئذ برتبة مقدم ، فقال :ـ

« أمرت بأن أتوجـه مع فوجي إلى قطاع بيت لحم ، وان اضع فوجي تحت تصرف القائد المصري الزعيم سعد الدين صبور . كان ذلك في ١٩٤٨/١١/١٧ . وبعد ذلك بيومين (١١/١٩) كنا في بيت لحم : ثمانمئة مقاتل . ومعنا أربعة مدافع هاون ذوات ثلاث عقد ، وثمانية رشاشات من الحجم المتوسط ، بقيادة المقـدم الركن محسن محمد علي : وعقدنا في اليوم التالي (١١/٢٠) مؤتمراً برآسة صبور ، وحضره سليم الكرادشة الضابط الركن المسؤول عن ذلك القطاع من الضباط الاردنيين ، والبكباشي طباره ، وأنا : فرسمنا خطة تقضي بأن يقوم الفوج العراقي بحركة تعرضية في قطاع بيت لحم ، وان يقطع طريق القدس الخليل على اليهود ، عندما يقوم المصريون بحركة خروج من الفالوجة .

« ومكثنا بانتظار حركة الخروج المزمعة ولكن تلقى صبور بعد اسبوع برقية تقول انه تقرر تأجيل حركة الخروج مـن الفالوجة انتظاراً لحل سلمي سياسي لاخراج القطعات المصرية المحصورة هناك .

وهكذا بقينا دون اي عمل الى ان صدرت الأوامر إلى القوات المصرية والاردنية معاً

بايقاف اطلاق النار وكان ذلك حوالي ١٩٤٨/١٢/٩ .

وفي ١٩٤٨/١٢/١٤ أبلغتنا القيادة المصرية انه لم يبق ثمة حاجة لبقاء الفوج العراقي في قطاع بيت لحم ، فانسحبنا إلى الشونة »

جاء في الصفحة ٢١٣ من (تقرير لجنة التحقيق النيابية في قضية فلسطين) .. ذلك التقرير الذي رفعته الى المجلس النيابي في بغداد بتاريخ ٣ ايلول ١٩٤٩ ما يلي :—

١ — ان المصريين لم يقبلوا ؛ في تموز ١٩٤٨ ، توحيد القيادة . فلا قبلوا وضع جيشهم تحت قيادة عربية موحدة ، ولا رضوا ان يتولوا هم هذه القيادة

٢ — لم توافق مصر على وضع اية خطة مشتركة للتعاون بين الجيوش العربية .

٣ — لم تكن مصر ، عندما رفضت هذا التعاون ، لتتوقع مهاجمة اليهود لجيشها

٤ — عندما قام اليهود بمهاجمة المصريين في جنوب فلسطين ، لم يبلغ هؤلاء قيـــادات الجيوش العربية خبر ذلك الهجوم

٥ — استفسرت القيادة العراقية عن الحقيقة من ضابط الارتباط المصري شفهياً . فأنكر هذا الخبر ، قائلا ان موقف الجيش المصري يدعو الى الارتياح

٦ — اعاد العراق استفساره خطياً . فلم يحصل على جواب من ضابط الارتباط المصري

٧ — عقد اجتماع اثر ذلك في عمان بتاريخ ٢٧ تشرين الاول ١٩٤٨ حضره الملك عبد الله والامير عبد الاله والنقراشي رئيس وزراء مصر ورئيس اركان الجيش العراقي ومحسن البرازي وزير خارجية سوريا . وتم الاتفـــاق على القيام بحركات مشتركة في صبيحة اليوم التالي لتخفيف الضغط عن الجيش المصري من قبل الجيشين العراقي والسوري من جهة ، والجيشين المصري والاردني من جهة اخرى .

ولكن فوجىء المجتمعون بتصريح من النقراشي جاء فيه انه لايرى لزوماً للقيام بالحركات المتفق عليها . إذ ان هجوم اليهود قد توقف ، وان مصر تريد الاحتفاظ بالمدنة .

٨ — عندما قام اليهود بهجومهم الثاني ، وطوقوا المصريين بالفالوجة ؛ سافر الى مصر وفد عراقي ، ليعرض رغبة العراق في تعاون الجيوش العربية .

« يجب علي ان ابحث هذا الحادث من الناحية المصرية ؛ لأري ماذا يقول المصريون » وأرى من الفائدة ، قبل ان اختم هذا الفصل ان اسجل النبذة التالية عن سيرة صالح صائب باشا رئيس الاركان الذي ذكر اسمه في هذا الحادث اكثر مـــن اي انسان آخر فاقول :—

انه ابن محمد الجبوري . والجبور بطن من بطون القبائل التي تعيش في العراق . ولد في

بغداد سنة ١٩٠٠ . وأتم دراسته الابتدائية فيها. واما دراسته العسكرية فقد أتمها في استانبول سنة ١٩١٥ . واشترك في الحرب الكونية الأولى (١٩١٤) اولا في جناق قلعة . ثم في القفقاس وعاد عندما وضعت الحرب اوزارها إلى وطنه العراق (١٩٢١) وسافر بعدئذ (١٩٢٧) إلى انكلترا ، حيث التحق باحدى وحدات الجيش البريطاني . ثم عاد إلى بغداد (١٩٣٢) حيث التحق بكلية الاركان واشترك في معظم الحركات الداخلية التي حدثت في العراق . كحركة الاكراد في بارزان (١٩٣٢) والاشوريين (١٩٣٣) وعشائر الفرات (١٩٣٥) .

وانتدب مدة رئيساً لمرافقي الملك غازي (١٩٣٣) . وتدرج في مناصب الجيش حتى اصبح اميراً ركناً للواء (١٩٤٤) .

وكان طوال الحرب الفلسطينية ، رئيساً للاركان برتبة فريق . وعندما وقف القتال (١٩٤٩) رفع الى رتبة عميد ركن .

وفي عام ١٩٥١ عين عضواً في مجلس الاعيان العراقي فاستقال من الجيش .

معركة هاكوفتش

انها آخر معركة قام بها الجيش العراقي قبل انسحابه من فلسطين . وقد خاض غمارها العراقيون والفلسطينيون جنباً إلى جنب . وإذا ما ذكرنا الفلسطينيين هنا عنينا شباب قلقيلية والطيرة ومناضليها المسلحين .

بدأت المناوشات بين العرب واليهود في هذا القطاع قبل منتصف الليل (٢/٣ كانون الثاني ١٩٤٩) ، عندما قام اليهود ، رغم الهدنة بمهاجمة قرية الطيرة واشترك في هذا الهجوم فوجان من مقاتليهم يقدر عددهم بخمسمئة فصمد المجاهدون من ابناء هذه القرية وما كان عددهم يزيد على الثلاثين وركض العراقيون لنجدتهم بمدافعم وكانت هذه قد نصبت في مكان قريب من طول كرم ولكن اليهود كانوا من الكثرة بحيث تغلبوا على المناضلين ، فدحروهم الى الوراء واحتلوا التلال الثلاثة الواقعة الى الشرق من هاكوفتش وسقط من العراقيين في هذه المعركة تسعة شهداء ومن المناضلين الفلسطينيين مثل هذا العدد . وتعقب اليهود المقاتلين العرب المنهزمين على ذراعين : ذراع نجح في تقدمه حتى وصل الى نقطة تقع امام محطة قلقيلية وآخر بدأ زحفه في اتجاه الطيرة إلا انه عاد فانسحب خشية ان يتورط في قتال في شوارعهـا . هكذا كان الوضع في آخر الليل . وعندما انبثق فجر اليوم التالي (١٩٤٩/١/٣). قام العرب بهجوم معاكس . فاستردوا موضعين من مجوعة كلمافيا ، وموضعاً ثالثاً من مجوعة هاكوفيتش ومع هذا فقد ظل اليهود محتفظين بمعظم المرتفعات

التي احتلوها في الليلة السابقة وبهذا سيطروا على طريق طول كرم قلقيلية سيطرة تامة .

عندئذ تم تعزيز القوة العراقية بسريتين اخريين : سرية مشاة واخرى مدرعات. ارسلها العقيد نجيب الربيعي من كفر قاسم وكذلك فعل اليهود الذين قووا صفوفهم. فوقف الفريقان وجهاً إلى وجه كل منهما يبغي القضاء على الآخر .

العرب في الطيرة وقلقيلية وكفر سابا العربية والداعور وجلجولية وطول جبهتهم عشرة كيلو مترات يقودهم الرئيس الاول الركن شاكر محمود شكري آمر الفوج الاول الآلي ومعه سرية المناضلين الفلسطينيين ومئتان من رجال الحرس الوطني تابعون إلى بلدية طول كرم . وكان مع العراقيين بطرية ميدان (٢٥ رطل) وثلاث مفارز مقاومة للدبابـــات ومفرزتان مقاومتان للطائرات وسرية مدرعات وفصيل من المدافع القوسية (ذات ٥و٤ عقدة)وفصيل هندسة . فكان مجموع القوة ٢،٥٠٠ رجلا معهم ٥٥ ضابطاً . معظمهم عراقيون وبعضهم فلسطينيون وكان هذا الرتل الذي اطلق عليه (رتل عوف) تابعاً لجحفل لواء المشاة الأول العقيد نجيب الربيعي وقد اتخذ هذا طول كرم مقراً له .

واليهود في مسكة ورامات هاكوفتش وكلمانيا وفي الكينا الشمالية والكينا الجنوبية وكفر سابا العربية وبيار موسى . وقوتهم عبارة عن ست سرايا ومعهم عدد كبير من المتطوعين وعشروون مصفحة وبطرية مو المدافع المنوعة (١٨ رطل و ٧٥ر٢ عقـــدة) فكان مجموع القوة تسع سرايا يقودها ضابط برتبة عقيد . اتخذ (كلمانيا) مقراً له .

أما العرب فكانوا يهدفون إلى استرداد التلال القائمة امام (رامات‌ها كوفتش) والمواضع الاستراتيجية الهامة الواقعة في منطقتي كفر سابا . وكلمانيا .

وأما اليهود فكانوا يهدفون إلى احتلال (قلقيلية) هذه البلدة العنيدة المجاهـــدة الصابرة التي صمدت لأعدائها صمود الجبابرة . وقد حصنها سكانها تحصيناً تاماً ، حتى اصبحت على استعداد لقتال الشوارع .

مر اليومان الثالث والرابع من شهر يناير ، في هدوء تام ، قضاهما كل فريق متحسساً مواضع القوة والضعف عند الفريق الآخر ومعداً نفسه للنزال. وكذلك قل عن اليوم الخامس. وان قام العراقيون خلال ذلك بهجوم مصطنع على المواضع اليهودية في (جلجولية) ليوهموا اليهود انهم يقصدون مهاجمتهم في ذلك القطاع بينما كانوا في الحقيقة يستهدفون مهاجمـــة (رامات هاكوفتش) وتمكنت سرية مؤلفة من مئتي مقاتل ، نصفهم عراقيون والنصف الآخر فلسطينيون ، من احتلال معظم المواضع اليهودية القائمة في تلك المنطقة ، من ابادة حامية يهودية مؤلفة من ثلاثين مقاتلا . قتلوا جميعاً وخسر العراقيون هنا ستة شهداء آخرين

إلا (تل كوفتش) نفسه فقد ظلت حاميته فيه وكانت هذه عبارة عن سريتين وكان اليهود قــد حصنوه ، وعززوا حــاميته بخمس وعشرين رشاشة وستة مدافــع مضادة للدبابات .

وزار الجبهة في صباح اليوم السادس اللواء نورالدين محمود قائد القوات العراقيةوالعقيد الركن نجيب الربيعي آمر اللواء . فقررا تعزيز القوة بقوات اضافية وأسلحة ساندة وهكذا كان ، ووصلت سرية من سرايا الفوج الثاني اللواء الخامس إلى الميدان ولكن هذه السرية لم تشترك في قتال . ذلك لأن السريتين اللتين سبقتاها كانتا قد أتمتا مهمتهما قبل ان تصل هي إلى الميدان وكان (تل هاكوفتش) قد سقط بيد العرب . وتفصيل الخبر :

انه ماكادت شمس ذلك النهار تعاو ، حتى كان المجــاهدون العرب يزحفون صوب (تل هاكوفتش) وماكاد النهار ينتصف حتى كان التل محاطاً بالعرب من ثلاث جهات .

ولكي يخفف اليهود من ضغط العرب على (تل هاكوفتش) راحوا يقصفون مديــنة قلقيلية بنيران مــدافعهم . وراح العراقيون يقصفون كلهانــيا وكفر سابــا ورامات هاكوفتش نفسها بنيران مدافعهم .

ودام البراز على هذه الخطة حتى الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين ، حيث انهزم اليهود ، وسقط التل بيد العرب . تم ذلك قبل وصول السرية الاخيرة التي ذكرناها قبل قليل وكان رجال هذه السرية يتحرقون شوقاً لخوض المعركة ولما رأوا ما رأوا راحوا يبكون وراحوا يتساءلون . لماذا لا نسير قدماً فنحتل (رامات ها كوفتش) نفسها ؟ فقيل لهم قوتنا لا تزيد على ثلث ما عند اليهود من قوة .

حدثني العقيد الركن شاكر محمود شكري (١) آمر الفوج الآلي الذي أدار هذه المعركة وقد زرته ببغداد في اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر ١٩٥٣ متطلعاً اخبار هذه المعركة ــ وكان يومئذ برتبة رئيس أول ــ فقال :ــ

كانت هــذه المعركة خير دليل على تعــاون الفلسطينيين والعراقــيين ، وعلى الجرأة والاخلاص والروح العالية التي يتحلى بها اهــالي قلقيلية وفي مقدمتهم رئيس البلدية السيد عبد الرحيم السبع .

إلى ان قال :ــ

« غنمنا في هذه المعركة ثمانية مدافع (اربعة هاون ٢ عقدة واربعة من طراز بريــدا

---

(١) ولد في بغداد سنة ١٩١٦ وتخرج من الكلية العسكرية برتبة ملازم ثان سنة ١٩٣٦ . ودخل كلية الأركان سنة ١٩٤٢ ، وتولى منصب مقدم لواء القوة الالية سنة ١٩٣٧ . واشترك في حرب فلسطين ١٩٤٨ حيث عين آمراً للفوج الالي الاول ، ورفع الى رتبة عقيد ركن سنة ١٩٥٣

وهي مقاومة للدبابات) وتسعة وعشرين رشاشاً (اربعة منهـــا برن وهي متوسطة والباقي هوشكنس وهي خفيفة) واربع قاذفات من طراز فيات واربعة آلاف طلقة ومقادير لا بأس بها من البنادق والرشاشات من طراز ستن ومن الاعتدة والذخائر. ولم نخسر سوى ١٧ شهيداً و ٤٥ جريحاً . منهم اربعة شهداء وعشرة جرحى من المناضلين الفلسطينيين . وامـــا اليهود فقتل منهم في اليوم الاخير من المعركة (٦ يناير) خمسة وسبعون وجرح كثيرون هذا بالاضافة إلى الثلاثين الذين قتلوا عند بدء المعركة » .

موقف الجيش السوري من المصريين في معارك النقب

واما الجيش السوري فكان في اثناء معارك النقب ظاهر الانفعال . ولقد قـــام بعدة مناوشات على طول الجبـــهة التي كان يحرسها بقصد اشغال اليهود والحيلولة دون تخفيف قواتهم في تلك الجبهة . فقد أكد لي ضابط سوري كبير ان الجيش السوري عندما احتدم القتال في النقب ناوش اليهود مناوشة عنيفة في الجبهةالشمالية الشرقـــية . وان الزعيم حسني الزعيم ، القائد السوري العام في تلك الفترة من القتال. طلب من القيادتين العراقية والاردنية ان تسمحا لطابور سوري باجتياز المثلث العربي (قطاع نابلس وجنين وطول كرم) ليتمكن من الالتحاق بالقوات المصرية المحاربة في جنوب فلسطين ، والوصول إلى الفالوجة إذا أمكن عن طريق بيت لحم والخليل وبير السبع .

ولكن طلبه هذا قد رفض ولا يعلم احد الى الآن فيما إذا كان الرفض قد جاء من القيادة العراقية ام الاردنية .

وان قال قائل ان الحكومة الاردنية لم تسمح بمرور القوة السورية من اراضيها . وقال آخرون ان الميرآلاي صبور بك ضابط الارتباط المصري في عمان ، نصح حكومته بـــأن تستغني عن القوة السورية لنقص عتادها . والله اعلم بالصواب .

معركة مشمار هاياردن

في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٩ جلا السوريون عن مستعمرة (مشمار هاياردن) . وراح العرب يتساءلون لماذا جلوا ! وان قال قائل ان ذلك كان مـــن مقتضيات اتفاقية الهدنة .

جلوا عنها بعد ان مكثوا فيها سنة وخمسة شهور . وكانوا قد احتلوها في ٩ حزيران ١٩٤٨ . ولهذا الاحتلال قصة نرويها لك في السطور التالية : ــ

إليك هـــذا الوصف الموجز لمعركة مشمار هايـــاردن ، كما خـــطه الكتاب اليهـــود بأقلامهم (١) .

في اليوم الذي كانت المدن اليهودية تحتفل ابتهاجاً باعلان الدولة اليهودية في ١٤ ايار ١٩٤٨ كانت مستعمرة (مشمار هاياردن) (٢) ترتعش خوفاً وجزعاً . ذلـك لأن المدافع السورية كانت توجه إليها فوهاتها من وراء الحدود القريبة منها . وكانت تعيش في ظلام دامس . لا تعرف ماذا يخبئه لها الغد القريب . ولهذا قرر رجال المستعمرة ابعـاد النساء والاطفال عنها . فأبعدوا في ١٦ ايار . ولم يبق فيها سوى المحاربين . وفي عصر ذلك اليوم حلقت في سماء المستعمرة ثلاث طائرات سورية . وراحت تلقي حممهـا على المستعمرة . وما هي إلا برهة حتى اندلعت ألسنة اللهيب تتصاعد من عــدة اماكن في المستعمرة . ولم تسبب هذه الغارة من الجو خسائر في الارواح ، لأن حماة المستعمرة قبعوا في مخـابئهم . واقتصرت اعمال الجيش السوري خلال المدة الواقعة بين ١٦ ايار و ٤ حزيران على قصف المستعمرة من البر والجو .

ففي ٤٨/٥/١٧ قصفتها الطائرات السورية من الجو . وفي ٤٨/٥/٢٠ قصفتها المدافع السورية من البر ثلاث ساعات . وفي ٤٨/٥/٣٠ رماها الجيش السوري بالراجمات الكهربائية وعادت المدافع السورية في ٤٨/٦/١ لقصفها بنيران المـدافع . وفي ٤٨/٦/٥ اشتد قصف المدافع . وعبر الجنود السوريون نهر الاردن من ناحية (كفر طوبا) متجهين نحو المستعمرة وفي الوقت نفسه راحت الطائرات السورية تقصف مستعمرتي (روشبينا) و (نجمة الصبح) . وكانت الخطة السوريه ترمي إلى عزل مستعمرة (مشمار هاياردن) ثم احتلالها . واقامـة جسر على نهر الاردن تستطيع ان تعبره الدبابات والمدرعات ويستطيع الجيش ان يدخل منه إلى فلسطين .

وفي ٥ حزيران شرع السوريون يقصفون المستعمرة من مدافعهم التي نصبوها في سفح (الجولان) ؛ وكان قصفهم محكما وعنيفاً . ذلك لأنهم ارادوا الانتقام لأعمال التخريب التي قام بها رجال (البالماخ) في اليوم السابق ، وفي نقطة تقع على بعد ثلاثة كيلو مترات من الحدود في الاراضي السورية .

ولقد اعقب هـــذا القصف زحف المشاة السوريين . وقد زحف هؤلاء في اتجاهين ،

---

(١) اقتبسنا هذا الوصف من فصول ترجها عن العبرية السيد درويش الشامي من موظفي مكتب الارتباط الخارجي بالقدس . وقد اسماها (في خط النار)

(٢) مستعمرة يهودية صغيرة كان يسكنها : (في عام ١٩٥٥) مئة وثلاثون يهوديا . انها تبعد عن (جسر بنات يعقوب) زهاء مئتين وخمسين مترا ، الى الجنوب من بحيرة الحولة .

بقصد الاطباق على المستعمرة . وما كادوا يعبرون النهر على النقالات في نقطة تبعد كيلومتر واحد جنوبي المستعمرة ، حتى التقوا والمدافعين وجهاً لوجه . فاشتبك الفريقان في قتـــال عنيف : وكاد السوريون يتغلبون ، لولا ان اتت اليهود نجـــدات كثيرة من المستعمرات المجاورة . ولئن تكبدت هذه النجدات خسائر فادحة قبل وصولها إلى المستعمرة ، لأنه كان عليها ان تتجنب سلوك طريق الاسفلت الواقعة تحت سيطرة المدافع السورية وان تترك السيارات التي اقلتها على مقربة من خربة (ياردة) فتسير على الاقدام في بطن الواد المعروف بـ (كرد البقرة) ، وكان عليها بعدئذ ان تجتاز سهلا فسيحاً مكشوفاً للمدافع السورية الرشاشة . وقد اجتازته زحفاً على البطون . وما كاد الليل يجن حتى كان عدد القتلى من اليهود قـــد أربى على المئات .

واستأنف السوريون زحفهم في صبيحة اليوم التالي (٦ حزيران) وتحركت قواتهم على ذراعين : ذراع جاء من الشمال وآخر مـــن الجنوب ، قاصدين تطويق المستعمرة وانقسم الذراع الشمالي ايضا إلى فرعين : فرع أم قريـــة (طوبه) وطوق المستعمرة من الجنوب . والآخر تقدم في وجه مقاومة عنيفة ، واستطاع الالتفاف حول المستعمرة من الشمال .

وزحفت قوة سورية جديدة على المستعمرة من الغرب . وقد تم بذلك تطويق المستعمرة وعزلها عن المناطق اليهودية الأخرى عزلا تاما . ومني اليهود بخسائر فادحة فوقع عدد كبير منهم قتلى وجرحى . وكادت المستعمرة تقع بيد السوريين . ولا يعلم احد كيف ؟ ولمـــاذا انسحب الجيش السوري في تلك اللحظة (١) . وانسحب من حول المستعمرة، وعبر النهر. وبانسحابه رفع الطوق الذي كان مقاما حول المستعمرة . فراحت النجدات تتدفق اليها من كل صوب . فتنفس اليهود الصعداء . ذلك لأن معارك اليومين الاخيرين كانت قد ابتلعت معظم رجالهم .

وفي صبيحة اليوم التالي (٧ حزيران) وصلت إلى المستعمرة اول سرية من سرايا جيش الهاجنا النظامي . فارتفعت معنويات اليهود . وقضوا ذلـك اليوم واليومين اللذين تلواه (٨و٩ حزيران) في اعمال التحصين .

وفي عصر اليوم التاسع شرع السوريون في قصف المستعمرة من جديد. وظلوا يقصفونها بالقنابل من مدافعهم الثقيلة إلى ان جن الليل وخيم الظلام . عندئذ راحوا يعبرون النهر . وقضوا الليل كله في عبور وتطويق للمستعمرة . ومـــا كاد الفجر ينبلج حتى رأى الفريقان

---

(١) ذهب الكتاب اليهود الى الظن بأن مقر القيادة السورية لا بد وان يكون قد اصيب ، وان القوات السورية اصبحت بلا قيادة .

نفسها وجهاً لوجـــه ، فالتحا . ودارت رحى المعركة في هذه المرة بين الابنية الواقعة في الطرف الشرقي للمستعمرة : من شارع إلى شارع ... ومن بيت إلى بيت ... ومن جدار إلى جدار .

وما كاد النهار ينتصف حتى كانت جميع خطوط الدفاع قد انهارت .. وكانت شوارع المستعمرة قد امتلأت بالقتلى والجرحى .

وراحت الدبابات السورية تجتاح شوارع المستعمرة ، قاذفة لهيبها ذات اليمين وذات اليسار على المباني التي راحت تتهاوى ، الواحد بعد الآخر .

وتبعثرت الحامية اليهودية . فلجأ بعض فلولها إلى بيتين في اقصى الشمال من الغرب ، واختفى البعض الآخر في الأقبية والمخابىء تحت الارض .

ولما وصلت قوات التطهير السورية ، وكان الوقت عصراً ، عثرت على هؤلاء المختبئين وكان هؤلاء يتوقعون أن يبطش بهم السوريون . ولكن السوريين كانوا أرفع من ذلك . إذ اكتفوا بأسرهم . وعـــاملوهم معاملة الاسرى . وسقطت (مشمار هاياردن) بأيـــدي السوريين .

ولم تمض فترة قصيرة على سقوط (مشمارهاياردن) حتى واصلت القوات السورية زحفها فاحتلت مستعمرتي ريشبينا (الجاعونة) و (ايلات هاشحر) . وكانوا يريدون التقدم . لولا أن حل موعد الهدنة الأولى (١١ حزيران) .

واعتبر اليهود سقوط هذه المستعمرة بيد أعدائهم كارثة لا بد مـــن تلافيها . فراحوا يرسمون الخطط لاستردادهـــا . واستغلوا فرصة الهدنة الاولى (١١ حزيران ــ ١٠ تموز) فقووا صفوفهم : كما قووا جيشهم بالاسلحة والاعتدة المتنوعة التي أتوا بها من الخارج . الأمر الذي وصفناه في غير هذا الموضع من الكتاب .

وما كاد القتال ينشب من جديد ، حتى راح اليهود يناوشون السوريين،وقد بدوا بمظهر دل على أن زمام المبادرة كان ، في هذه المرة ، بأيديهم .

فكان أول عمل قاموا به (١٤ تموز) أن عملوا على تصفية (رأس الجسر) (١) عـــن طريق تطويق القوات السورية وعزلها عن قواعدها الرئيسية . وقد مهدوا لهـــذه العمليات بقصف المراكز السورية من مدافعهم . ثم شرعوا في الهجوم . وكانت قوتهم يومئذ تقدر بـ ٦٠٠٠ مقاتل .

---

(١) كان السوريون خلال الهدنة الاولى قد حصنوا (راس الجسر) الذى سيطروا عليه في فتوحاتهم قبل الهدنة . وذلك تحصيناتهم على انهم يريدون الاحتفاظ به كقاعدة لعملياتهم الحربية عندما يستأنف القتال .

فخرجت قوة يهودية من كيبوتس (دردره) الواقعة على الضفة الشرقية لبحيرة الحولة ميممة شطر مخفر البوليس السوري والاستحكامات السورية القائمة هناك قاصدة احتلالها واحتلال قرية (جلبينة) .

وفي الوقت نفسه عبرت قوة أخرى النهر من نقطة تقع إلى الجنوب من مشمار هاياردن قاصدة احتلال الهضاب السورية المشرفة على المستعمرة . وكان على هذه القوة أن تتصل مع القوة الزاحفة من (دردره) .

وتهيأت قوة ثالثة لمهاجمة الجيش السوري في (مشمار هاياردن) نفسها .

فانتبه السوريون لهذه الخطة . وراحوا يصبون على اليهود نيران مدافعهم . وكانت في هذا الوقت قافلة من الزوارق اليهودية قد خرجت من مستعمرة (حولتا) وجعلت من نفسها جسراً مرت عليه الوحدات اليهودية المقاتلة . وهناك (عند رأس الجسر) نشبت بين الفريقين معركة عنيفة ، اشتركت فيها المصفحات السورية ، وخسر فيها الفريقان عدداً غير قليل من القتلى والجرحى .

وقذف السوريون الى الميدان في صباح اليوم التالي (١٢ تموز) خمسا وعشرين دبابة ، تساندها قوة عراقية من الجو . وذاق اليهود ، لأول مرة ، هول الطائرات المنقضة ، وما ألفوا هذا النوع من القتال من قبل . ولم يمض إلا القليل حتى ولوا الادبار . وانسحبوا إلى الوراء ، زاعمين انهم اعطبوا بمدافعهم المضادة للدبابات (من نوع فيات) عدداً من الدبابات السورية ، وأسقطوا طائرة . وبدا من نتائج المعركة ان زمام المبادرة لا يزال بيد السوريين الذين تعقبوا فلول اليهود حتى مستعمرة (حولتا) وكيوبتس (دردره) . ونشبت معركه عنيفة عند بيارة الخوري ، فتداولتها الأيدي أكثر من مرة. كما نشبت معركة مريرة عند خربة ياردة (١) . وهذه ايضاً تبادلتها الأيدي ثلاث مرار . وظلت في النهاية بيد السوريين . وخسر اليهود عدداً كبيراً من القتلى والجرحى في هذه المعارك .

وظل السوريون مسيطرين على هذا القطاع إلى إن بدأت مفاوضات الهدنة بينهم وبين اليهود وكان ذلك في ٥ نيسان ١٩٤٩ وانتهت تلك المفاوضات في ٢٠ تموز ١٩٤٩ . فأعيد في الشهر نفسه أسرى مشمار هاياردن إلى إسرائيل .

وفي ٢ تشرين الثاني ١٩٤٩ جلا السوريون عن مشمار هاياردن والمواضع الاخرى التي كانت بأيديهم . ولا ندري لماذا جلوا ؟ وان قيل يومئذ ان ذلك من مقتضيات نصوص الهدنة .

---

(١) في هذه الخربة دارت محادثات الهدنة بين اليهود والسوريين فيا بعد .

حدثني اللواء المتقـــاعد عبد الله عطفة ، وكان قبل معارك مشمار هاياردن هذه رئيساً لأركان الجيش السوري ، ان الذي أدار حركة الهجوم في هـــذه المعارك هو الزعيم حسني الزعيم الذي خلفه في رئاسة الاركان بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٤٨ ، وان الحكومة السورية كانت قبل مهاجمة مشمار قد استدعت جميع الجنود والضباط المتقاعدين من عهد الانتداب وعددهم ٧٠٠٠ ، وان عدد الجيش السوري يومئذ كان قد تضاعف فأصبح زهاء خمسة عشر ألفاً ، وأضاف ان الجيش السوري خسر في هذة المعركة عشرين ضابطاً وأربعمئة جندي ، وان مهاجمة مشمار هاياردن واحتلالها يومئذ كانت فكرة خاطئة . إذ انها (أي مشمار) واقعة في في سهل على الجانب الايسر من النهر ، ومحاطة من جميع جهاتهـــا بالمستعمرات اليهودية ؛ وكان من الأفضل أن يرابط الجيش على الجانب الأيمن من النهر ، في الاراضي السورية ، ليظل مسيطراً على المناطق اليهودية ، اللهم إلا إذا كانت لديه (اي لدى الجيش السوري) قوات كبيرة تمهد له سبيل التقدم إلى الأمام . وما كانت لديه قوات كهذه بسبب قلة الجنود وفقدان السلاح ...

حوادث المالكية وما جاورها من بقاع

ذكرنا في هذا الفصل أهم المعارك التي دارت رحاها بين العرب واليهود ، في المالكية ، وقدس ، والنبي يوشع ، والهراوي ، وما إلى ذلك من القرى العربية ؛ وفي رامات نفتالي وايلات هاشحر وما إلى ذلك من المستعمرات اليهودية في اقاصي الشمال .

ولقد اقتبسنا أخبار هذه المعارك من أبناء تلك القرى ومن المناضلين الفلسطينيين أنفسهم ومما كتبه بعض الكتاب اليهود وأثبتوه في مؤلفاتهم (١) .

فاليك ما جمعناه من هذه المصادر بوجه الاجمال : —

هاجم العرب ، في اليوم السادس من شهر شباط ١٩٤٨ ، قافلة يهودية كانت في طريقها إلى (المنارة) (٢) . هاجموها على مقربة من (رامات نفتالي) (٣) فأشعلوا النار في سياراتها

(١) نقل بعض ما كتبه هؤلاء الكتاب باللغة العبرية الى العربية السيد درويش الشامي من موظفي الارتباط الخارجي بالقدس وقد سجله في مجموعة لم تطبع بعد اسماها « في خط النار » .

(٢) « المنارة » مستعمرة يهودية صغيرة كان فيها « عام ١٩٤٥ » سبعون يهوديا .

(٣) « رامات نفتالي » مستعمرة من المستعمرات اليهوديه التابعة لصفد . وهي قائمة على مرتفع يعلو خمسمئة متر عن سطح البحر . ويشرف على وادي الحولة وعلى جبال حرمون وكنعان ويسميها العرب « الهراوي »

والى جانبها النبي يوشع وعمارة البوليس القريبة منها والتي يسمونها « تيجارت » وهذه تسيطر على الطريق الرئيسية الممتدة على طول الحدود اللبنانية والتي تمر من الحولة ، والنبي يوشع ، وقدس ، والمالكية الى مناطق الجليل الاعلى . وقد راعى اليهود في تصميم ابنية هذه المستعمرة ان تكون عبارة عن قلاع صغيرة معدة للسكن مبنية من الصخر المتين .

وقتلوا وجرحوا عدداً غير قليل من المسافرين .

وهاجم المناضلون في ٢٣/٢ شباط قافلة اخرى في طريقها إلى المنارة . وكانت هذه آتية من (ايلات هاشحر) في يوم شات وغائم ، وكانت الطريق موحلة عسيرة ، والضباب الكثيف يحجب الرؤية . فقتلوا عدداً كبيراً من رجالها ودمروا عدداً كبيراً من سياراتها . وعادت القافلة من حيث أتت .

وفي شهر شباط وصلت إلى مستعمرة نفتالي نجدات من فرق البالماخ لتعزيز حاميتها . فحمي وطيس الاشتباكات بين الفريقين ، وما كان يمر يوم دون أن تصطدم حاميات اليهود بالمناضلين العرب الذين كانوا يهاجمونهما ، ويقطعون طرق المواصلات بينها وبين المستعمرات الاخرى . ولقد أقضت هذه الهجمات مضاجع اليهود في مستعمراتهم الشمالية. ولكنهم مع ذلك لم يقعدوا مكتوفي الايدي . إذ راحوا هم ايضاً في شهر آذار يكمنون لسيارات العرب . وتمكنت فتاة تدعى (نتيبة يهودا) من قذف باص عربي بقنبلة أشعلت النار فيه ، وقتلت عدداً من ركابه . هذا بعد ان كمنت تلك الفتاة للباص على الطريق التي تربط قادس بالخالصة .

ولكن العرب تمكنوا من السيطرة على قلعة بدايس (النبي يوشع) . وحاصروا المستعمرة (رامات نفتالي) . فلم تعد تستطيع الحصول على ما يكفيها من الماء . فخيم القلق على السكان. وراحوا يقتسمون ما بين ايديهم منه . وتحرج حالها ونفق عدد من مواشيها . فنقلوا ما لم ينفق منها إلى مستعمرة (يسودها معلي) . واقترحوا على قيادة الهاجنا نقل النساء والأطفال. إلا ان هذه رفضت طلبهم ، لئلا يضعف ذلك معنويات المحاربين من الرجال . ولكنها (أي قيادة الهاجنا) عادت عندما اشتد حصار العرب وكاد سكان المستعمرة يموتون من العطش فسمحت بترحيل النساء والاطفال . فتم ترحيلهم في الظلام .

وعبثاً حاول رجال البالماخ الكر على قلعة النبي يوشع في النصف الأول من شهر نيسان. إذ رأوا من حماتها العرب مقاومة شديدة فارتدوا على اعقابهم تاركين وراءهم اربعة قتلى وسيارة مليئة بالمتفجرات ، استولى العرب عليها في صبيحة اليوم التالي.

وقامت وحدات من البالماخ بمحاولة ثانية لاحتلالها في النصف الثاني من شهر نيسان . وكانت في هذه المرة أكثر عدداً وعدة ، إلا انها فشلت . إذ أصلتها حامية القلعة ناراً حامية أتت على اربع وعشرين جثة هي جثث الرجال الذين كانوا في الطليعة .

وتقدم السوريون بعدئذ فاحتلوا مشارف الجبل المعروف بـ (البيلاوي) تلك المشارف المسيطرة على (قدس) و (المالكية) . وغلبوا اليهود على امرهم . وغنموا منهم مدفع هاون

لم يستطع أن يحملوه معهم . وأسروا الجرحى الذين لم يتمكن الاعداء من نقلهم . وتقدموا فهاجموا المستعمرة نفسها . تتقدمهم ست مصفحات ، تحمل كل واحـــدة منها في برجها مدفعاً رشاشاً ومدفعاً من عيار رطلين .

وزحف السوريون نحو (رامات نفتالي) تساندهم بطارية من عيار ٢٥ رطلا ، كانت في (المالكية) . فسقط من اليهود عددكبيرمن القتلى والجرحى . وتهدم معظم مباني المستعمرة على من فيها .

وظهرت في سماء المستعمرة بعد قليل طائرة يهودية من النوع الذي يسمونه (البريموس) وكانت في طريقها قد قصفت قدس والمالكية . ورغم أن السوريين أمطروها بوابل مـــن الرصاص إلا أنها تمكنت من إلقاء عدد من صناديق الذخيرة والعقاقير الطبية مـــن ارتفاع قليل . وأبلغت سكان المستعمرة أن النجدة آتية .

وما كادت الطائرة تولي الادبار،حتى راحت المدافع السورية تستأنف القذف. فدمرت غرفة اللاسلكي . ودمرت الجهاز الذي كان فيها . فعزلت المستعمرة عزلاً تامـــاً . ولكن قيادة الهاجنا أنجدتها بعدد كبير من المقاتلين ، وعدد من المدافع المعروفـــة بـ (فيات) فلم يتمكن السوريون من احتلال المستعمرة . واضطروا لفك الحصار عنها ، وحوكم القائـــد السوري لفشله في احتلالها .

واستغل اليهود فرصة السكون الذي خيم على تلك البقـــاع في شهر نيسان ، فحفروا الخنادق ، وبثوا الألغام ؛ وقووا صفوفهم ، فما كاد ظل الانتداب يزول عن البلاد في ١٥ أيار حتى قاموا بهجوم على قريتي (المالكية) (١) و (قدس) (٢) فاحتلوهما . وكان يرابط في كل منهما حامية صغيرة تنتمي إلى جيش الانقاذ .

كان في (قدس) مفرزتان من جيش الانقاذ : إحداهما سورية يقودهـــا الملازم صلاح الشيشكلي (شقيق اديب الشيشكلي) ، والأخرى عراقية يقودها الملازم حسين عبداللطيف. وفي كل واحدة منها خمسون إلى ستين مقاتلا .

وأما المالكية (فقد) كان فيها مفرزة لبنانية يقودها الملازم الأول محمد زغيب . وفيهـــا سبعون مقاتلا .

---

(١) قرية من قرى صفد ، واقعة في اقصى الشمال من فلسطين ، على مقربة من الحدود اللبنانية . سكانها مسلمون . كان فيها « في عام ١٩٣٢ » ٢٥٤ نسمة . وازداد عددهم بعدئذ فأصبحوا « ١٩٤٥ » ٣٦٠ كلهم مسلمون ،

(٢) هي ايضا من قرى صفد واقعة الى الشرق من المالكية . نفوسها « في عام ١٩٣٢ » ٢٧٢ وقـــد ازدادوا ١٩٤٥ فصاروا ٣٩٠ كلهم مسلمون .

وعلى مقربة من هاتين القريتين ، عند مفترق الطرق ، كانت ترابط مفرزة رجالها من ادلب ، وعددهم عشرون . وفي (بليدا) مقر جيش الانقاذ في ذلك القطاع كان يرابط زهاء ثلاثين فلسطينياً هم من بقايا المناضلين الذين انسحبوا من عكا . وهنا كان يرابط أديب الشيشكلي (١٤ـ١٥|٥|١٩٤٨) وقد جاءه العقيد توفيق سالم من كبار ضباط الجيش اللبناني، فطلب اليه ان يحمي طريق المالكية والمسالك الاخرى الواقعة بين فلسطين ولبنان ، وبعبارة أفصح أن يحمي الجناح الأيسر للجيش اللبناني الذي كان يومئذ مرابطاً في الناقورة . وقد حمل اليه (اي توفيق سالم حمل الى الشيشكلي) خبر استبدال الخطة التي كانت قد رسمت للجيش السوري ، بعد ان كان هذا الجيش قد وصل إلى سهل البقاع . وكان عليه أن يدخل فلسطين عن طريق المالكية(١) وهذا ما حدا باليهود لمهاجمتها . وقد هاجموها بسبعمئة مقاتل. جاءوها من الجنوب . وكان ذلك عند انبثاق فجر اليوم الخامس عشر من أيار ١٩٤٨ . فقتلوا معظم رجال حاميتها وهم ، كما قلنا ، لبنانيون . وجرحوا من لم يقتل منهم . وبين القتلى الملازم الأول محمد زغيب .

وهكذا انتهت معركة (المالكية) الاولى بسقوطها بيد اليهود .

والقوة التي احتلتها كانت تدعى (البالماخ) يقودها (يفتاح) .

وأسرع المجاهدون (مفرزة ادلب) ومفرزة يوغوسلافية (٤٠) يقودها شوقي ، ومفرزة من كفر برعم وهي بدوية يقودها محسن يعيش حوالي ظهر ذلك اليوم لنجدة اخوانهم في هذا القطاع ، فوقعت بين الفريقين (العرب واليهود) معركة خسر كل منهما فيها عدداً من القتلى (٢) والجرحى . ولكنها انتهت باسترداد المالكية . وهكذا انتهت معركة (المالكية) الثانية برجوعها إلى حوزة العرب . وأما قدس فقد بقيت بيد اليهود . وزحفت فلول البالماخ الهاربة من المالكية إلى (رامات نفتالي) تحمل جرحاها الكثيرين .

وما كاد العرب يستردون المالكية حتى راحوا يعملون على تحصينها . فألهاهم عملهم هذا عن تعقب المنهزمين . ولو فعلوا ذلك لاحتلوا (رامات نفتالي) في ذلك النهار . وكان سكان هذه المستعمرة قد تأهبوا للرحيل ، لولا أن رأوا في اللحظة الأخيرة ان العرب وقفوا حيث كانوا ، ولم يواصلوا زحفهم ... وان كانوا قد ثابروا على قصف هـذه المستعمرة اليهودية (رامات نفتالي) بمدافعهم . واغتنم اليهود هذه الفرصة فبثوا الألغام في الطرق وفي

---

(١) اذكر ان «المالكية» احدى الطريقين اللتين تصلان فلسطين بلبنان . واما الثانية فهي « الناقورة »

(٢) حدثني عامر بن الشيخ حسن شيخ عشيرة الامارة في المدينة من اعمال البصرة وهو من رجال جيش الانقاذ انه احصى بنفسه سبعين جثة يهودية بينها جثتان لفتاتين يهوديتين . وان الذي قاد المعركة هو اديب الشيشكلي .

مداخل المستعمرة وفي أرض المطار البريطاني القريب منها .

وأما النبي يوشع (١) فقد كان يرابط فيها وفي القلعة الكائنة بجوارها زهاء مئة وثمانين مقاتلا عربياً . وتسيطر هذه القلعة على ما يجاورها من بقاع ؛ وكثيراً ما ضيقت الخناق على اليهود . الأمر الذي حدا باليهود للتفكير في احتلالها . ولقد حاولوا ذلك مرتين . إلا أنهم فشلوا في المحاولتين . وأخيراً قرر (يغئال الون) القائد اليهودي لمنطقة الجليل أن يحتل هذه القلعة مهما كلفه احتلالها من ثمن . فتحركت في مساء اليوم الذي احتل العرب فيه المالكية (١٥ أيار) ضربة من سرايا البالماخ الجديدة التي جاءت للنجدة نحو الهدف . وتحصنت بادىء ذي بدء في (قدس) . ثم راحت تزحف نحو القلعة تساندها مدافع (الفيات). ولكنها ما كادت تقترب من الاسلاك الشائكة ومن الجدار المحيط بالقلعة حتى أيقنت أنها (أي القلعة) أمنع من عقاب الجو .

وعبثاً حاول اليهود اقتحام هذا الجدار بالمتفجرات. فارتدوا لا من أمام القلعة فحسب، بل ومن قرية (قدس) . فجاء العرب في صباح اليوم التالي (١٦ ايار) واحتلوا قدس. ولكن سرايا اليهود تمكنت في الوقت نفسه من التغلغل في الأراضي اللبنانية . فنسفت جسر الليطاني ويقول اليهود ان الجيش اللبناني راح بعد هذا الحادث يتخذ لنفسه خطة الدفاع ، بدلا من الهجوم . والحقيقة ان هذا الجيش كانت مهمته ، من الأصل وقبل بدء القتال ، الدفاع ، لا الهجوم . وقد صرح بذلك الجنرال الأمير فؤاد شهاب وزير الدفاع في كثير من المناسبات .

وعندما دخل اليهود قلعة النبي يوشع في صبيحة اليوم التالي (١٧) أيار وجدوها خالية من العرب . إذ كان هؤلاء قد انسحبوا منها تحت جنح الظلام . وبسقوط هذه القلعة بيد اليهود ، رفع الحصار الذي كان العرب قد فرضوه على (رامات نفتالي) شهرين متواليين .

وحدث في صباح اليوم الثامن عشر ان اخترقت احدى القذائف اللبنانية برج القلعة ؛ وقتلت عدداً من اليهود المرابطين في البرج . فانتقم اليهود لأنفسهم بأن اجتازت بعض وحداتهم الحدود اللبنانية وراحت تدمر خطوط المواصلات . ووصل رتل من مصفحاتهم لى منطقة تقع على الطريق المعبدة التي تربط المطلة بمرجعيون .

ووقف القتال في تلك الناحية زهاء عشرة أيام ، شغل العرب خلالها في جبهات أخرى

---

(١) خربة عربية صغيرة من اعمال صفد كان يعيش فيها عام «١٩٣٢» اثنان وخمسون نسمة كلهم مسلمون . وقد بلغ عددهم في عام ١٩٤٥ سبعين .

فاستغل اليهود الفرصة ، وكانوا قد تقووا هناك ، فقاموا بهجوم مباغت على (المالكية) و (قدس) فاحتلوهما . وأخرجوا المحاربين العرب منهما . وكان يرابط فيهما يومئذ مفارزمن الجيش اللبناني وفوج من أفواج جيش الانقاذ وهو الذي يقوده شكيب وهاب ، ويدعى (فوج العرب) ورجاله من الدروز .

وهكذا انتهت معركة (المالكية) الثالثة بسقوطها بيد اليهود . وكان ذلك في ليلة ٢٩ أيار ١٩٤٨ .

بعد أن انسحبت قوات الشيشكلي من المالكية في ليلة ٢٩ أيار . عادت إلى الشام لتعيد تنظيمها . وقد عادت الى الشام في الوقت نفسه قوات القاوقجي لتعيد تنظيمها . ولكن اللجنة العسكرية هناك رأت من المصلحة ان تسترد المالكية قبل أن يعاد تنظيم هذه القوات . فأمرت القاوقجي أن يقوم بهذه المهمة. ولقد قام بها بعد أن حشد القوات التي وضعت تحت تصرفه على النمط التالي :

(آ) فوج لبناني يقوده المقدم جميل الحسامي

(ب) فوج سوري (بدوي) يقودة المقدم طالب الداغستاني

(ج) فوج حطين يقوده الرئيس مدلول

(د) فوج لبناني يقوده ... وهو شركس

وهذان الفوجان كانا قبلا بقيادة القاوقجي ، وهما من أفواج جيش الانقاذ .

ووضع تحت تصرف القاوقجي عدد من المصفحات ، وبطاريتان ونصف بطارية من المدافع .

وتمكن القاوقجي بهذه القوة من استرداد (المالكية) . وكان ذلك في ٥ حزيران ١٩٤٨ وباستردادها فتحت طريق الناصرة . وهكذا انتهت معركة (المالكية) الرابعة بانتصار العرب .

وقامت معركة أخرى بين العرب واليهود حول مستعمرة (رامات نفتالي) يوم تمكن ، فصيل من الفدائيين العرب ، من اجتياز حقول الألغام وجدران الاسلاك الشائكة،ووصلوا إلى مركز الاستحكامات في مشارف (البيلاوي) . وكان ذلك في ١٠ حزيران ١٩٤٨ . وكانت هذه مفاجأة لليهود . فسقط منهم اثنان وعشرون قتيلا ، وعدد كبير من الجرحى، وقتل خمسة من العرب ، بينهم ضابط سوري برتبة ميجر ، ولكن الغلبة كانت لليهود . إذ كانت قواتهم قد تضاعفت . وأسلحتهم قد ازدادت بسبب الهدنة فسيطروا على الجليل كله، وليس على البقاع المجاورة للحدود اللبنانية أو السورية فحسب .

موقف الجيش الاردني من المصريين في معارك النقب

إن ما قلناه في السطور المتقدمة عن الجيش العراقي وعن موقفه الجامد في معارك النقب ينطبق كل الانطباق كله على الجيش الاردني . فان هذا الجيش لم يقم بأية حركة في أيـة ناحية من نواحي الجبهة التي عهد اليه بالدفاع عنها طيلة الايام التي كانت فيها معارك النقب مشتعلة .

هذا على الرغم من القرارات التي اتخذها رؤساء أركان الجيوش العربية في الزرقاء ، ومن بينها أن يقوم الجيش العربي الاردني بحركات في جبهته لاشغال اليهود ، وأن تسمح الحكومة الاردنية بمرور النجدات العراقية والسورية من أراضيها . ليس هذا فحسب. فان الألسن تناولت شائعات عديدة ملخصها ان الملك عبد الله أصدر أمره إلى قادة جيشه كي لا يطلق أي جندي من جنودهم أية رصاصة مهما كانت الاسباب التي تدعو للاستفزاز .

ليس هذا فحسب . فان الملك عبد الله كان ، والمعركة قائمة بين المصريين واليهود في جنوب فلسطين ، يفاوض اليهود من أجل عقـد صلح منفرد .

فقد اعترف لي بذلك عبد الله التل الذي انتدبه الملك بعد هذا الحادث حاكماً للقدس ، وقد كلفه بمهمة التفاوض مع اليهود . ونشرت مجلة (اخبار اليوم) المصرية في عددها ٢٨٠ الصادر بتاريخ ١٨ آذار ١٩٥٠ صورة أخذت بالزينكوغراف لرسالة أرسلها الملك عبدالله وعليها توقيعه ، إلى قائده العسكري بالقدس عبدالله التل . هذا نصها :—

« عمان ٢ ربيع الاول ١٣٦٨هـ الموافق ١ كانون الثاني ١٩٤٩م

« من عبد الله بن الحسين إلى قائد القدس العسكري السيد عبد الله التل .

« افوضكم للتذاكر مع الجانب الاسرائيلي في الاسس المرغوب التفاهم عليهـا تذليلا
« لكل صعوبة قد تظهر فيما بعد عند التفاوض الرسمي . وان تفويضكم هـذا هو تفويض
« شخصي . وسيتلوه التفويض الرسمي مع رفاق آخرين ، وبالشكليات الحكومية المعتادةفي
« مثل هذه المسائل . وبما ان الغرض من التذليل هو ايجاد سبل السلام الحقيقي ، فلا يجب
« ترك اي امر بدون ان يتفق عليه . ونؤمل انكم والجانب الآخر تتوفقون بالنيات الحسنة
« للعمل الانساني المرغوب فيه . »

عبد الله

يقول الاردنيون في مجال الاعتذار ان القوات التي كانت يومئذ تحت تصرفهم ما كانت تكفي لحماية الجبهة الطويلة التي عهد اليهم امر حراستها . هذا ما قاله لي الزعيم لاش بك

قائد الفرقة الأولى ؛ والقائمقام أحمد صدقي الجندي قائد اللواء الرابع ورئيس الوفد الأردني في مفاوضات رودس ، ويقول عدد كبير من ضباط الجيش الآخرين انه لا صحة لهذا القول وان الجيش العربي كان من العَدد والعِدد بحيث يستطيع أن يشاغل اليهود ولو مشاغلة في أقل تقدير .

الحكومة الاردنية تطارد قوات (الجهاد المقدس)

وفي ١٨ كانون الثاني ١٩٤٩ حاصرت ، عند منتصف الليل ، سرية من سرايا الجيش العربي قرية بير زيت واحتلت الدار التي كان رجال الجهادالمقدس قد اتخذوها مقراً لأعمالهم وكان مع هذه القوة بعض الدبابات والمصفحات ، ومدفعان من مدافع الميدان . يقودالجميع ضابط من ذوي الرتب العليا . واستولت القوة على كل ما عثرت عليه في مخازن فرقةالجهاد من سلاح وعتاد . وساقت أمامها من وجدته من رجالها مكبلين بالحديد . عندئـــذ أدرك القوم السبب الذي حدا بريطانيا لأن تبعث برسالتها التي كثر التحدث عنها في المحافل العربية والتي طلبت فيها ، إبعاد الفلسطينيين عن ميدان القتال . وكان ذلك قبل ان تقتحم الجيوش العربية الحدود الفلسطينية ببضعة أيام ... فرحنا نسمع ، في صبيحة اليوم التالي ، الناس في شوارع بيت المقدس يروون الخبر متسائلين : اما كان بالامكان الابقـاء على هـــذه القوة والتعاون معها في طرد العدو ؟

وبعد هذا الحادث ببضعة أيام قام رجال الجيش العربي بمثل هذا العمل في القطاع الجنوبي من المدينة . وداهموا مقر قيادة الجهاد المقدس في بيت لحم . فأنزلوا العلم المصري والعلم الفلسطيني اللذين كانا يرفرفان على ذلك المقر واستبدلوهما بالعلم الاردني .

اليهود يحاولون تطويق الجيش العربي

كان لسقوط اللد والرملة أسوأ الأثر عند العرب . ولم يقف اليهود في انتصارهم عند هذا الحـــد ، بل ساروا إلى الأمام ، مهتبلين الفرصة التي سنحت لهم ، كي يحتـــلوا أوسع مساحة ممكنة من القرى والضياع العربية ، آملين أن يبلغوا المناطق الجبلية ، قبل أن يلم العرب شعثهم . فاحتلوا من ناحية (دير طريف) (١) . ثم ساروا مـــن الناحية الأخرى ، يبتغون

---

(١) لثبت في هذه القرية وفي اطرافها معركة حامية ، كاد الجيش العربي ينتصر فيها على اليهود ، وقـــد استولى على اربعة من مدافعهم الرشاشة من طراز الماني ومدفع آخر من عيار سبعة ارطال ، كما استولى على مصفحة ودمر ثلاثا من مصفحاتهم ، الا انه عاد ، فاضطر لاخلاء القرية تحت ضغط اليهود الذين كروا عليها ، فاحتلوها .

الوصول إلى (بيت سيرا) .

وقد شجعهم على المضي في زحفهم . انهم كانوا على علم بالقرار الذي توصلت اليه الدول العربية ، أثناء الهدنة الأولى ، والذي يقضي بأن تقف تلك الدول – إذا ما استؤنف القتال – موقف الدفاع . وكانوا هم (اي اليهود) قد تقووا بالنجدات وبالأسلحة التي استوردوها من اوروبا والولايات المتحدة في غضون الهدنة . وتكونت لديهم قوة جوية لا بأس بها .وكان عدد قواتهم الضاربة (البالماخ) قد ارتفع إلى ٦٥،٠٠٠ مقاتل . أي إلى فرقة كاملة مؤلفة من ثلاثة ألوية .

وفي اليوم الخامس عشر من شهر تموز ١٩٤٨ راح رجال البالماخ يزحفون عن طريق اللد وحجزو ، قاصدين الاستيلاء على (البرج) و (بير معين) . وقد استولوا عليهما في اليوم التالي .

وبينما كان رجال البالماخ يتدارسون الموقف ، ويرسمون الخطط من أجل الاستيلاء على (بيت سيرا) ، كانت هناك في بيت سيرا وفيما حولها من تلال – سريتان من سرايا الكتيبة الثانية التي كانت ترابط في اللطرون . فقد سحبها قائد اللواء الثالث .. اشتون .. وامرهما بالمرابطة عند بيت سيرا بقصد الدفاع عنها . واضاف اليها بعد قليل ، سرية ثالثة هي السرية الخامسة التي كانت في اللد والرملة وكان يقودها الرئيس اديب القاسم .

وزحف رجال السريتين – الثانية والثالثة – من بيت سيرا ، بعد ظهر اليوم السادس عشر ، فاستردوا (البرج) (١) . ولكن قائد اللواء اشتون ، عاد فأخلاها في المساء ، قائلاً ان القوة التي كانت تحت امرته لا تكفي للاحتفاظ بها .

ولقد زاد الطين بلة ان السرية التي ابقاها في (بيت سيرا) اقترفت خطأ عسكرياً لايغتفر عندما ابتعدت عن مراكزها اكثر من اللزوم ، وزحفت صوب الشمال قاصدة سد الثغرة الكائنة بين الجيشين : الاردني والعراقي عند (قوله) . مع انه كان بامكانها سد تلك الثغرة وتأمين الاتصال المنشود بين الجيشين بواسطة دورية متحركة .

وبابتعاد تلك السرية ، وسقوط (البرج) و (بيرا معين) اصبحت بيت سيرا في خطر . وكاد اليهود يستولون عليها ولكن الله سلم . ولو استولوا على تلك القرية الواقعة على مفترق الطرق ، لقطعوا كل اتصال بين اللطرون ورام الله . وفي ذلك ما فيه من خطر على

---

(١) لا استطيع ان امر بمعركة «البرج» هذه دون ان اذكر بالثناء والتقدير قائد فصيل المدرعات حدان البايوى . ذلك الرجل الشجاع الذي ابلى بلاء حسناً . وكانت مدرعته في الطليعة . فأصابته شظية افقدته احدى عينيه ، واعطبت الثانية . ولكنه بالرغم مما اصابه ظل مثابراً في نضاله حتى ختام المعركة . ونجا حدان. وخرج من الميدان حياً رغم الجروح العديدة التي لا تزال اثارها ظاهرة في بدنه حتى يومنا هذا .

الجيش العربي الذي كان مرابطاً في اللطرون .. والجيش العراقي الذي كان مرابطاً في قطاع السامرة .. وعلى (رام الله) نفسها التي اضحت على شفا جرف هار .. وبلغ القلق بسكانها حداً راحوا عنده يشتمون الجيش العربي ، وينقدون قادته الانكليز نقداً لاذعاً مراً ...

وفيما كان الشعب العربي يكتوي بنار تلك المأساة ، وكانت جموع اللاجئين من سكان اللد والرملة ومن سكان القرى المجاورة لها هائمين على وجوههم في البراري والقفار ، كان صاحبنا (؟) الصاحب(١)غلوب باشا رئيس الاركان يتنزه في شوارع البلدة القديمة بالقدس ولم يتلق الخبر المفجع إلا في وقت متأخر من الليل . عندما تلفن اليه قائد الفرقة لاش ليقول له (٢) : « ان الجيش الاسرائيلي سائر في زحفه بعد سقوط اللد والرملة .. وان عشرات الألوف من السكان يهيمون الآن على وجوههم .. وان وقع الحادث على الشعب كان أليما .. لا سيما في رام الله حيث راح الشعب يلعن الجيش العربي ، ويشتم رجاله متهماً إياهم بالجبن والخيانة » .

وأبرقت انا الى الملك عبد الله واصفاً هذا الوضع السيء ، واتبعت برقيتي — بوصفي الحاكم الاداري المسؤول عن هذا القطاع — برسالة مفصلة ، نقدت فيها تصرف البريطانيين(٣) من قادة الجيش العربي ، واهمالهم ، وسوء نواياهم ، والغموض الذي يكتنف الحركات الحربية القائمة في البلاد .

وراحت رسائل الاحتجاج تنهار على القصر الملكي في عمان من القدس ونابلس والخليل واجمع الناس على القول ان هناك مؤامرة على عرب فلسطين ، وخطة مدبرة سابقة تقضي بتشريدهم ، وان مأساة اللد والرملة ستتكرر في رام الله والبيرة ايضاً .. وفي سائر انحاء فلسطين ... وبدا للملك ورجال حكومته في عمان ان هؤلاء البريطانيين لا ينشدون الخير لهذا البلد . وانهم انما جاؤا لينفذوا خطة رسمتها لهم حكومة بلادهم . واعني بها الحكومة البريطانية . وان هذه الحكومة التي ساعدت اليهود ومنحتهم قبل ثلاثين سنة وعدها المشهور (وعد بلفور) لا ، ولن تتخلى عن مساعدتهم . وازداد الملك ووزراؤه استياءاً عندما سمعوا المستر ارنست بيفن وزير خارجية بريطانيا ينصح الفريقين ان يوقفا القتال . وتلقوا في

---

(١) هكذا كان بدو الاردن يلقبون غلوب .

(٢) اقتبسنا هذا القول من كتاب غلوب A Soldier With the Arabs الصفحة ١٦٣

(٣) الكولونيل اشتون قائد اللواء الثالث . والبريغادير لاش قائد الفرقة الاولى . والجنرال غلوب رئيس الاركان .

الوقت نفسه رسالة من غلوب باشا ينصحهم فيها ان يقبلوا الهدنة (١) .

عندئذ ، وعندئذ فقط ، ايقن القوم انه (اي غلوب باشا) لم يكن مخلصاً في عمله ، وانه هو الذي ساق البلاد إلى هذه الهاوية . فنادوه الى القصر وحاسبوه . وسأله الوزراء اسئلة عديدة . وصلنا منها قول احدهم : لماذا لم تعمل على تزويد الجيش بالسلاح والعتاد طوال السنين التي قضيتها في هذا البلد ؟ وسأله وزير ثان قائلا : اين انفقت الملايين التي ارسلت الى الاردن من الخزانة البريطانية ؟ وراح ثالث ينقل إلى زملائه ما سمعه من كبار ضباط الجيش العربي عن وجود مقادير وفيرة من الأسلحة والأعتدة في مستودعات الجيش ؟ تلك الاسلحة والأعتدة التي لم يشأ ان يستعملها لغايـة في نفس يعقوب ... حتى الملك الذي ما ارتاب يوماً واحداً في إخلاص غلوب له ولعرشه ولقضية بلاده .. راح يرتاب في أمره وقد وجه خطابه اليه قائلا :

« إذا كنت لا ترغب في خدمتنا باخلاص ؛ بامكانك أن تغادر هذا البلد . فانا لسنا في حاجة اليك ... » (٢)

والغريب في الأمر ان غلوب ظل صامتاً بعد أن سمع ما سمع . وقد غادر القصر دون أن يدفع عن نفسه التهم التي وجهت اليه . ودون أن ينبس ببنت شفة .

والأغرب من هذا أن يبقى الرجل في منصبه رئيساً للاركان ، وإن يتحكم بمصير هذا الجيش ثماني سنوات أخر ، وأن تظل إرادتـه هي العليا في طول البلاد وعرضهـا ، وأن لا تتخلص البلاد منه إلا بعد ثمانية أعوام ، عندما قام الملك الشاب حسين بن طـلال ... بحركته الجريئة المعهودة ، فأقاله مـن منصبه .. وكان ذلـك في اليوم الاول مـن شهر آذار ١٩٤٦ .

وقد اطلعت على ما كتبه غلوب في كتابه A Soldier With the Arabs وذلك بعد انسحابه من البلاد ؛ مبرراً فيه أعماله . ومما قاله عن معارك اللد والرملة انه (٣) كان يعرف منذ بدء القتال انه ليس باستطاعة الجيش العربي ان يحتفظ بمدينتي اللـد والرملة .. هاتين

---

(١) كان مجلس الامن يومئـذ مجتمعاً في ليك سكس ، ليدرس اقتراحاً تقدم بـه المستر جيسوب Mr Jessup مندوب الولايات المتحدة في المجلس المذكور . والاقتراح يقضي بأن يؤمر الفريقـان بوقف اطلاق النار . ودام اجتماع المجلس من اليوم الثالث عشر الى اليوم الخامس عشر من شهر تموز ١٩٤٨

(٢) اقتبسنا هذه الرواية من كتاب وضعه غلوب نفسه بعنوان A Soldier With the Arabs اقرأ الصفحة ١٦٦

(٣) اقرأ الصفحة ١٤٢ من كتابه

المدينتين اللتين أعطيتا في قرار التقسيم للعرب . وهما لا تبعدان عن تل أبيب أكثر من خمسة عشر ميلا . ويحيط بهما عدد من المستعمرات اليهودية احاطة السوار بالمعصم ... ولما جد الجد وأيقن ان اليهود يعتزمون احتلال هاتين المدينتين لم يكن باستطاعته ان ينجدهما بأكثر من سرية واحدة . ذلك لأن ارسال قوة أخرى يعني انتزاع احــدى الكتيبتين اللتين كانتا ترابطان في اللطرون . وهذا من شأنه ان يضعف المقاومة العربية هناك . وإذا ما ضعفت وسقطت اللطرون ، اقتحم اليهود الجبهة كلها ، وتمكنوا من شق طريقهم إلى القدس من ناحية ، وإلى رام الله من الناحية الأخرى . وهناك الطامة الكبرى .

الحكومة المصرية تطارد الاخوان المسلمين

ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب كيف ان حكومة النقراشي لم تسمح باديء ذي بدء للاخوان المسلمين بدخول فلسطين ليشتركوا في الذود عن حياضها . ولكنها عــادت فسمحت لجماعات منهم بدخولها كبعثة علمية لدراسة الاحوال في (سينا) فقط !! ..

ولقد قام هؤلاء بخدمات جلى في قطاع بئر السبع وفي قطاع الخليل وبيت لحم ، الأمر الذي ذكرناه في مواضع اخرى بالتفصيل . حتى ان المواوي قائد الحملة المصرية طلب من المركز العام للاخوان المسلمين بالقاهرة ارسال المزيد من شباب الاخوان إلى الميــدان . الامر الذي لم يرق في نظر الملك فاروق.لاعتقاده بأنهم إن عادوا الى مصر وكانوا منتصرين سوف يعملون على قلب نظام الحكم واستبدال الملكية بالجمهورية . فأوعز الى رئيس وزرائه محمود فهمي النقراشي باشا ان يحل جمعية الاخوان ، فحلت ، وسيق زعماؤهم الى المعتقلات، سيقوا اليها زرافات ووحداناً كالمجرمين .

ومما يؤسف له ان هذه المأساة مثلت في وقت كانت فلسطين العربية تقاسي الأمرين ، وكان الجيش المصري في جنوب فلسطين قد مني بفشل ذريع،وكان في حاجة الى كل جندي يمكن ارساله الى الميدان . ليس هذا فحسب . بل ان المرشد العام للاخوان ، الشيخ حسن البنا ، عندما سمع بحملات اليهود على العرب في مدينة القدس ، ورأى تقصير الجامعةالعربية في هذا السبيل خشي أن ينجح اليهود في احتلالها كلها فيضعون ايديهم على مقدساتها . ولهذا راح يعد قوة كبيرة من الاخوان ليتم بها ما قصرت الجامعة في عمله قائلا لأحد زملائــه الاخوان المتطوعين الذين كانوا يحاربون في فلسطين « ما فيش فايــدة ، الناس دول مش عاوزين يحاربوا (١) »

---

(١) الاخوان المسلمون في حرب فلسطين ص ١٦٦

ورغم ان المرشد العام امر الاخوان بعدم المقاومة لئلا يستفيد اعداء البلاد واعداء الأمة المصرية الانكليز من الفتنه ، اذ كان يدرك ان خيوط هذه المؤامرة كانت في يدهم ، اوصى اتباعه بتحمل المحنة ، وعدم المقاومة ، إلا ان (السعديين) مضوا في خطتهم الطائشة : فقتلوا من الاخوان من قتلوا ، وشردوا منهم من شردوا ، ولم يكتفوا بذلك فقد قتلوا في آخر الأمر زعيمهم المرشد العام المرحوم الشيخ حسن البنا .

ولم يمض زمن طويل على هذا الحادث حتى قتل النقراشي رئيس الوزراء . قتله شاب من الاخوان المسلمين . ولما مثل امام القضاء قال بصراحة انـــه ما كان ليقتله لولا موقفه الشائن من قضية فلسطين .

اتفاقية الهدنة الدائمة بين المصريين واليهود

وفي ٧ كانون الثاني ١٩٤٩ اتفق المصريون واليهود على وقف القتال في جنوب فلسطين فوقف في الساعة الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم وأصدرت رئاسة مجلس الوزراء في مصر البيان التالي —

« الخامس عشر من شهر ايار الماضي دخلت جيوش الدول العربية فلسطين لوضع حد للاعمال الارهابية التي تقوم بها العصابات الصهيونية ضد الآمنين . ولم يكن البـــاعث على ذلك الرغبة بالحرب ذاتها او لتحقيق اي كسب مادي . فاستمر الكفاح حوالي ثمانية أشهر تحملت القوات المصرية اكبر التضحيات في سبيلها .

« وفي اثناء الكفاح تدخل مجلس الأمن مراراً مطالباً بوقف اطلاق النار . فنزلنا على حكمه في كل مرة . ولكن الصهيونيين لم يرعوا له حرمة . فركزوا هجومهم على النقب . واستمروا في عدوانهم ضد قواتنا ، فقاتلتهم بكل بسالة وحدها . ولجأت الحكومة المصرية إلى مجلس الأمن لوضع حد لهذا العدوان الجديد فأصدر أمراً بوقف القتال في كل مرة (١). واعاد الحالة كما كانت قبل الاعتداء . ولكن اليهود لم يكترثوا كعادتهم بقرارات مجلس الامن ، معتمدين على ما وصل اليهم من عتاد وذخيرة من قبل بعض دول اوربا الشرقية .

« واخيراً بذلت حكومة الولايات المتحدة وساطتها لوقف القتال فوراً ، تمهيداً لاقامة هدنة دائمة . فقبلت مصر بذلك ، على ان تتخذ الاجراءات الكفيلة بتنفيذ تلك المقررات .

« وقد حدد الوسيط الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم السابع من شهر كانون الثاني عام ١٩٤٩ موعداً لتنفيذ وقف القتال .

---

(١) اصدر مجلس الامن عدة قرارات في صدد وقف القتال في ١٩ تشرين الاول وفي ٤ تشرين الثاني وفي ١٦ منه وفي ٢٩ كانون الاول ١٩٤٨ ولكن القتال لم يقف بالفعل إلا في هذه المرة ٧ كانون الثاني ١٩٤٩

« وهي إذ تنفذ ذلك استجابة لقرار مجلس الامن ونزولا عند رغبة حكومة الولايات المتحدة تشيد بموقف جيشها الباسل الذي حمل عبء القتال وحده وحافظ على تقاليده » .

صدر في القاهرة في ٧ كانون الثاني ١٩٤٩ .

وفي الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر الخميس الموافق ١٣ كانون الثاني ١٩٤٩ بدأت المحادثات بين مصر واسرائيل من اجل هدنة دائمة . بدأت في جزيرة رودس في فندق (قصر الورود).وكان يمثل الجانب المصري فيها القائمقام محمد كامل عبد الرحمن والقائمقام اسماعيل شيرين والمستشار السياسي محمد موسى . والجانب الاسرائيلي الدكتور والتر ايتان مدير وزارة الخارجية اليهودية والاضون روين شيلواح ، والاضون الياهو ساسون مدير دائرة شؤون الشرق الاوسط ، والدكتور شابتلي روسن المستشار القانوني لوزارة الخارجية واربعة من ضباط الجيش اليهودي برئاسة الكولونيل ياغل يادن رئيس اركان حرب العمليات الحربية . ومثل هيئة الأمم الدكتور رالف بانش القائم بأعمال الوساطة والجنرال ويليام رايلي كبير المراقبين الدوليين .

وبعد ان دامت هذه المحادثات زهاء خمسين يوماً توصل الفريقان الى اتفاق ، فأعلنا (الهدنة الدائمة) . وامضيت الاتفاقية في الساعة العاشرة والنصف من صباح الخميس الموافق ٢٠ شباط ١٩٤٩ .

وتعهد الفريقان ان لايلجئاً الى القوة من اجل تسوية المشكلة الفلسطينية ، وان لا يقوما بأي عمل عسكري بعد اليوم ، وان تنسحب قوات الفريقين الى الحدود التي عينتها الاتفاقية وأن يسمح للطابور المصري المحاصر في منطقة الفالوجة بالانسحاب تحت اشراف هيئة الأمم وأن تبقى غزة والشقة الساحلية الممتدة حتى الحدود المصرية بيد المصريين ، وأن يجرد مركز عوجا ـ الحفير والمنطقة المحيطة به من الصبغة العسكرية ، وأن ينسحب اليهود من قرية عصلوج وألا يكون فيها أية قوات إسرائيلية ، وأن يسمح بالبقاء في الفالوجة وعراق المنشية لمن أراد البقاء فيها من السكان المدنيين ، وأن يسمح للقوات المصرية الموجودة في بيت لحم والخليل ان تنسحب عبر الحدود المصرية بكامل سلاحها ومعداتها تحت اشراف الأمم المتحدة فان خط الهدنة يبعد عن طريق غزة ـ خان يونس ثلاثة كيلو مترات من الشرق . ولقد اضاع النصيرات بموجبه ٤٠٪ من اراضيهم والحناجرة ابوهدن ٦٠٪ والسميري ٤٠٪ والضواهرة ٨٥٪ ، وان يتبادل الفريقان الاسرى خلال عشرة ايام ، وان لا يسمح لكلا الفريقين باقامة مطارات عسكرية ، وأن تظل الاتفاقية سارية المفعول مدة سنة كاملة (١) .

---

(١) هذا هو الموجز . واما التفصيل فتجده في الملحق الرابع .

ولم يكن سخط المقدسيين ومعظم الفلسطينيين على الجيش المصري لقبوله هذه الاتفاقية بأقل من سخطهم على الجيش العربي الأردني وعلى الجيوش العربية الأخرى . ولا سيما لأن المصريين أساءوا في بادىء الأمر الظن بالفلسطينيين، وأبعدوهم عنهم بحجة انهم جواسيس ولعب اليهود ورجال الطابور الخامس لعبتهم فكانوا يذيعون ان الفلسطينيين يبيعون المصريين لأعدائهم اليهود لقاء دراهم بخسة لا تسمن ولا تغني من جوع .

إن اكثر الناس كانوا يعتقدون انه باستطاعة الجيش المصري وحده وقد بلغ عدد رجاله في فلسطين ستين ألفاً او يزيد ان يقهر اليهود . ومن هنا جاء سخطهم على هذا الجيش . وإلا فما فائدة مصر بنفوسها البالغة عشرين مليوناً ، وبنيلها واطيانها وباشاواتها وصحفها ومرافقها وصناعتها التي تفوق الصناعة اليهودية ، وانتاجها الزراعي الذي بلغت قيمته ٣٢٠ مليون جنيه وهو ما يساوي عشرة اضعاف الانتاج الزراعي عند اليهود وازهرها وجامعاتها وتراثها التاريخي الزاخر بالمفاخر .

وما كان احد ليصدق ان الجيش المصري الذي اجتاز الحدود الفلسطينية في ١٥ ايار والذي مكث في هذه البلاد قرابة عام يرضى بالانكماش ثانية عند تلك الحدود على هذا النمط غير محتفظ إلا بمستعمرة يهودية هي (كفاردروم) على مقربة من دير البلح من المستعمرات الثلاث (١) التي استطاع ان يدكها من عشرات المستعمرات اليهودية المنتشرة في الجنوب (٢) وبشقة ضيقة من الارض في اقصى الجنوب بين غزة ورفح . وكان الناس جميعاً يعتقدون انه (اي الجيش المصري) لن يكتفي بالغارات الجوية التي قام بها على تل ابيب وعلى الاحياء اليهودية بالقدس وعلى بيت ايشل والدنقور ونقبا ودوروت وما الى ذلك من المواقع التي اكتفى بضربها بالمدافع والطائرات دون ان يتقدم لاحتلالها . وكان الناس يهزأون بالبلاغات المصرية الرسمية كلما حملت هذه اليهم نبأ احتلال الجيش المصري لغزة (في ١٥ ايار) وبئر السبع (في ١٨) والخليل (في ٢٠) والمجدل (في ٢٢) وبيت لحم في (٢١) . اذ ان هـــذه المدن عربية

---

(١) احتل الجيش المصري مستعمرة «يد مردخاي» القريبة من دير سنيد في ٢٤ ايار و « كفارنتساليم » القريبة من المجدل في ٧ حزيران و« كفار داروم» القريبة مـــن دير البلح في ٧ تموز ١٩٤٨ . ولما امضيت اتفاقية الهدنة في رودس كان اليهود قد استردوا الاثنين الاولين ولم يبق بيد المصريين سوى كفـــار داروم القريبة من الحدود

(٢) اكتفى المصريون ، عند اجتياحهم الجزء الجنوبي من فلسطين ، بتطويق المستعمرات اليهودية على امل ان يقتلوها جوعاً ، ولم يهاجموها ، ورأوا من الحكمة ان يتركوها وراءهم جيوبا خالـــية . ولكن اليهود لم يأبهوا بهذه الخطة . بل قووا تلك المستعمرات فحصنوها تحصينا تاماً. وحفروا فيها الخنادق والمخابىء والسراديب وخزنوا فيها كل ما يحتاجون اليه من ذخائر ومؤن ؛ وعندما ازفت الساعة اتخذ اليهود هـــذه المستعمرات قاعدة الهجوم .

بحتة . وما كان دخولها ليعتبر فخراً لجيش حليف كالجيش المصري ولا هو من العمليات العسكرية الجديرة بالذكر .

واخذ الناس على مصر ، انها لم ترج بممكناتها في القتال ، وانها رضيت بمفاوضة اليهود في رودس على انفراد ، وانها لم تتمسك بقرار مجلس الامن ـ عندما طلب انهاء النزاع القائم ـ انه لا يجوز لأي من الفريقين ان يحتفظ بالاراضي التي احتلها بعد ١٥ تموز ١٩٤٨ .

ولقد زاد في الهم ان كانت هذه هي المرة الاولى التي يجلس فيها العرب واليهود على سرر متقابلين ، وعلى مائدة واحدة يتفاوضون ، ويمضون معاً الوثيقة الاولى التي يعترف العرب فيها اعترافاً واقعياً بوجود (حكومة اسرائيل) . ولقد وقفت هذه الحكومة الفتية ، بنت الامس الداني ، موقف الند للند حيال (حكومة مصر) بنت السنين والاجيال . وربح اليهود بموجب هذا الاتفاق ، من الاراضي والممتلكات اكثر بكثير مما ربحه المصريون (١)

وبقيت بئر السبع نفسها بيد اليهود . وكذلك عصلوج . حتى العوجا القريبة من التخوم المصرية فانها لم تعط للمصريين . بل جعلت منطقة حيادية مقراً للجنة الهدنة .

وبهذا تم لليهود السيطرة على القطاع الجنوبي كله من فلسطين واصبحت الطريق ممهدة امامهم للوصول إلى العقبة . وفي الحقيقة انه لم يمض على هـذه الاتفاقية سوى شهرين حتى احتل اليهود (في ١١ آذار ١٩٤٩) الشقة الساحلية لخليج العقبة . تلك الشقة الكائنة في القطاع الفلسطيني . احتلوها بثلاثة آلاف مسلح تدعمهم الطائرات والدبابات . وباحتلالهم هـذا امنوا سيطرتهم على وادي العربة . ذلك الوادي الممتد من البحر الميت شمالا إلى خليج العقبة جنوباً ، ومن جبال الاردن شرقاً إلى جبال فلسطين غرباً . ووقفوا هناك على شاطىء خليج العقبة والبحر الاحمر وقفة المسيطر الذى يتأهب ليملي ارادته لا على شرق الاردن فحسب ، بل وعلى مصر والمملكه العربية السعودية .

ولقد وقف الناس مشدوهين تجاه هذه الحقائق المرة . وراحوا يتساءلون ـ كيف وما الذي جرى ، وادرك العقلاء ، لاول مرة ، ان المصريين خاضوا غمار الحرب دون ان يعدوا لها عدتها . فقد اضناهم الاستعمار فيما مضى ؟ وقلم اظافرهم واظافر جيشهم (٢) . ولما استقلوا في ادارة شؤونهم ، وشرعوا في رتق الفتق واصلاح الجيش ادركتهم الحرب الفلسطينية فلم يكن لديهم متسع من الوقت .

---

(١) ذكرنا الممتلكات التي ربحها اليهود مع نص الاتفاقية في الملحق ...

(٢) كان في مصر بقية عسكرية بريطانية . وكانت هذه البقية تقصي الضباط الشبان الطموحين ، وترقي الضباط المسنين المستكينين .

اعترف المواوي (١) ان الجيش المصري الذي عهد اليه بقيادته في حرب فلسطين لم يكن مدرباً تدريباً كافياً . لا ، ولا قام بمناورة عسكرية واحدة في غضون الفترة التي انقضت بين سنتي ١٩٣١ و١٩٤٧ . وكل ما قام به الجيش خلال تلك الفترة انه كان يشترك في كسوة المحمل والمولد النبوي ومقاومة الفيضانات ومكافحة الجراد والكوليرا وحراسة الوزارات وقمع المظاهرات . حتى ان الكتيبة السادسة التي اجتازت حدود فلسطين كانت قد عادت من السودان لتقاوم الاضراب الذي اعلنه رجال البوليس المصري .

واعترف جمال عبد الناصر رئيس الوزارة المصرية في عهد الثورة (٢) « ان الكتائب الثلاثة التي دخلت معارك فلسطين الاولى (وهي التاسعة والسادسة والاولى) كان يديرها ضباط احداث تخرجوا من الكلية الحربية قبل ان يتموا دراستهم ، وقبل الوقت المحدد للحصول على الشهادة بسبب الحالة في فلسطين ... وبين هؤلاء جمال عبد الناصر نفسه الذي امر بالالتحاق بالكتيبة السادسة وعبد الحكيم عامر الذي امر بالالتحاق بالكتيبة التاسعة وزكريا محيي الدين الذي امر بالالتحاق بالكتيبة الاولى ... »

وكان لا بد من خوض غمارها . وكانت تنقصهم أشياء كثيرة . منها السلاح والعتاد . فقد كانت اسلحتهم قليلة (٣) ، وأعتدتهم ناقصة . ولم تكن لديهم طائرات كافية ، ولا الغام مضادة للدبابات لا ، ولا كانت لديهم مصفحات ثقيلة والعدد القليل من هذه المصفحات التي كانت لديهم في معارك النقب الثانية اتاهم من الباكستان . انه وان كان لديهم مدافع كثيرة ، إلا ان اكثرها لا ينفع للقتال . انه من مخلفات الحرب الكونية السابقة

---

(١) مجلة «المصور» المصرية العدد ٩٦٨ تاريخ ١٣-٥-١٩٥٣

(٢ مجلة «آخر ساعة» المصرية العدد ١٠٦٣ تاريخ ٩-٣-١٩٥٥

(٣) لقد تضاربت اراء الباحثين في تعيين المسؤول عن النقص في الاسلحة المصرية : اهم الانكليز ام انهم المصريون انفسهم . فقد كتب «ادجار جلاد باشا» في العدد الصادر بتاريخ ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٩ من جريدة «الزمان» القاهرية مقالا جاء فيه – « ان اسماعيل صدقي باشا رفض ، عندما كان رئيساً للوزارة المصرية ، ان يشتري فرقة مدرعة كاملة الاسلحة والعدد عرضها الانكليز عام ١٩٤٦ وقالوا انهم على استعداد لشحنها الى مصر في الحال » واضاف الى ذلك قوله « ولما رأى الانكليز الباشا مصراً في رفضه ، باعوا تلك الفرقة الى دولة اخرى » ثم ختم كلامه قائلا – « هذا ما قاله لي الانكليز انفسهم . ولقد تأكدت بعد ذلك من صحة هذا الخبر الخطير الذي يلقي بلا شك مسؤولية خطيرة على عاتق صدقي باشا وزملائه الوزراء عن تطور معركة فلسطين الى ما انتهت اليه »

وقال مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري ورئيس وزراء مصر في خطاب القاه في مجلس النواب بتاريخ ٨ تشرين الاول ١٩٥١ « ان الانكليز حاربوا تدريب الجيش المصري وتجهيزه . بدلا من ان يعاونوا في اعداده وفقا لتعهداتهم .. واتبع الانكليز حيال المسألة الفلسطينية سياسة لا يمكن وصفها إلا بأنها سياسة عدائية تعرض مصر لأشد الاخطار ... » الى اخر ما جاء في خطابه الذي القاه يومئذ تبريراً لالغاء المعاهدة التي عقدها المصريون مع الانكليز في ٢٦ آب ١٩٣٦

وكانوا يحفرون الخنادق بالفؤوس والمجارف الاعتيادية ، بينما كان اعداؤهم يحفرونها بالآلات الميكانيكية . وكانوا ينقلون جنودهم الى الجبهة في عربات غير مسلحة بالسكة الحديدية . وهذا ما جعلهم مراراً عديدة هدفاً لنيران اليهود ، واستغرب القوم لماذا لم يستعملوا عرباتهم القديمة المعدة لنقل السلاح ،وكان لديهم منها مقادير وافرة من أيام الحرب العالمية الثانية .

والأغرب من هذا كله ان مقداراً كبيراً من ذخائرهم وأعتدتهم الحربية كان لا يصلح للقتال . إذ ما كادت رحى القتال تقف ، وما كاد الناس يفيئون إلى رشدهم حتى علم المصريون ان عشرة من رجالهم الذين يشار اليهم بالبنان ، وهم :

١ــ محمد توفيق احمد باشا ، وكيل وزارة الحربية والبحرية

٢ــ اللواء ابراهيم سعد المسيري بك ، مدير سلاح المهندسين الملكي ورئيس لجنة احتياجات القوات المسلحة .

٣ــ البكباشي مصطفى محمد شديد ، بدائرة الاسلحة والمهمات .

٤ــ النبيل عباس حليم .

٥ــ القائمقام عبد الغفار عثمان ، كبير مفتشي المفرقعات بالجيش المصري .

٦ــ الصاغ فؤاد محمد عاطف ، مفتش المفرقعات في رفح .

٧ــ البكباشي حسين مصطفى منصور ــ كبير ضباط مخازن الذخيرة .

٨ــ الصاغ فؤاد بقطر ، مفتش مفرقعات الجيش

٩ــ امير البحر احمد بدر بك القائد البحري لجلالة الملك في الاسكندرية

١٠ــ البكباشي جورج ابراهيم سعد ، أركان حرب سلاح المهندسين الملكي ، وثلاثة من التجار هم :

١ــ محمود فهمي

٢ــ جوزيف كلوكو تروبنس

٣ــ عبد الصمد محمد عبد الصمد

قد ارتكبوا افظع جريمة عرفها الجيش المصري، بأن مكنوا(١)بطريق الغش والاحتيال والرشوة والتحريض شركات اجنبية (٢) من تصدير اسلحة فاسدة للجيش المصري ،

---

(١) هذا ما جاء في قرار الاتهام الذى اصدره النائب العام المصري محمود عزمي بك – ورفعه الى قاضي الاحالة طالباً احالة المتهمين الى محكمة الجنايات. وقد نشرته جريدة «الدفاع» المقدسية في عددها ٤٥٢١ الصادر بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٩٥١ نقلا عن وكالة الانباء العربية

(٢) هي شركة (اورليكون) السويسرية . وشركتا (كستروزيوني ميكانيكا ـوسيتا رومانو برازيولي ... الايطاليتان .

من شأنها ان تعرض حاملها للخطر . وتقدر قيمتها بخمسة ملايين دولار . وجاء في قرار الاتهام ان الاسلحة المشتراة(١) فضلا عن كونها غالية الثمن ، فانها فاسدة لا تصلح للعمل . لا ؛ بل انهـا تعرض القوات المصريـة التي تستعملها للخطر . وان الفاعلين اقدموا على عملهم هذا وهم مدركون للنتائج السيئة التي ستنجم عنه. حتى انهم زوروا الاوراق الرسمية ، وكذبوا ، لقاء ربح وفير عاد عليهم ، وقـد احصاه القرار .

وغضب المخلصون من رجال الجيش المصري لهذه الأخبار . وازدادوا نقمة وغضباً عندما سمعوا ان قضية الاسلحة هذه وقفت عند ذلك الحد ، وان اضبارتهـا اخفيت ، وان المجرمين — وهم كما رأيت من كبار رجال الجيش — لم يساقوا الى المحاكم ليلفظ القضاء حكمه فيهم . وما عتم هؤلاء ان تبينوا أن للملك فـاروق اصبعاً في الامر ، وانـه هو الذي أمر بوقف الاجراآت ، وإبعاد النائب العام عن منصبه ، فحال بعمله هذا دون محاكمة المجرمين الذين لهم صلة بصفقة الاسلحة الفاسدة .

ليس هذا فحسب . فان الملك فاروقاً قبض من جراء هذه الصفقة (سمسرة) قدرها مئة ألف جنيه ، وقد أودع هذا المبلغ باسمه في البنك الاهلي . اودعه ادمون بك جهلان مـن رجال حاشيته . وكان ذلك بتاريخ ١٩٤٩/٤/٦

وحدثني كثيرون انه لم يدخل الخزانة المصرية وصندوق وزارة الحربية من المبالغ التي تبرع بها المصريون لحملة فلسطين وقدرها ١٤٣،٠١٥ جنيها مصرياً سوى ٢٣،٠١٥ جنيه .

هذا وكانت قلوب هؤلاء المخلصين من ابناء مصر ورجال الجيش قد طفحت حقـداً وغضباً على الملك من جراء ظلمه وجشعه وتدخله في شؤون الجيش والوزارة ، وتأييـده للمفسدين والمنافقين من رجال الاقطاع في البلاد ، وانتدابه لهم في المناصب العـالية سواء كان ذلك في الجيش او في الوزارة ، واغلاقه نادي الضباط في القاهرة ، ذلك النادي الذي ابى ان يكون عبداً للملك ، وكان يقوم على إدارته ضباط لا يدينون له بالولاء ، وانتشار الفساد والخيانة والرشوة والمحسوبية في جميع مصالح الحكومة ودواوينهـا ، بالاضافة إلى الفقر والجوع والجهل والمرض وما إلى ذلك من الآفـات الاجتماعية التي فتكت بالقطر المصري وكادت تؤدي به الى الحضيض . فكره المصريون ملكهم ، بعد ان احبوه بدرجة العبادة ، يوم اعتلى منصة الحكم عام ١٩٣٦ .

---

(١) ١٦ مدفعاً من مدافع الميدان من عيار ١٠٥ مليمترات وبنادق «٣٠٣» تالفة و ٢٠٠٥٦ قنبلة يدوية ومقادير كبيرة من الذخيرة من عيار ٧٥ مليمترا . وناقلة للبترول «غردقة» .

الأمر الذي حدا إلى قيام انقلاب عسكري في مصر ، قاده اللواء محمد نجيب (١) قائد منطقة القاهرة ، واشترك فيه عدد كبير من الضباط المخلصين لوطنهم . فزحف هؤلاء في وم الاربعاء الموافق ٢٣ تموز ١٩٥٢ صوب القاهرة ، تحرسهم قوة كبيرة من الدبابات والمدرعات وتحلق فوق رؤوسهم الطائرات ، ومن خلفهم عدد كبير من المشاة ورجال البوليس . فطوقوا ، بادىء ذي بدء ، قصر عابدين . ثم احتلوا دور الوزارات ، ومحطة الاذاعة . وكذلك فعلوا بالاسكندرية . وماكادت شمس ذلك النهار تغيب ، حتى كان لجيش مسيطراً على القطر كله ، وليس على القاهرة وحدها ، سيطرة تامة .

وأرغم رجال الانقلاب ، وفي طليعتهم اللواء محمد نجيب ، الملك فاروقاً على التنازل عن عرش مصر لولي عهده الطفل ؛ الامير احمد فؤاد . كما ارغموه على مغادرة البلاد . وقد تم ذلك في يوم السبت الموافق ٢٦ تموز ١٩٥٢ .

أما طرق تموينهم فحدث عنها ولا حرج . انها كانت عقيمة للغاية . وبينما كان الجندي اليهودي يحمل معه ، بالاضافة إلى زاده المعتاد مقادير وافرة من الشيكولاته والكونياك ، كان الجندي المصري يقضي يومه على العيش الكفاف . وكثيراً ما كان الجنود المصريون يقضون أياماً طوالا في الجبهة الواحدة دون ان يستبدلوا بغيرهم بقصد الراحة . وأما اليهود فكانوا يستبدلون بين كل آونة وأخرى .

واثمد اهمل المصريون السلاح الذي لا بد منه في الحروب ألا وهو (الدعاية) فلا هم افهموا الناس ماذا يريدون . ولا فهموا ماذا يراد بهم . ولم تكن لديهم معلومات حقيقية عن اسرائيل وجيشها. ولو بحثوا الأمر لعرفوا أن اليهود مسلحون بأسلحة انكليزية واخرى

---

(١) عمره ٥٢ سنة . امه سودانية . وابوه مصري وهو اليوزباشي يوسف نجيب . كان قبل الانقلاب رئيسا لنادي الضباط بالقاهرة . وتولى رياسة سلاح الحدود بعد اللواء حسين سرى عامر . ولما اعيد هذا سلاح الحدود بأمر من الملك ، تولى هو قيادة سلاح المشاة . وظل فيها إلى أن حدث الانقلاب.فانتخبه زملاؤه الاحرار قائداً عاماً للقوات المصرية المسلحة .

وكان اول عمل قام به رجال الانقلاب ، بالاشتراك مع الحكومة التي ترأسها علي ماهر ، ان قرروا اعادة النائب العام محمد عزمي الذي اقاله الملك السابق الى منصبه ، وعهدوا اليه بمهمة استئناف البحث في قضية الاسلحة الفاسدة . واجمع المصريون حكومة وشعباً ، على القول ان قضية فلسطين ، وما اصاب الجيش المصري من ذلكها ، والاسلحة الفاسدة كانت الجمرة التي انبعثت منها الشرارة الاولى لهذا الانقلاب .

وعندما شرعت محكمة الثورة في النظر بقضية الاسلحة الفاسدة هذه في ٣ تشرين الثاني ١٩٥٣ ادانت احد لمتهمين عبد الغفار عثمان . واصدرت في ٧ تشرين الثاني حكمها بتجريده من رتبته العسكرية ومن جميع الاوسمة والنياشين التي حصل عليها ، وبسجنه خمسة عشر عاماً ، وبمصادرة ما زاد من امواله وممتلكاته هو وزوجته عما كانا تملكان في أول يناير سنة ١٩٤٦

اميركية . وكلها من النوع الحديث .وان لديهم خبراء ينتمون إلى مجموعة من الأمم والشعوب. ولقد قيل للجنود المصريين ، قبل أن يبرحوا أرض الوطن ، انهم سيقاتلون قوماً جبناء ، ما عرفوا معنى الحرب منذ آلاف السنين . وانهم عبارة عن شراذم شردوا ، وجاؤوا إلى فلسطين من جميع أنحاء العالم . فهم لا حول لهم ، ولا طول .

ويظهر ان رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا كان يعرف حقيقة الحال ، على الرغم من كل ما قيل ويقال . حتى انه صرح لرفاقه (١) أعضاء اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية « ان مصر ليست على استعداد لدخول الحرب لأسباب منها وأهمها قلة السلاح والعتاد » .

ولكن النقراشي لم يلجأ لمثل هذه الصراحة في البيان الذي ألقاه أمام البرلمان المصري يوم بحث هذا القضية الفلسطينية ، ولمح ان الرأي متجه نحو الاشتراك في الحرب القائمة. فقال لنواب الأمة « ان مصر على استعداد لخوض الحرب وإنقاذ فلسطين ، وانها تملك من القوة والعزم ما يكفل لها النصر »

وقيل انه فعل ذلك استجابة لرغبة الملك فاروق الذي كان يومئذ في طليعة القائلين بوجوب العمل على انقاذ فلسطين . ومن القائلين بهذا القول ايضاً جماعة الاخوان المسلمين .

هذا ولا بد لنا من القول ، قبل ان نختم هذا الفصل ، ان مصر — على ما بدا منها من ضعف اثناء القتال ، وما كان بين رجالها من خلاف — كانت اشد العرب عداء لليهود ومقتاً لسياستهم . فان الحصار الاقتصادي الذي فرضته عليهم بعد وقف القتال ، والأعمال التي قامت بها من اجل تفتيش السفن التي تمر من قناة السويس ، ومصادرة البضائع والأسلحة التي تمر من تلك القناة في طريقها إلى إسرائيل .. واخيراً موقفها العدائي من الانكليز الذين كان لهم الفضل الأكبر في خلق إسرائيل ... هذه وما إليها من الأعمال لا بد من ذكرها بالثناء والتقدير إذا ما جاء ذكر مصر في معارك فلسطين .

اسرائيل : الدولة اليهودية

في يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٩ جرت الانتخابات اليهودية . وانتخب اليهود مجلسهم التأسيسي من مئة وعشرين عضواً . وأذيعت النتائج بعد ذلك بأسبوع، فتبين

(١) سمعت هذا التصريح من السيد محمد صادق المجددي ، وزير الافغان في مصر ، نقلا عن مصادر واسعة الاطلاع في الشؤون العربية .

ان عدد الناخبين بلغ ٤٤٠،٠٠٠ من اصل ٥١٨،٧١٦ شخصاً منحهم القانون حق الانتخاب وفيما يلي بيان عدد الناخبين والنواب وأسماء الأحزاب (١) التي ينتمون إليها .

عدد الناخبين	اسم الحزب	عدد النواب
١٥٢،٩٧٢	حزب المباي	٤٦
٦٣،١٠٧	حزب العمال الموحد	١٩
٥٢،٦٣٣	حزب المزراحيين المتدينين	١٦
٤٩،٢٢٠	حزب حيروت (الأرغون)	١٤
٢٢.٥٢٤	حزب الصهيونيين العموميين	٧
١٧،٦٨٠	حزب التقدميين (المهاجرين الجدد)	٥
١٥،٠١٧	حزب اليهود السفاراديم	٤
١٤،٩٦٩	حزب الشيوعيين	٤
٧،٦٩٩	حزب شترن	٢
٤،٣٦٩	حزب يهود اليمن	١
٧،٣٨٧	الكتلة الديمقراطية بالناصرة	٢
٢٧،٢٧٤	اصوات متفرقة اعطيت لجماعات مختلفة	٠
٥،١١٩	اصوات الغيت لعدم صلاحها	٠
٤٤٠،٠٠٠		١٢٠

وفي ١٤ شباط ١٩٤٩ انعقد في القدس ، المجلس التأسيسي الـــذي ذكرناه في الأسطر المتقدمة . وكان هذا اول برلمان يهودي يعقد فيها بعد بعث (دولة اسرائيل) منذ ثلاثة آلاف سنة . وقد اسموه (الكنيست) . عقدوه في دار الوكالة اليهودية بحي رحافيا . فكان اول عمل قام بـــه النواب ان انتخبوا الدكتور وايزمن (٢) رئيساً لدولة إسرائيل ، تلك الدولة التي

(١) اقرأ ما كتبته عن هذه الاحزاب وعن خططها ومبادئها في آخر هذا الفصل .

(٢) ولد الدكتور حاييم وايزمن عام ١٨٧٣ في بلدة موتول القريبة من « منسك » من اعمال روسيا . وفيها اتم دراسته الاولية ومنها الديانة اليهودية . ثم تخرج من جامعات برلين وفرايبورغ وجنيف ، استاذاً في الكيمياء ، وله فيها تجارب واختراعات كثيرة . علم في جامعات جنيف « ١٩٠٠ » ومانشستر « ١٩٠٣ » . وكان مديراً للمختبرات الكيماوية في وزارة البحر البريطانية « ١٩١٦ » . اعتنق الصهيونية وكرس لها معظم جهوده فأسس الحزب الصهيوني الديمقراطي « ١٩٠١ » وكان من المعارضين لهرتسل في مشروعه القائل باستيطان اليهود في افريقيا الشرقية . وكان له الفضل ايضاً في تأسيس « الجامعة العبرية » تلك الجامعة التي وضع حجرها الاساسي « ١٩١٨ » على جبل الزيتون في حفل حضره فاتح القدس اللورد اللنبي ، وكان رئيساً لمجلس المديرين في الجامعة المذكورة

أعلنوا استقلالها فور انسحاب الانكليز من فلسطين في ١٤ ايار . انتخبوه بأكثرية ٨٥ صوتاً فترأس هذا المجلس ، وأقسم اليمين التالية : « اقسم يمين الولاء والطاعة لاسرائيل وقوانينها بصفتي رئيساً لها . » ثم اقسم كل واحد من الاعضاء امام الرئيس اليمين التالية : اقسم يمين الولاء الدستوري لدولة اسرائيل . وأتعهد بأن أنفذ واجباتي تجاهها باخلاص » .

ثم القى الدكتور وايزمن خطبة الافتتاح ، وقد جاء فيها ان هدف دولة اسرائيل جمع المشردين من يهود العالم ، وجعلهم ينعمون بالعيش في « وطنهم اسرائيل ... » .

إلى ان قال : « ان إسرائيل تمد يد السلام إلى العرب ، ويد الصداقة إلى جميع شعوب العالم المحبة للسلام » .

والقى رئيس الوزراء ، دافيـــد بن غوريون (١) خطبة قال فيها : « ان مصير مدينة القدس لن تقرره لجنة التوفيق الدولية . فان ذلك مقرر منذ ثلاثة آلاف سنة عندما اعلنت القدس عاصمة للدولة اليهودية » . وكان اول عمل عمله هـــذا ان الغى جميع القوانين التي سنتها الحكومة المنتدبة عملا بمبادىء الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ . وتولى وزير الخارجية شرتوك (٢) إبلاغ دول العالم نبأ قيام حكومة اسرائيل .

وهو الذي اسس في رحوبوت «دران» مختبره المشهور للبحوث الكيماوية . حضر مؤتمر الصلح بباريز «١٩١٩» وكان على رأس الوفد اليهودي الذي قدم لهذا المؤتمر مطالب الشعب اليهودي . وقاد بعد ذلك الحركة الصهيونية فكان رئيساً للوكالة اليهودية ، كما كان رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية . ولقد حفظ له شعبه هذا الجميل ، فرفعه الى كرسي الرئاسة كما ذكرنا في الاسطر المتقدمة .

(١) ولد « دافيد بن غوريون » عام ١٨٨٦ في بلونسك من اعمال بولونيا . وفيها أتم دراسته الاولية . ودرس الحقوق في جامعة استانبول . ثم جاء الى فلسطين «١٩٠٦» وراح يعمل في حقولها الزراعية كعـــامل بسيط وراعي بقر وناطور . وعندما نشبت الحرب الكونية الاولى «١٩١٤» نفاه جمال باشا . فذهب الى اميركا «١٩١٥» وهناك اصدر باللغة الجرغونية جريدة اسماها «يذكر» وهناك ايضاً اسس حركة الطلائع اليهودية المعروفة بـ «خالوتس» . وانخرط هو وصحبه في الكتيبة اليهودية التي كانت تعمل مع الجيش الأميركي . ثم عاد الى فلسطين «١٩٢٠» واشترك في حركة العمال اليهودية وكان دوماً من اعضائها البارزين .

قبل انتدابه رئيساً للوزراء ، كان رئيساً للجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية . وكان ايضاً رئيساً لفرع العمال في المنظمة الصهيونية العالمية . الف اربعة كتب آخرها واهمها «الحالة الاقتصادية والجغرافية والتاريخية لفلسطين» سنة ١٩٤٧

(٢) ولد في خرسون ١٨٩٤ واتم دراسته الاولية والثانوية في مدرسة هرقليا ، والجامعية في كلية الحقوق بالاستانة . ودرس علم الاقتصاد السياسي في جامعة لندن . جاء الى فلسطين سنة ١٩٠٦ وفي الحرب الكونية «١٩١٤» التحق بالجيش التركي وكان ضابطاً .

انضم الى حركة العمال سنة ١٩٢٠ . وكان عضواً في اللجنة التنفيذية لجمعية «برعلي لسيون» بلندن . اشتغل بالصحافة زمناً . وكان من محرري جريدة «داخار» من سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٣١ . ثم عـــين سكرتيراً للقسم السياسي في الوكالة اليهودية «١٩٣٣» . ثم صار رئيساً للدائرة المذكورة ، وعضواً في اللجنة التنفيذية

ورفع اليهود في احيائهم وعلى بناياتهم الاعلام اليهودية . ورفعت على بعض البنايات اعلام الدول التي اعترفت باسرائيل ، وعددها كان يومئذ اثنتين واربعين . ومر رجال الحكومة واعضاء المجلس التأسيسي ، عند وصولهم من تل ابيب ، من تحت اقواس النصر التي نصبوها عند مدخل المدينة من الغرب . وراح اليهود طيلة ذلك اليوم والذي بعده يغنون ويرقصون وينشدون الاهازيج الوطنية ، مما يدل على شدة ابتهاجهم بهذا الحادث بعد ان كادت آمالهم تتحطم حيال المقاومة العربية التي قامت في وجوههم خلال الثلاثين سنة المنصرمة . ولا سيما في اثناء الحصار الاخير الذي ضربه العرب حول المدينة . وها هم اليوم يسيطرون على الجزء الاكبر من المدينة لا بفضل المتطوعين والمحاربين الذين اتوا بهم من الخارج ، او المقادير الكثيرة من الاعتدة والاسلحة التي استحضروها من الولايات المتحدة ومن تشيكوسلوفاكيا وروسيا وسائر انحاء اوروبا الشرقية فحسب . ولكن بفضل تخاذل العرب ، وتعضيد دول الغرب لهم ايضاً . وها هم يتحدون هيئة الأمم ولجنة التوفيق التي انتدبتها تلك الهيئة ، ويعلنون على ملأ الأشهاد انهم لا يعترفون بالقرار القاضي بتدويل مدينة القدس . فالقدس في نظرهم – ليست يهودية فحسب ، بل وعاصمة الدولة اليهودية.

وانه ليجدر بنا ان نشير هنا إلى العوامل التي أدت إلى هذه النتيجة . انها كثيرة . فقد استفاد اليهود قبل كل شيء ، من التوراة . ومما فيها من آيات تنبىء بأنهم سيرجعون إلى ارض الميعاد وان هذه الارض ستكون لهم . ولقد استغلوا هذه الآيات في مصلحة قضيتهم إلى ابعد حدود الاستغلال. وكان لها تأثيرها في الاوساط الدينية ببريطانيا وسائر انحاء اوروبا والولايات المتحدة ، ولا سيما بين الأمم والشعوب التي لا تزال تؤمن بالتوراة واسفار العهد القديم .

واستغل اليهود اسفار العهد القديم اكثر من استغلالهم القرآن الكريم . فراحوا يقنعون المتدينين من ابناء الغرب وما اكثرهم في تلك البلاد ان رجوعهم للارض المقدسة امر محتوم قالت به الكتب المقدسة وفي مقدمتها التوراة التي يؤمنون بها ويرتلون آياتها في كل صباح ومساء .

اولم يقل الرب لابراهيم (١) :–

« اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت ابيك الى الارض التي اريك . فأجعلك

لحزب العمال الفلسطيني .

ولما نشبت الحرب الكونية الثانية «١٩٣٩» عمل كثيراً في سبيل تجنيد اليهود الفلسطينيين واشراكهم مع القوات البريطانية المسلحة . ولما قامت دولة اسرائيل عين وزيراً لشؤونها الخارجية ، ولعب دوراً هاماً في اروقة هيئة الامم ، وفي استصدار قرار التقسيم «١٩٤٧» وخلق دولة اسرائيل «١٩٤٨»

(١) اقرأ سفر التكوين . الاصحاح الثاني عشر العدد ١–٣

أمة عظيمة ، وأباركك، وأعظم اسمك،وتكون بركة . وأبارك مباركيك ،ولا عنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » .

وجاء في السفر نفسه (١) :—

« في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلا :— « لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصرإلى النهر الكبير نهر الفرات ... »

وقال (٢) :—

« واعطي لك ولنسلك من بعدك ارض غربتك كل ارض كنعان ملكاً أبدياً ... »

وفي سفر الخروج (٣) :—

« ارسل هيبتي امامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم واعطيك جميع اعدائك مدبرين . وارسل أمامك الزنابير . فتطرد الحوبيين والكنعانيين والحثيين من امامك . لا أطردهم من امامك في سنة واحدة ، لئلا تصير الارض خربة ، فتكثر عليك وحوش البرية . قليلا قليلا اطردهم من امامك إلى ان تثمر وتملك الأرض . واجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر . فاني ادفع إلى أيديكم سكان الأرض ، فتطردهم من امامك »

وقال (٤) :

« ومتى اتى بك الرب الهك إلى الأرض التي حلف لآبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ان يعطيك . إلى مدن عظيمة جيدة لم تبنها . وبيوت مملوءة كل خيرلم تملأها ، وآبارمحفورة لم تحفرها ، وكروم وزيتون لم تغرسها ، وأكلتَ وشبعتَ ... »

وقال (٥) :—

« لأن الرب الهك آت بك إلى ارض جيدة ، ارض انهار من عيون وغمار تنبع فيالبقاع والجبال . ارض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان . ارض زيتون وزيت وعسل . ارض ليس بالمسكنة تأكل فيها خبزاً . ولا يعوزك فيها شيء . ارض حجارتها حديد ، ومن جبالها تحفر نحاساً . فمتى اكلتَ وشبعتَ تبارك الرب الهك لأجل الأرض الجيدة التي اعطاك ... »

---

(١) سفر التكوين : الاصحاح الخامس عشر العدد ١٨

(٢) سفر التكوين : الأصحاح السابع عشر العدد ٨

(٣) سفر الخروج : الاصحاح الثالث والعشرون العدد ٢٧—٣٢

(٤) سفر التثنية : الاصحاح السادس العدد ١٠—١١

(٥) سفر التثنيه : الاصحاح الثامن العدد ٧—٩

وجاء في سفر يشوع (١) :ـ

فالآن قم اعبر هذا الاردن انت وكل هذا الشعب الى الارض التي انا معطيها لهم اي لبني اسرائيل . كل موضع تدوسه بطون اقدامكم لكم اعطيته كما كلمت موسى . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع ارض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم . لا يقف إنسان في وجهك كل ايام حياتك . كما كنتُ مع موسى اكون معك . لا اهملك ولا اتركك . تشدد وتشجع ... »

وفيه ايضاً (٢) :ـ

« ... وقد بقيت ارض كثيرة جداً للامتلاك . هذه هي الأرض الباقية . كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشجور الذي هو امام مصر الى تخم عقرون شمالاً تحسب للكنعانيين اقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزى والاشدودي والاشقلوني والجتي والعقروني والعويين . من التيمن كل ارض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين الى افيق الى تخم الأموريين وارض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعدل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة . جميع سكان الجبل من لبنان الى مسرفوت مايم جميع الصيدونيين . انا اطردهم من امام بني اسرائيل ... »

وفي سفر عزرا (٣) :ـ

« ... من منكم من كل شعبه . ليكن الهه معه ويصعد الى اورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب اله اسرائيل . هو الاله الذي في اورشليم . وكل من بقي في احد الاماكن حيث هو متغرب فينجده اهل مكانه بفضة وذهب وبأمتعة وبهائم مع التبرع لبيت الرب الذي في اورشليم . فقام رؤوس آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون مع كل من نبه الله روحه ايصعدوا ليبنوا بيت الرب الذي في اورشليم. وكل الذين حولهم اعانوهم بآنية فضة وبذهب وبأمتعة وببهائم وبتحف فضلا عن كل ما تُبرّع به » .

وفي سفر نحميا (٤) :ـ

« ولما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والاشدوديون ان اسوار اورشليم قد رممت والثغر ابتدأت تُسدّ غضبوا جداً . وتآمروا جميعهم معاً ان يأتوا ويحاربوا اورشليم

---

(١) سفر يشوع : الاصحاح الاول العدد ٢ـ٦

(٢) سفر يشوع : الاصحاح الثالث عشر العدد ٢ـ٦

(٣) سفر عزرا : الاصحاح الاول العدد ٣ـ٦

(٤) سفر نحميا : الاصحاح الرابع العدد ٧ـ١٤

ويعملوا بها ضرراً . فصلينا الى الهنا وأقمنا حراساً ضدهم نهاراً وليلا بسببهم ... »

ولما جاء اليهود الساكنون بجانبهم قالوا لنا عشر مرات من جميع الأماكن التي منها رجعوا الينا . فأوقفت الشعب من أسفل الموضع وراء السور وعلى القمم أوقفتهم حسب عشائرهم بسيوفهم ورماحهم وقسيهم . ونظرتُ وقمتُ وقلتُ للعظماء والولاة وبقية الشعب لا تخافوهم ، بل اذكروا السيد العظيم المرهوب،وحاربوا من اجل اخوتكم وبنيكم وبناتكم ونسائكم وبيوتكم » .

هذه وأمثالها من الآيات التي وردت في أسفار العهد القديم استغلها اليهود إلى أبعدحدود الاستغلال ، فأثروا على أفئدة المتدينين وكان لهم ما أرادوا .

ثم ان هناك وعياً قومياً عاماً شمل اليهود كلهم . رجالهم ونساءهم . وشيوخهم وشبانهم ويستند هذا الوعي إلى العلم والادراك الصحيح . وعلى هذا الوعي وذاك العلم والادراك بنوا نهضتهم ، ورسموا مثلهم العليا . انهم يعلمون ماذا يريدون ، وماذا يترتب عليهم ان يفعلوا من أجل الوصول إلى ضالتهم المنشودة . تعاموا ذلك من الغرب الذي عاشوا بين ظهرانيه احقاباً طوالا . ولقد أعدوا للأمر عدته . فتسلحوا ، وراحوا منذ وقت طويل يتدربون على استعمال السلاح . وعندما أزفت الساعة كانوا متسلحين ، وكانوا مدربين ، وكانوا قادرين على السير نحو هدفهم المنشود ... ولقد نهجوا في أعمالهم مناهج حربية (لا ثورية ولا محلية) فتنادوا إلى التعبئة العامة ، وأقاموا نوعاً من التجنيد يكاد يكون اجبارياً . وأسسوا جيشاً اسموه (الهاغانا) (١) اي جيش الدفاع . وانقلب هذا بعد قليل من طور الدفاع إلى طور الهجوم . واشترك في حركة النضال هذه كل يهودي قادر ويهودية قادرة على العمل . كل حسب مقدرته وسنه واختصاصه . حتى لقد بلغ عدد افراد جيشهم (الهاغانا) خمسةوسبعون ألفاً . ولقد صنعوا بعض أسلحتهم بأيديهم.وما لم يستطيعوا صنعه اشتروه من فبارك الغرب بأموالهم ووحدوا قيادتهم . واستعانوا بالاخصائيين من رجال الغرب الخبيرين بفنون الحرب والقتال . فساروا على خرائط وخطط مرسومة . ووضعوا ميزانيتهم على أسس منبثقة من الانظمة الحديثة في المال والاقتصاد . واستغلوا جميع موارد البلاد ومرافقها . الخاصة منها والعامة . ففرضوا الضرائب . وجبوا الاعانات . ولم يستثنوا من ذلك أحداً : فمد الجميع أيديهم ، ولم يتواروا . وفيهم قدرة على الاقتصاد والتقتير والتوفير ، وميل

(١) انظر الى ما كتبناه عن « الهاغانا » في آخر هذا الفصل .

للتضحية (١) والتطوع والتبرع والانفاق في سبيل المصلحة العامة (٢) . ولقد استفادوا من المرأة فعلموها ودربوها وأنزلوها إلى الميدان . فكانت لقومها خير معين في جميع الميادين . السياسية والاجتماعية والعسكرية . انهم لا يأبهون كثيراً بمسائل المرض والترف . وهم إلى ذلك اصحاب نفوذ واسع في جميع مناحي الحياة الغربية : التجارية والاقتصادية والسياسية ونفوذهم هذا منبعث عن المال من جهة والعلم من جهة أخرى .

ومن اوصافهم الخبث والمكر والدهاء والغش والتصميم والقدرة على الدعايـــة وحرب الأعصاب وتسخير القوى كلها وسلوك السبل ، على جميع انواعها ، من اجل الوصول إلى الغاية . والغاية في نظرهم تبرر الواسطة .

ومن اخلاقهم انهم قساة . ذلك لأنهم غلاظ الرقاب والأكباد . ولقد نقموا على بني الانسان ، لأن بني الانسان كانوا دوماً من الناقمين عليهم . فتعمدوا القسوة والوحشية غير مبالين بما سيقوله الناس عنهم ، لأنهم بلوا الشيء الكثير فيما مضى مـــن قسوة هؤلاء الناس واضطهادهم (٣) ..

ولقد تعلموا لغة البلاد ، ومنهم من أتقنها اكثر من ابنائهـــا الناطقين بالضاد (٤) ثم درسونا حق الدرس . فعرفونا ، وعرفوا كل ما تجب معرفته عن بلادنا ، وعن زعمائنا ، وعن نقاط القوة والضعف فينا (٥) . وعن طريق هذه المعرفة ادركوا من اين تؤكل الكتف ودرسوا طرق الادارة والتنظيم في عهد الانتداب فقد كان لهم في مختلف المصالح والدواوين الحكومية عدد كبير من الموظفين . كانت الوكالة اليهودية قد (نصبت) نفسها (حكومة ضمن حكومة) . وكانت الطرق كلها إلى الاستقلال الذي ينشدونه ممهدة .

---

(١) قالت جريدة «حيروت» في عددها الصادر بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٩ ان معارك فلسطين كلفت اليهود ٩٢٦٠ قتيلا ، قتل اكثر من نصفهم قبل ١٥ ايار ١٩٤٨ وبلغت خسائرهم في مدينة القدس وحدها ١٧٩٦ قتيلا كما اصيب ٤٨٧ شخصاً من مقاتليهم في هذه المدينة بعاهات دائمة. وقال اليعازر كابلان وزير مالية اسرائيل في الكنيست بتاريخ ١٤ اذار ١٩٥٠ ان اضرار الحرب في المنطقة اليهودية من فلسطين بلغت ١٢ مليون جنيه.

(٢) انفق اليهود على الشؤون الحربية خلال السنة التي بدأت في ١٥ ايار ١٩٤٨ مئة وعشرين مليوناً من الجنيهات .

(٣) كان في اوربا قبل الحرب الكونية الثانية «١٩٣٩» سبعة ملايين يهودي : قتل منهم الالمان ، في عهد هتلر ستة ملايين . ومن المليون الذين ظلوا احياء تمكن الثلث من استعادة حيـــاتهم الطبيعية ، وتشتت الثلثان تحت كل كوكب .

(٤) لم يتعلم اللغة العبرية من ابناء يعرب الفلسطينيين سوى نفر قلائل .

(٥) لم يحاول العرب درس اليهود دراسة علمية شاملة ، رغم انهم عاشوا معهم جنباً الى جنب سنين كثيرة وكل ما كانوا يعرفونه عن اليهود ، عند بدء القتال ، انهم قوم يسيطر عليهم البخل والجبن .

ففي ١٩ كانون الثاني ١٩٤٨ اعلنت اللجنة التي انتدبتها الوكالة اليهودية لاحصاء الشباب القادرين على القيام بالخدمات القومية ان ٧٢٪ من الشبان الذين تتراوح اعمارهم بين السابعة عشرة والخامسة والعشرين سجلوا انفسهم كمتطوعين للقيام بتلك الخدمات وان معظم الباقين ٢٨٪ كانوا قد انخرطوا في اعمال مختلفة .

وفي ١٧ شباط دعت الوكالة اليهودية الشبان القادرين على الانخراط في سلك البوليس ليكونوا ضباطاً في هذه القوة التي لا بد منها عند تأليف الدولة اليهودية

وفي ٩ آذار اجتمع في تل ابيب المجلس الملي اليهودي المعروف بالـ (وعاد لئومي)وبحث بوجه التفصيل الطرق الواجب اتباعها لتأسيس مجلس حكومي يهودي موقت استلم زمام الادارة المحلية والمركزية عند انتهاء الانتداب

وفي ٩ آذار تقرر ان يكون هذا المجلس مؤلفاً من ٣٢ عضواً : ١٢ منهم من الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية و ٤ من اللجنة التنفيذية للملجلس الملي اليهودي و٦ من الاحزاب الاخرى التي لم تكن ممثلة في احدى هاتين الهيئتين .

وفي ٢٩ آذار قررت الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية ان على الحكومة اليهودية الموقتة ان تشرع في العمل في ١٦ ايار .

وفي ٣١ آذار اذاعت الصحف اليهودية ان مئات من فتيان اليهود وفتياتهم يتدربون على الخدمات البريدية والمصالح العامة ليكونوا جاهزين للعمل عند انتهاء الانتداب .

وفي ١٠ نيسان اعلنت الوكالة اليهودية والمجلس اليهودي معاً انه انشيء (بيت مال) للدولة اليهودية ، مهمته الشروع حالا في جباية (ضريبة الدخل) من المواطنين الذين ستتألف منهم الدولة اليهودية المقبلة .

وفي ١٢ نيسان قررالمجلس الصهيوني العام الذي كان مجتمعاً في تل أبيب ان ينتهي الحكم الاجنبي في فلسطين ، بمجرد انتهاء الانتداب في ١٥ أيار ، وان يحل مكانه الحكم القومي باسم (دولة اسرائيل) . وفي اليوم نفسه صادق المجلس المذكور على الاتفاق الذي تم بين الهاغانا والارغون . وقرر عقد قرض قومي يهودي .

وفي ١٩ ابريل اذاعت الوكالة اليهودية والمجلس الملي اليهودي بياناً مشتركا طلبا فيه إلى جميع الموظفين اليهود في حكومة فلسطين ان يبقوا ــ بعد انتهاء الانتداب ــ في مراكزهم، وان يثابروا على اعمالهم .

وفي ٢ ايار صدر امر بالتعبئة العامة لجميع الرجال والنساء دون الاربعين . وخصص لكل رجل وامرأة ليرتان بالشهر .

وفي ٤ ايار اجتمع مجلس الشعب اليهودي في تل أبيب. لم يحضره ممثلو اليهود في القدس إذ كانوا محصورين، لا يستطيعون مغادرة المدينة.

وفي ٩ أيار دعي الشعب اليهودي للاكتتاب في قرض قومي قدره خمسة ملايين ليرة.

وفي ١٠ ايار راحت طائرات صغيرة من طراز اوستر تنقل البريد بين القدس والمستعمرات اليهودية. وكانت الرسائل تحمل طوابع بريد يهودية. وسار القطار لأول مرة بين حيفا والخضيرة يسوقه يهود ويرفرف عليه العلم الصهيوني المؤلف من لونين: ازرق وابيض

وفي ١٤ ايار — وفيما كان الانكليز ينسحبون من البلاد — اجتمع في متحف تل ابيب المجلس الموقت ملقباً نفسه (مجلس الدولة الموقت) وانتخب حكومة مؤقتة من ١٣ عضواً. واعلن الاستقلال (في اليوم الخامس من شهر ايار سنة ٥٧٠٨). أعلنه على اساس حدود التقسيم الذي اقرته هيئة الأمم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٩، وها هو المجلس التأسيسي الذي انتخبوا اعضاءه في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٩ يجتمع، ويعلن — بوصفه أول برلمان يهودي — بعث الدولة اليهودية الجديدة التي اسماها (إسرائيل) ولقد كان باستطاعة العرب، رغم كل ما ذكرناه في السطور المتقدمة ان يتغلبوا على اليهود في الحرب الحاضرة بما يملكون من أسلحة لو عرفوا كيف يستعملونها، ومن نفوس كثيرة وأراض واسعة ومؤهلات وصفات لا يملكها اعداؤهم، ولا سيما عندما تمكنوا من تطويق اليهود في القدس وقطع الماء والمؤن عنهم... أجل كان بامكانهم ان يتغلبوا على اعدائهم لولا تخاذل ملوكهم ورؤسائهم وقادتهم وزعمائهم، وقد بحثنا هذه الناحية في موضع آخر من الكتاب. ولولا تعضيد دول الغرب. وفي طليعة هذه الدول: انكلترا واميركا.

أما انكلترا فانها هي التي منحت اليهود وعدها المشهور بوعد بلفور، ومكنتهم من توطيد اقدامهم في هذه البلاد. ولقد ذكرنا ذلك بشيء من الاسهاب في موضع آخر من هذا الكتاب (١).

ولا نود ان نضيف اليه هنا إلا ما قاله الدكتور وايزمن في مذكراته التي نشرها بعد انتخابه لرئاسة دولة اسرائيل؛ حيث قال: «كان لنا دولة واحدة فحسب تعمل معنا العمل الجدي لتحقيق آمالنا في فلسطين، وكانت تلك الدولة هي بريطانيا...» والغريب في الأمر ان بريطانيا هذه التي عملت كل ما في وسعها من أجل تحقيق آمال اليهود في فلسطين، هي التي كانت تستشار من قبل الدول العربية في الحرب الفلسطينية، وهي التي رسمت الخطط اللازمة لتسيير دفة القتال في هذه البلاد. فكان لها ما أرادت.. لا، ما أراد العرب...

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن الانكليز وعن سياستهم في هذه البلاد عندما ذكرنا انباء الحوادث التي وقعت في ١ اذار ١٩٤٨

واما اميركا التي لم تكن ، في باديء الامر ، متحمسة لفكرة الوطن القومي اليهودي ، فانها عادت فخاضت هذا الخضم تحت تأثير المال والنفوذ اليهودي في بلادها . وإليها يرجع الفضل الاكبر في النجاح الذي احرزه اليهود في المراحل الأخيرة . ولا غرابة في ذلك فانهم (اي اليهود) نافذون في جميع مناحي الحياة الأميركية : في السياسة والمجتمع وفي ميادين المـــال والتجارة وفي مجال اللهو والخلاعة . وعدد الناخبين اليهود (١) كثير بدرجة انهم يستطيعون تغيير دفة الانتخابات لرئاسة الجمهورية . تلك الانتخابات التي تكرر مرة في كل اربع سنوات وباستطاعتك ان تقرأ الشيء الكثير عن هذه وغيرها من الحقائق في كتاب نشره ، حوالي عام ١٩٢٢ ، المستر فورد صاحب المصانع المعروفة باسمه بعنوان the Jewish Influence In the American Life اي (النفوذ اليهودي في الحياة الأميركية) . فقد اثبت هذا في كتابه ، بالأسماء والأرقام ، مبلغ تغلغل النفوذ اليهودي في الحياة الأميركية : مـــن البيت الأبيض الى جميع الوزارات ومصالح الدولة ودواوينها العامة .. إلى الصحف والمدارس والجامعات .. إلى المكاتب والنوادي والجمعيات.. وإلى جميع المؤسسات: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والخيرية .. حتى والدينية ...

وشعب هذا مبلغ نفوذه في تلك البلاد يستطيع ؛ ولا ريب ، ان يسير دفة السياسة فيها كما يشاء .

فهل نستغرب بعد هذا إذا ما رأينا الولايات المتحدة ضالعة مع اليهود : من رئيسها إلى اصغر عامل فيها ؟ وإذا ما رأيناها تسرع للاعتراف بدولة اسرائيل ، ولما ينقض على قيامها اكثر من بضع ساعات . ولهذه الولايات في يومنا هذا ، ما لها مـــن المكانة الدولية بسبب قدرتها التي لا تبارى في عالم المال والانتاج وفي ساحات القتال (٢)

هذا هو السر في النجاح الذي اصابـــه اليهود ... وهو ما حـــدا بالمسيو تريجفي لي ، السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة ؛ لأن يذكر في تقريره السنوي الرابع (٣) الذي وضعه عن اعمال الهيئة في سنة ١٩٤٨ « ان اقامـــة سلطات اليهود في فلسطين دون ان يصحب ذلك حرب ضروس هو امر من اهم ما سجله تاريخ الانسان » . وما كاد ينقضي سنة واحدة على قيام دولة اسرائيل حتى كانت سبع دول قد اعترفت بها .

---

(١) في نيويورك وحدها يقطن اربعة ملايين ونصف مليون من اليهود .

(٢) تعتبر اميركا ، في يومنا هذا ، اقوى الدول طراً في البر والبحر والجو . وهي في طليعة الدول ، ان لم تكن الدولة الوحيدة التي تملك عدداً من القنابل الذرية .

(٣) نشر هذا التقرير في ٩ اب ١٩٤٨

ويحدثك الخبيرون بخفايا السياسة الدولية بأساوب لا يعتريه الشك، فيقولون ان بريطانيا – عندما خرجت من الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٣) منهوكة القوى وكانت واقفة على شفا جرف الافلاس سواء من الناحية المالية او الاجتماعية – ألقت نفسها في أحضان حليفتها أميركا . وكانت هذه من الثروة والسعة المالية على جانب عظيم ، فطلبت منها قرضاً مالياً كبيراً . ولبت هذه طلبها ، فأبدت استعدادها لتزويدها بقرض قدره ثلاثمئة مليون من الجنيهات . مشترطة اتبـاع سياسة لا تتناقض والسياسة التي اعتزمت هي – اي اميركا – انتهاجها في فلسطين ، وهي تقتضي باجلاء العرب عن فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها . وُضِع هذا الشرط بتأثير كبار رجال المال في اميركا ، وجلهم إن لم نقل كلهم من اليهود . ويقول المحدثون ان بريطانيا وان كانت قد ترددت في قبول هذا الشرط في بادىء الامر ، إلا أنها عادت فرضخت . ليس هذا فحسب . بل انها اخذت على عاتقها اقناع الملك عبد الله كي يعمل على تنفيذ تلك السياسة ، وإفساح المجال لثلاثة أرباع المليون من الفلسطينيين الذين كان عليهم أن يجلوا عن منازلهم في بلاده. مشيرين من طرف خفي إلى إمكان استبداله بشيخ من شيوخ الأردن النافذين إذا هو حاول ان يقاوم هذه السياسة . فكان من أمرهم وأمره ما كان . . .

ليست لدي اية وثيقة خطية أو شفوية تثبت هذا القول، وإن كنت قد سمعته في كثير من المجالس ، ومن عدد كبير من الرواة . وكنت اريد ان اميل إلى تكذيبه، لولا ان الوقائع التي وقعت في هذه الفترة من الزمن تكاد ترغمني على تصديقه .

وأرى لزاماً علي ، قبل أن أختم كلامي عن الأسباب التي أدت إلى قيام دولة إسرائيل، ان اشير الى مختلف اساليب الدعاوة (الدعاية) . التي حذقها اليهود منـذ قرون ، والتي لم يقتصروا في بثها على النشرات والاذاعات والصحف والمجلات ، لا ، ولا على المال والجمال الفتان وقد بلت المحافل الدولية من هذا النوع من الدعايات الشيء الكثير في عصرنا الحالي ، بل انهم غاصوا في بطون الكتب والأسفار الدينية كالتوراة والانجيل والقرآن ؛ فاستنبطوا منها الآيات التي تشير إلى الطبقة الصالحة من أسلافهم ، وراحوا يرددونها في كل مكان .

أولم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : –

« يا بني اسرائيل اذكروا نعمتيَ التي أنعَمتُ عليكم وإني فضَّلتكم على العالمين ... وإذ نجيناكم من آل فرعونَ يَسومونكم سوءَ العذاب ، يُذبِّحونَ أبناءكم ويَستَحيونَ نساءكم وفي ذلك بلاءٌ من ربكم عظيم . وإذ فرَقنا بكمُ البحرَ ، فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون »

(سورة البقرة الآيات ٤٧ـ٥٠) .

وقال « كُلُّ الطعامِ كان حِلاً لِبني إسرائيل إلاّ ما حرّمَ إسرائيلُ على نفسه مِن قَبل أن تُنزّلَ التوراة ، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » (آل عمران : ٩٣)

وقال « وأورثنا القومَ الذين كانوا يُستضعفون مَشارقَ الأرضِ ومَغاربَها التي باركنا فيها ، وتمّت كلمةُ ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ، ودمّرنا ما كان يصنعُ فرعونُ وقومُه وما كانوا يَعرِشون » (الأعراف : ١٣٧)

وقال « وجاوزنا ببني إسرائيلَ البحرَ ، فأتبعهم فرعونُ وجنودُه بغياً وعدواً ، حتى إذا أدركه الغرقُ قالَ آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنتْ به بنو إسرائيلَ ، وأنا من المسلمين » (يونس : ٩٠) .

وقال « ولقد بوّأنا بني إسرائيل مُبوّأ صِدقٍ ، ورزقناهم من الطيباتِ ، فما اختلفوا حتى جاءهم العلمُ إن ربّكَ يقضي بينهم يومَ القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » (يونس: ٩٣)

وقال « وقضينا إلى بني إسرائيلَ في الكتابِ لتفسدُنّ في الأرضِ مرّتين ، ولتعلُنّ علوّاً كبيرا » (الاسراء : ٤)

وقال « وقُلنا مِن بعدِه لِبني إسرائيل اسكنوا الأرضَ ، فاذا جاءَ وعدُ الآخرة جِئنا بكم لفيفاً » (الاسراء : ١٠٤)

وقال « ويقولون سبحانَ ربنا إن كانَ وعدُ ربنا لمفعولا » (الاسراء : ١٠٧)

وقال « يابني إسرائيلَ قد أنجيناكم مِن عدوّكم وواعدناكم جانبَ الطورِ الأيمن ونزّلنا عليكم المنّ والسلوى ، كُلوا مِن طيباتِ ما رزقناكم ، ولا تطغَوا فيه ، فيحلّ عليكم غضبي ، ومَن يحلِل عليه غضبي فقد هوى » (طه : ٨٠) .

وقال « وأوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادي إنكم مُتّبعون . فأرسلَ فرعونُ في المدائنِ حاشرين . إن هؤلاء لشرذمةٌ قليلون . وإنهم لنا لغائظون . وإنا لجميعٌ حذِرون فأخرجناهم من جنات وعيون . وكنوزٍ ومقامٍ كريم . كذلك وأورثناها بني اسرائيل . فلما تراء الجمعان قال أصحابُ موسى إنا لمُدرَكون . قال كلا إن معيَ ربّي سيهدين . فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاكَ البحرَ فانفلقَ ، فكان كلُّ فرقٍ كالطّودِ العظيم . وأزلفنا ثمّ الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين . إن في ذلك لآيةً ، وما كان أكثرُهم مؤمنين » (الشعراء ٥٢ـ٦٧) .

وقال « ولقد نجّينا بني إسرائيلَ مِن العذابِ المُهين . مِن فرعون إنه كان عالياً من المسرفين . ولقد اخترناهم على علمٍ على العالمين » (الدخان : ٣٠ـ٣٢)

وقال « ولقد آتينا بني إسرائيل الكتابَ والحُكمَ والنبوّة ورزقناهم من الطيباتِ وَفضّلناهم على العالمين » (الجاثية : ١٠)

وانهم (اي اليهود) من الخبث والمكر بحيث لا يذكرون الآيات الأخرى التي تسيءإلى سمعتهم كقوله تعالى : ـ

« وإذ أَخذنا ميثاقَ بني اسرائيل لا يَعبدونَ إلا اللهَ وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين ؛ وقولوا للناس حُسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ثم توليتم إلا قليلاً منكم ، وأنتم مُعرضون . وإذ اخذنا ميثاقكم لا تَسفكون دماءَكم ولا تُخرجون انفسكم من دياركم ، ثم اقررتم وانتم تشهدون . ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتُخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، وتَظهرون عليهم بالاثم والعدوان ؛ وان يأتوكم أسارى تُفادوهم ، وهو مُحرَّمٌ عليكم اخراجُهم ، أفتؤمنونَ ببعض الكتاب وتكفرونَ ببعض فما جزاء مَن يفعلَ ذلكَ منكم الا خِزيٌ في الحياةِ الدنيا ويومَ القيامةِ يُرَدُّون الى اشدّ العذاب وما الله بغافل عما تعملون » (البقرة : ٨٣ــ٨٥) .

وقوله « لتجدَنَّ اشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهودَ ، والذين اشركوا ، ولتجدَنَّ اقربَهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا انّا نَصارى ، ذلكَ بأنَّ منهم قِسيسينَ ورهباناً ، وانهم لا يَستكبرون » (المائدة : ٨٢)

واليك فيما يلي ما نعرفه عن الاحزاب اليهوديةالتي قامت على اكتافها (دولة اسرائيل):

. (حزب الماباي) انه وان كان عدو الرأسمالية الا انه يرى في رأس المال اليهودي نعمة تساعده على شراء الأراضي والاستثمار .

كان قبلا يدعى (بوعلى تسيونن) اي عمال صهيون . ثم بدل اسمه فصار يدعى (احدون ها عاوودا) اي وحدة العمل . ثم اتحد مع حزب (هابوعيل هاتسعير)اي العامل الشاب فاتخذ اسما جديداً هو (مفافات بوعلي آرتس يسرائيل) ومعناه حزب عمال فلسطين ولأجل الاختصار اخذوا الحرف الأول من كل كلمة من هذه الكلمات (م ـ ب ـ آ ـ ي) فقالوا : مباي . ومن رؤساء هذا الحزب البارزين (دافيد بن غوريون)

٢ــ حزب العمال الموحد) حزب انشق عن المباي عند انتهاء الحرب الكونية الثانية . انه مؤلف من العمال الذين اسموا انفسهم(هاتنوثالاحدوتها عاوودا) ومن اهدافهم توحيد العمل .

٣ــ (حزب المتدينين) المزراحيين ، ويسمونه الحزب المزراحي . برنامجه من حيث السياسة وامتلاك فلسطين ، كبرنامج الحزب الصهيوني العام . غير انهما يختلفان من حيث

اشراك الدين في السياسة . فالحزب الصهيوني العام يريد إبعاد الدين عن السياسة . واما الحزب المزراحي فانه يميل الى توجيه الصهيونية توجيهاً دينياً . ويرمي إلى جعل الدين اليهودي ديناً رسمياً للدولة اليهودية .

وضعت نواة هذا الحزب في مدينة (فيلنا) من اعمال بولندا يوم نشر المؤتمر الصهيوني الخامس برنامجه (١٩٠٢) وأدرك اليهود المتدينون ان الحركة الصهيونية راحت تبتعد عن المثل الدينية .

٤ـ (حزب الصهونيين العموميين) ويعرفون بالصهيونيين الارثوذكسيين ، اي الذين حافظوا على صهيونيتهم كما كانت عند بدء تأسيسها دون ادخال تعديل عليها . معظم اصحاب المصالح ورؤوس الاموال منهم . وهم يرمون الى انشاء دولة يهودية في فلسطين . ويفضلون الاستعمار والتوسع الفردي على الاستعمار والتوسع الاجماعي، وهم في ذلك يناقضون حزب المباي . والصهيونيون العموميون ايضاً فريقان فريق معتدل ومنهم الدكتور وايزمن وآخر متطرف . ولهذا ميول فاشية .

٥ـ (حزب التقدميين) مؤلف من المهاجرين الذين هبطوا فلسطين حديثاً . ومن اسماء هذا الحزب (عليا حداشا) اي الهجرة الجديدة . تألف اثر انتهاء الحرب الكونية الثانية من المهاجرين الذين جاؤوا من اوروبا الوسطى بعد سنة ١٩٣٣ . وهم يطالبون بهجرة يهودية غير محدودة .

٦ـ (حزب اليهود السفاراديم) اي الشرقيين الذين جاؤوا من اسبانيا والمغرب الاقصى يسيرون في معيشتهم وطراز تفكيرهم على أساليب شرقية . اكثرهم ولد في فلسطين وعاش بها العمر كله . وهم يميلون إلي التفاهم مع العرب ، وان كان بعضهم اشترك في النضال ضدهم ، وابلى بلاء اكثر من بلاء الآخرين .

٧ ـ (حزب الشيوعيين) فرع للدولة الشيوعية . يرمي الى تحرير فلسطين من اي استعمار غربي ، والى احداث انقلاب اشتراكي ، والى ادخال فلسطين في اتحاد جمهوريات عربية اشتراكية سوفياتية ينشأ في البلاد . ويعمل للقضاء على الفروق العنصرية والجنسية. حارب هذا الحزب في بادىء الأمر ؛ الصهيونية ، لاعتقاده انها حركة رأسمالية . ولكنه عاد فعدل عن مقاومته لها . لا ، بل راح يؤيدها . وبعد ان كان يطالب بتأسيس دولة عربية يهودية مستقلة على اسس ديموقراطية ، راح يعمل على تأسيس دولة يهودية على اسس شيوعية . وبين الشيوعيين الاربعة الذين انتخبوا في البرلمان الاسرائيلي عربي واحد هو توفيق طوبي من عكا .

٨ـ (حزب يهود اليمن) يفهم من اسمه انه مؤلف من يهود اليمن . انهم وان كانوا متحدين مع معظم الاحزاب اليهودية من الناحية السياسية ، الا انهم يخالفونهم في كثير من معتقداتهم وطرق معيشتهم . انهم اهل حرب وكفاح . ولقد قاتلوا العرب . وكانوا اكثر اليهود صبراً في ميادين القتال .

٩ ـ (الكتلة الديموقراطية بالناصرة) لا نعرف عنها شيئا . الا ما قرأناه في الصحف اليهودية . وهي انها مؤلفة من بضعة رجال من سكان الناصرة العرب رأوا ـ على مايظهر ـ من مصلحتهم عندما دخل اليهود مدينتهم ، ان يداروهم . فاشتركوا في الانتخابات اليهودية وانتخب اثنان منهم هما امين جرجورة وسيف الدين الزعبي . ولقد رحب اليهود بفكرتهم ليثبتوا للعالم انهم ديموقراطيون ، وانهم ينوون ان يمنحوا الاقليات التي تعيش في كنفهم حرية الرأي والعمل .

هذا عن الاحزاب المدنية اليهودية : من اشتراكية ودينية وشيوعية وديموقراطية . واما الاحزاب التي قامت الدولة اليهودية على اكتافها من الناحية العملية والعسكرية فاليك ما اعرفه عنها . وهي :

١ ـ الهاغانا
ب ـ الأرغون
ج ـ شترن

الهاغانا (١)

هو الاسم الرسمي لجيش اسرائيل في يومنا هذا (١٩٤٩) . ويسمونه (تسوا هاغانا) اي جيش الدفاع . رجاله ينتمون الي حزب العمال الاشتراكيين . ويعتبرون رمزاً لهذا الحزب . كانوا قبل تأليف الدولة ، على وفاق تام مع الوكالة اليهودية ، وهم اليوم على وفاق مع حكومة اسرائيل القائمة ، لا بل ، انهم حصنها الحصين .

٢ـ غرست نواة هذا الجيش في تربة فلسطين في العهد التركي ، يوم اسس اليهود مستعمراتهم الاولى في فلسطين (١٨٧٩) واقاموا خفراء لحماية تلك المستعمرات . وكانوا

---

(١) اقتبست معظم المعلومات عن هذه المنظمة من مذكراتي الشخصية التي دأبت على تسجيلها يوماً فيوماً طيلة الثلاثين سنة المنصرمة ، ومن كتاب للكاتب اليهودي « ارثور كوستلر » نشره في عام ١٩٤٩ بعنوان « وعد ووفاء »

يسمونهم (هاشومزيم) (١) وجلهم - إن لم نقل كلهم - كانوا يومئذ من رعاة الأبقار .

٣- وقد انضم إلى هؤلاء ، في عام ١٩٠٥ صنف جديد من المهاجرين . جاءوا من روسيا اثر المذابح التي وقعت يومئذ هناك ضد اليهود وكانوا ينتمون إلى منظمات كونوها للدفاع عن أنفسهم في بعض المدن والقرى الروسية . فوحد الفريقان اختباراتهما في هذه الحياة، وكونوا منظمة شبه عسكرية سموها (هاشومير) . ولكن هذه المنظمة وان كانت ذات فروع متعددة إلا ان هذه الفروع كانت ضعيفة . وكان عمل كل واحد منها منحصراً في المستعمرة التي هو فيها .

٤- ولقد تطورت الفكرة واتخذت طابعاً قومياً ، اثر الاحتلال البريطاني . ولا سيما اثناء الثورة التي اضرم نارها العرب ضد الانتداب وضد الوطن القومي اليهودي في عامي ١٩٢٠ (القدس) و١٩٢١ (يافا) يوم قتل من اليهود وجرح عدد كبير .

عندئذ رأى اليهود انه لا بد من قيام منظمة تتولى الدفاع عن مستعمراتهم . على ان تشمل هذه المنظمة جميع المستعمرات . وتكون تابعة لقيادة موحدة . فأقاموها . وأسموها (هاغانا) اي الدفاع . والفضل الاول في تأسيس الهاغانا يرجع إلى (الياهوغولومب) . ورغم ان تأليف مثل هذه المنظمة كان عملا غير قانوني ، وانـــه يناقض صك الانتداب ، الا ان الحكومة اغمضت عينيها لاعتقادها بأن وجود مثل هذه المنظمة يساعدها على كبح جماح العرب الذين كانوا يومئذ الأكثرين . وكانوا من الحقد والعداء للدولة المنتدبة على جانب عظيم . ليس هذا فحسب بل انها (اي الحكومة) لم تتردد في بعض الحالات من مد الهاغانا بالسلاح . (٢) وكانت تعمل ذلك في السر . وأما في العلن فكانت تقوم بأعمال تدل على انها تقاوم الفكرة. وكانت بين الفينة والفينة تكبس المستعمرات وتبحث عن الأسلحة غير المرخصة اظهـــاراً لمقتها وحيادها .

٥- بالرغم مما تقدم ظلت الهاغانا ضعيفة إلى ان نشبت في فلسطين ثورة ١٩٢٩ وقتل وجرح عدد كبير جداً من اليهود ، ولا سيما في الخليل وصفد . ورأى اليهود ان خسارتهم كانت فادحة في المناطق التي لم يكونوا يملكون فيها سلاحاً او كان سلاحهم قليلا ،وان هذه كانت ضئيلة حيث كان السلاح كثيراً . فجمعوا الأموال الوفيرة من اخوانهم في الغرب ،

---

(١) من هؤلاء « جوشيو ستانبر » و « ميشيل كاتز » و « راب » و « بن ميمون » و « بن داوود » و « الياهو غولولمب » الذي قاد جيش الهاغانا في عـــام ١٩٤٦ . ومنهم « دافيد بن غوريون » رئيس حزب الماباي ورئيس وزراء اسرائيل «١٩٤٨» وكان هذا فيما مضى يرعى البقر وينطر الحقول في قرية الشجرة من اعمال الجليل .

(٢) « وعد ووفاء » لارثور كوستلر ص ٧٠ .

ولا سيا في اميركا واخذوا يهربون السلاح بكثرة وكان مبدأهم (الدفاع) فقط ، وضبط النفس ريثا يتمكنون من استيراد السلاح الكافي ، ويتدربون على القتال .

٦ــ وسنحت الفرصة في عام ١٩٣٧؛ اثر الثورة التي اضرم العرب نارها في ١٩٣٦ يوم تولى الكبتن (اورد وينجت) (١) تأسيس فرقة اسماها (فصائل الحرس الليلي) . وكان ذلك باذن من الحكومة. ودعا رجال الهاغانا للانخراط في هذه الفرقة . فلبى دعوته كثيرون وراح يدربهم على القتال . وشن بهم على العرب حرباً من نوع (حرب العصابات) وكان له الفضل في صون انابيب البترول . تلك الأنابيب التي تمر عبر الجليل ناقلة بترول العراق الى البحر الأبيض المتوسط . وامتلأت مخازن الهاغانا بالسلاح والعتاد . وكان مع كل فرقة عسكرية بريطانية يومئذ ترجمان يهودي . وكان هـذا في الحقيقة صلة الوصل بين الانكليز والهاغانا . ووصلت قوة الهاغانا في ذلك الجيش الى ١٦ الف محارب .

٧ــ وعندما انعمت الحكومة البريطانية النظر في سياستها وقررت تبديلها بشكل لا يغضب العرب واصدرت الكتاب الابيض ذلك الكتاب الذي حددت فيه الهجرة تحديداً اغضب اليهود ، قلب لها اليهود ظهر المجن . وراحوا يحاربونها وينسفون دور الحكومة . ويخطفون رجال البوليس البريطانيين .

عندئذ راحت تشدد النكير على الهاغانا وتعتقل رجالها وتكبس مستعمراتهم وتصادر ما تجده فيها من اسلحة .

وضاعف رجال الهاغانا من تكتمهم ، ومن التدابير التي كانوا يتخذونهـــا ، على سبيل الاحتياط ، لاخفاء إعمالهم . فكانوا يجتمعون في حجرات مظلمة ودهاليز مخفية . يقوم على حراستهم وهم مجتمعون، عدد من الحراس الأمنـــاء ، يعرفون كيف يستعملون اجراس الكهرباء اذا ما داهمهم الجند او رجال الشرطة .

وهم لا يقبلون في صفوفهم الا من عُرف بالاخلاص لشعبه ؛ وجعل قضية بلاده مثلا اعلى ، وعرف بالمقدرة على ضبط النفس وكتم السر .

ويُستنطق الشخص الذي يبدى رغبته في الانخراط في صفوف الهاغانا ، من لدن ثلاثة

---

(١) Capt Orde Wingate جاء الى فلسطين عام ١٩٣٧ وكان ضابطاً في قلم الاستخبارات وكان يتقرب من اليهود ويبدي رغبته في مساعدتهم لتحقيق المبادىء الصهيونية . وقام من اجل ذلك بأعمال كثيرة فأحبه اليهود واسموه البريطاني الثاني بعد اللورد بلفور . وانشأ اليهود بعد خمس سنوات مـــن تأسيس دولتهم «اسرائيل» مستعمرة اسموها «عين اورد» تخليداً لذكراه . وتم تدشين هذه المستعمرة التي انشأوها على سفح جبل الكرمل بحيفا في ١٥ نيسان ١٩٥٣

اشخاص من رجالها القدماء فيسأل عمن يعرف ، ومن لا يعرف .. وعما فعل في حياتــه ، وما ينوي ان يفعل . وتكون وجوه السائلين مخفية عن المسؤول . بينا يكون وجهه في النور وبعد السؤال يترك حيناً . ويجري البحث عنه وعن اخلاقه ومبادئه . وقــد يدوم البحث بضعة اسابيع ، او شهور .. وعندما يتقرر ضمه الى الصفوف يؤمر بمواجهة زيد من الناس في مكان معلوم . فيواجهه . ويتولى هذا تحليفه اليمين : في غرفة ظلماء .. حول مائدة عليها شمعتان . ومسدس .. وتوراة ...

وعندما يُقبل يُؤمر بألا يقتني صورة فوطوغرافية ، ولا رسالة مخطوطة ، ويدعى الى التدرب على استعمال السلاح . فيتعلم اولا كيف يستعمل الاسلحة الخفيفة السهلة ، ثم يتدرج الى استعمال الاسلحة الثقيلة الصعبة .

٨ــ ولمــا نشبت الحرب الكونية الثــانية (١٩٣٩) راح اليهود يتطوعون في الجيش البريطاني (١) لا حباً بسواد عيون الانكليز ولكن لقهر الالمــان اعدائهم ، وليتدربوا على القتال من اجل فلسطين .

وعقدت الحكومة مع الوكالة اليهودية اتفاقاً سريا ، تعهدت بموجبه ان تخفف الضغط عن الهاغانا . ولكن لا تغضب العرب ــ وكانت في حاجة اليهم هم ايضا ــ راحت تصدر احكاما مختلفة على اليهود المذنبين . وحكمت بالفعل على عدد من قواد الهاغانا بالسجن المؤبد او عشر سنوات . ثم بعد سنة او سنتين كانت تطلق سراحهم (٢) .

من ذلك ان المحكمة حكمت في سنة ١٩٤٠ على ٤٣ من رجال الهاغانا بالسجن مدداً مختلفة وبعد بضعة اسابيع خفض الحكم الى النصف من قبل القائد العــام . وبعد سنة عفا عن الجميع .

ليس هذا فحسب . بل انا رأينا الكثيرين من المحكوم عليهم يعملون في صفوف الجيش البريطاني عندما قام هذا يغزو سوريا (١٩٤١) وطرد منها عمال حكومة فيشي الافرنسية . ومن هؤلاء موشه دايان (٤) الذي قاد الجيش الاسرائيلي في معارك القدس .

---

(١) بلغ عدد الذين سجلوا اسماءهم في سجلات الوكالة اليهودية لهذه الغاية ١٣٠٠٠٠ بين ذكر وانثى . اخذ الانكليز منهم ٣٠٠٠٠ واما عدد العرب الذين تطوعوا لهذه الغاية فقد بلغ ٩٠٠٠ وكان الحافز لهؤلاء على التطوع كسب العيش فقط ، وليس ربح الحرب . اذ كانوا يتمنون انتصار الالمان ليتخلصوا عن طريقهم من اليهود اعدائهم .

(٢) راجع كتاب « وعد ووفاء » للكاتب اليهودي ارثور كوستلر ص٧٦

(٣) انه ابن عم زعيم من زعماء العمال في مستعمرة نهلال . حكمت عليه المحكمة العسكريــة بالسجن عشر سنوات ١٩٤٠ وفي ١٩٤١ عفي عنه واطلق سراحه ليشترك في الجيش البريطاني في حملته على سوريا . وفي سنة ١٩٤٨ عين قائداً عسكريا لجيش اسرائيل في القدس

٩ـ ودامت الهدنة بين اليهود والانكليز طيلة الحرب التي قامت في شمال افريقيا والعلمين. ليس هذا فحسب . بل ان الفريقين عقـــدا اتفاقية (١٩٤٢) كان وسيطها الميجر جنرال ويلسون Major Gen. B T. Wilson (١) قائـــد إحدى الوحدات البريطانية في الشرق الأوسط (كانت تعرف بـ G. S. I. J تعهد الانكليز بموجبها ان يسلحوا الهاغانا ويدربوهم على القتال وحرب العصابات. على أن يقوموا بالعمل الذي يطلب منهم فيما إذا انتصر الألمان في معركة العلمين ودخلوا فلسطين . وأسس الانكليز مدرسة لتدريب الهـــاغانا . وكانت هذه في المنطقة الجبلية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من حيفا . ولقد تم ذلك كله سرآ ولم يدر به العرب .

١٠ ـ وفي خريف عام ١٩٤٤ سمح الانكليز لليهود بتأليف آلاي يهودي مـــن اليهود أنفسهم . وكان للمستر تشرشل الفضل الأكبر في إقناع زملائه . ورجال هذا الآلاي كانوا النواة التي نمت وترعرعت وتألف منها جيش اسرائيل .

١١ ـ ولكن العلاقات عادت فتوترت بين الانكليز واليهود اثر اغتـــيال اللورد موين المقيم البريطاني في الشرق الأوسط . وقد اغتاله اليهود في القاهرة (١٩٤٤) فراح الانكليز يشددون الخناق لا على الارهابيين فحسب بل وعلى المعتدلين أيضاً رغم ان هؤلاء زعمـــوا وفي طليعتهم الوكالة اليهودية انهم غير مسؤولين عما جرى وان الذين اغتالوه مـــن عصابة شترن . وراح اليهود في الوقت نفسه يهاجمون الانكليز وينسفون منازلهم ويختطفون رجالهم.

١٢ ـ وفي ٣٠ كانون الأول ١٩٤٥ ابلغ بن غوريون وشرتوك الحكومة انهم لايستطيعون التعاون مع الحكومة في مكافحتها اعمال الارهاب .

١٣ ـ وفي ٢٦ تموز ١٩٤٧ اصدر القائد العام للقوات البريطانية امره بمنع جميع الضباط والجنود البريطانيين من ارتياد النوادي والمحافل اليهودية . وبدأ النضال بين الفريقين .

١٤ ـ وعندما صدر قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) راح رجال الهاغانا يعملون بجرأة أكثر من ذي قبل لتحقيق غاياتهم . فاشتركوا بادىء ذي بدء في المعارك التي وقعت في القدس وبين يافا وتل أبيب . ثم راحت قواتهم الآلية المتحركة تركض لنجدة القوافل في المستعمرات النائية . وانتقلت وحدات الهاغانا بعد أن ازدادت مقادير السلاح التي لديها من طور الدفاع إلى طور الهجوم . ولكن على طريقة العصابات . ولمـــا اكتمل سلاحها ازدادت جرأة . وراحت تتحدى العرب . وازدادت املا في النصر عندما تمكنت من صد جيش التحرير الذي قاده القاوقجي في معركة مشمار هاعميك (٩ نيسان ١٩٤٨) . وعندما

---

(١) « وعد ووفاء » لارثور كوستلر ص ٨٤-٨٦

اجتمع المجلس الصهيوني العالمي في تل أبيب في ١٤ نيسان واعلن ان اليهود سيستقلون في ١٥ ايار راحت الهاغانا تعمل في الجهر .

١٥ ــ وما كاد الانكليز يغادرون البـــلاد . في ١٤ ايار حتى اعلن اليهود استقلالهم ، متكئين في ذلك على جيشهم الذي اعدوه لمثل هذا اليوم ، ألا وهو (الهاغانا). وقداستبدلوا هذا الاسم بـ (جيش اسرائيل) .

الارغون

منظمة ارهابية سرية . يقدر عدد المنتمين اليها بعشرة آلاف. كانوا على عهدالانتداب يعمارن في الخفاء . واما اليوم فانهم يعملون في الجهر .

مؤسساها اثنان من تلامذة الجامعة العبرية هما: دافيد رازييل D.Raziel وابراهام شترن A. Stern كانا يعملان في صفوف الهاغانا . ولما وضعت هذه مبدأها القائل بضبط النفس ، انشقا عنها ، وأسسا منظمتها هذه . وقد أسمياهـــا (ارغون تسفاي لئومي) اي المنظمة العسكرية القومية .

شعارهم ــ التوراة والمدفع . وقد اقتبساه من قصيدة نشرت بهذا العنوان .

٢ ــ معظم افراد هذه المنظمة من الشباب الاصلاحيين . واكثرهم شرقيون :ــ فامـــا يمنيون ، او سفرديون . واما رؤساؤهم فانهم من الشباب المثقفين الذين اختبروا الأعمـــال الثورية في برلونيا وسائر انحاء اوربا الشرقية .

انهم لا يثقون بمبدأ (ضبط النفس) . ذلك المبدأ الذي اتخذه رجال الهاغانا شعاراً لهم . بل هم من القائلين بضرورة الانتقام ، ومقابلة المثل بالمثل . « النفس بالنفس .. والعـــين بالعين .. والأنف بالأنف .. والاذن بالاذن .. والسن بالسن .. »

٣ــ من مبادئهم :ــ

(آ) اخطار الساكنين قبل الشروع في نسف مساكنهم . والاخـطار يجب ان يكون اما بالتلفون او بكتاب مخطوط .

(ب) لا يجوز قتل انسان او نسف بناء إلا بقرار من الهيئة التي تدير منظمتهم . وهي تشبه الى حد كبير المحاكم العسكرية .

(ج) يجب ان يبلغ المحكوم عليه الحكم الذي صدر بحقه قبل تنفيذه .

(د) يجب على رجال الارغون ان يكتسوا شارة الحزب (وهي سوار في الذراع) اثناء قيامهم بالعمل .

(هـ) بعد الانتهاء من العمل يجب ان يعلن للملأ اسم المؤسسة التي قامت به ، وذلك

اما عن طريق الاذاعة ، او باعلانات تعلق على الجدران وتنشر في كل مكان .

(و) لا يجوز في أي حال من الأحوال قتل اي يهودي،ولا الانتقام من افراد أي حزب آخر من الأحزاب اليهودية . فالنسف والقتل والتدمير وأي عمل من الأعمال الارهابية يجب ان يوجه إلى الكفار من غير اليهود .

وقد اشتهروا باطاعة قادتهم طاعة عمياء .

٣ـ عمل رجال هذه المنظمة ، بادىء ذي بدء ، على تهريب المهـاجرين غير الشرعيين من اوربا الوسطى إلى فلسطين . ولاقوا كل تأييد من الحكومة البولونية التي امدتهم بالمال والسلاح . لا حباً بسواد عيونهم بل لأنها كانت تريد التخلص من اليهود .

٤ـ ثم راحوا يلقون القنابل في الأسواق والمجتمعات العربية (١٩٣٩) وكانت تلك هي المرة الأولى التي يقوم بها اليهود بأعمال ارهابية ضد العرب . ولقد أوقف عدد من رجال هذه العصابة . ومنهم شترن ورازييل . وعذبوا . فقتل رفاقهم ، في السنة نفسها ، الضابط البريطاني الذي امر بتعذيبهم وهو (Cairns) وكان هذا اول عمل ارهابي يقوم به اليهود ضد الانكليز الذين أتوا بهم إلى هذه البلاد .

عندئذ اعتقلت الحكومة معظم رجال الارغون وزجتهم في السجون . ووضعت فريقاً منهم في معتقل اللطرون (١٩٣٩) ومن هؤلاء قائد المنظمة دافيد رازييل .

٦ـ ولما نشبت الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩) عرض رجال الارغون على الحكومـة اقتراحاً بعقد هدنة . فقبلها هؤلاء ، وعقدت الهدنة (١) . عندئـذ اطلق سراح زعمائهم . وارسلت الحكومة بعضهم في بعثات عسكرية خاصة . ومـن هؤلاء رازييل نفسه . فقد اشترك هذا وصحبه في حملة العراق . نقلتهم السلطة في طياراتها ليقاتلوا في صفوفها،ويعملوا على اخماد ثورة اقامها رشيد عالي الكيلاني في تلك البلاد . وكان عليهم ان يلبسوا الثياب العربية ، وينسفوا مؤسسات البترول ، ويخطفوا المفتي ورشيد عـالي الكيلاني . ولكنهم لم يوفقوا وقتل رازييل في ٢٠ ايار ١٩٤١ في العراق اثر غارة جوية ودفن في مقبرة الجنـد في الحبانية .

٧ـ بعد مقتل رازييل تولى زعامة الارغون « مناحيم بيغن » (٢)

---

(١) احدثت هذه الهدنة انشقاقاً في صفوف الارغون . فانشق عنها ابراهام شترن . والف منظمة جديدة عرفت بعصابة شترن . وسنذكرها في موضع آخر من هذا الكتاب .

(٢) انه محام قانوني . من الشباب الاصلاحيين . اصله من وارسو . جاء الى فلسطين مع جيش الجنرال اندرس البولوني . داعية من الطبقة الاولى .

٨ـ تمكنت منظمة الارغون من نسف عدد من مباني الحكومة ومراكز البوليس في عام ١٩٤٤ ونهبت مقادير كبيرة من الاسلحة من مخازن الحكومة. وفيما كانت تقوم بهذه الاعمال كان الدكتور حاييم وايزمن ينشر في الصحف (١) بيانات عبر فيها عـن اسفه وامتعاضه وغضبه لهذه الاعمال الارهابية (٢)

٩ـ وعندما صدر حكم الاعدام ضد (دوف غرونر) من رجـال الارغون (في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٨) وصدقه القائـد العام الجنرال باركر اختطف رفقاؤه بعـد يومين (٤٨/١/٢٦) انكليزيين. واحتفظا بهما كرهينة لقاء دوف غرونر. فما كان من القائد العام إلا ان اصدر حكمه بوقف التنفيذ بحجة الحصول على رأي مجلس الملك الخاص في الحكم. فأخلي سبيل الشخصين في ٢٨ منه. وبعد ثلاثة شهور شنق دوف غرونر. وشنق معه ثلاثة من الارهابيين وتمكن اثنان آخران من الانتحار قبل ان ينفذ فيهما حكم الشنق.

١٠ـ هذه معلومات عامة عن هذه المنظمة المعروفة بـ (الارغون). واما القائد العام لقوات الارغون في قطاع القدس، في اثناء القتال (١٩٤٨)، فقد كان (ي. رعنان) ومن مساعديه (يهوشاع غولد شميد) وقد قاد هذا ملجأة دير ياسين، وقُتل في معارك الشيخ جراح.

شترن

منظمة إرهابية سرية أسست في ايار ١٩٤١، اثر الانشقاق الذي ألم بصفوف الارغون، وسبب الانشقاق هو ان زعيمي الارغون (رازييل وشترن) اختلفا حول فكرة الهدنـة. فحبذ رازييل الفكرة وهادن الانكليز واشترك في الحملة التي ارسلوها يومئذ الى العراق. وعارض شترن في هذه الهدنة فانشق عن الأرغون، وأسس منظمة مستقلة اسماها (لحي حيروت اسرائيل) اي (المكافحون من اجل حرية اسرائيل) ويعرفها القوم بعصابة شترن. ويقدر عدد افرادها بسبعة آلاف. وهم من القائلين بالارهاب الى ابعد حدوده. والقتل من غير تمييز. فكل من خالف المطامع اليهودية أو تراخى في السعي اليها يجب ان يقتل، سواء اكان انكليزياً او عربياً او يهودياً. ومن مطامعهم الاستيلاء على ضفتي الاردن.

٢ـ لم يرض الانكليز عن هذه المنظمة، لا، ولا المعتدلون من اليهود. وراح رجـال

---

(١) جريدة «التايمس» اللندنية بتاريخ ١٨ شباط ١٩٤٤

(٢) ذكرت جريدة (بالستاين بوست) (في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ كانون الاول ١٩٤٩ ان مناحيم بيغن زعيم عصابة الارغون سابقاً ورئيس حزب حيروت حالياً اعترف في اجتماع عام عقد بتل ابيب ان روسيا كانت في عهد الانتداب البريطاني، تشجعه على المضي في ارتكاب الجرائم ضد البريطانيين.

البوليس يطاردون رجالها . ووقع شترن في كمين نصب له في تل أبيب (١٩٤٣) وجرح في ظهره بينما كان يحاول الهرب . ولقد تضعضع حزبه ، وتشتت شمل أعضائه بعد ذلـــك . وألقت الحكومة القبض على عدد مـــن قادة الحزب . فسجنت بعضهم في سجن القدس ، واعتقلت البعض الآخر في معتقل اللطرون .

وفي تشرين الثاني ١٩٤٣ فر اثنان من زعماء هذه العصابة المسجونين في القدس . وفر عشرون من المعتقلين في اللطرون . ولقد فر هؤلاء (أي معتقلو اللطرون) من نفق حفروه في الأرض طوله أربعون متراً . وكان يقودهم (دافيد فريدمان يلين) (١) الذي تولى قيادة المنظمة بعد شترن .

٤ ـ نصبت عصابة شترن (في آب ١٩٤٤) كميناً للمندوب السامي السر هارولد ماكمايكل نصبته عند مدخل القدس من الغرب . وقصدت اغتياله، إذ اعتبرته عدواً للمطامع الصهيونية ولقد انفجر اللغم الذي زرعته في الطريق ، فجرح مرافقه . وأما هو (أي المندوب) فلم يصب بأذى .

٥ ـ وفي أيلول من تلك السنة (١٩٤٤) هاجم رجال هذه العصابة أربعة مراكز للبوليس وقتلوا كنستابلا بريطانياً .

٦ ـ وفي تشرين الأول ١٩٤٤ قتل اثنان من رجالهـــا اللورد موين Lord Moyne الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط . قتلاه في القاهرة .

٧ ـــ عندئذ راح رجال البوليس البريطانيون ، السريون منهم والعلنيون ، يقتفون آثار هذه العصابة . وكان هؤلاء بقياده الماجور روي فران R. A. Farran وانهم هـــذا (اي فران) بقتل أحد الشبان المنتمين إلى عصابة شترن . وقالت الوكالة اليهودية في شكواها الى لجنة هيئة الأمم ان هذا الشاب اخذ الى مكان ما قريب من القدس . وعذب إلى ان مات في (ايار ١٩٤٧) واتهمت الماجور فران بقتله . ويظهر ان الحكومة ارادت ان ترضي اليهود فقررت سوق القضية إلى المحكمة العسكرية . عندئذ فر (فران) من فلسطين. ثم عاد فانصاع إلى نصائح قومه . فرجع إلى فلسطين وسلم نفسه إلى الحكومة . فسجنته في قشلاق الجند(٢) على طريق بيت لحم . ولكنه عاد ففر . ثم سلم نفسه. وحوكم ولما حاكمته المحكمة العسكرية (١ تشرين الأول ١٩٤٧) قررت براءته من التهمة التي اسندت اليه . ولما رجع إلى بلده ليفربول استقبل فيها استقبال الأبطال . واشترك في استقباله عدد كبير من الناس ينتمون

---

(١) انه خريج المعهد العلمي في الجامعة العبرية

(٢) عرف هذا القشلاق بـ Allenby Barracks

إلى مختلف الطبقات . فأقسمت عصابة شترن إلا ان تنتقم لفتاها رابينوفتش منه . وقتلت اخاه . قتلته بقنبلة ارسلتها اليه وقد وضعتها في رزمة عادية من رزمات البريد .

مؤتمر اريحا ومبايعة الملك عبد الله

وفي اليوم الأول من شهر كانون الأول ١٩٤٨ عقد لفيف من الفلسطينيين مؤتمراً اسموه (المؤتمر الفلسطيني الثاني) (١) . عقدوه في اريحا ، وقد حضره زهاء الف شخص اكثرهم من اللاجئين الذين نزحوا عن ديارهم ونزلوا الأردن واتخـذ عمال الملك وحكام البلاد العسكريون كل ما يمكن من التدابير لنقل المخاتير والموظفين . ومـن لم يحضر المؤتمر أو يؤيده من الموظفين أقالوه من عمله ؟ او ارغموه على الاستقالة .

ولقد نادى المؤتمرون بضم فلسطين إلى شرقي الأردن وبايعوا عبد الله بن الحسين ملكاً دستورياً على الجانبين وقالوا في قراراتهم (٢) ما يلي :

١ـ يشكر المؤتمر الدول العربية لما بذلته من جهد وتضحيات ويطلب منها جميعاً مواصلة القتال لانقاذ فلسطين .

٢ـ يعتبر المؤتمر فلسطين وحدة كاملة لا تتجزأ ، وكل حـل يتنافى مع ذلك لا يعتبر حلا نهائياً .

٣ـ لا يمكن للبلاد العربية ان تقاوم الاخطار التي تجابهها وتهدد فلسطين إلا بالوحدة القومية الشاملة . ويجب البدء بتوحيد فلسطين مع شرقي الاردن مقدمة لوحدة عربية تامة .

٤ـ يبايع المؤتمر جـلالة الملك عبد الله ملكاً على فلسطين كلها . ويحيي جيشه الباسل والجيوش العربية التي حاربت ولا تزال دفاعاً عن فلسطين .

٥ـ يقترح المؤتمر على جلالته الاشارة بوضع نظام لانتخاب ممثلين شرعيين عن عرب فلسطين يستشارون في أمورها .

٦ـ التشديد بضرورة الاسراع في ارجاع اللاجئين إلى بلادهم والتعويض عليهم .

٧ـ تبليغ هذه المقررات إلى منظمة الأمم والجامعة العربية والدول العربية وممثلي الدول الاخرى .

---

(١) عقد المؤتمر الاول في عمان قبل ذلك بشهرين . والذين عملوا على عقد هذين المؤتمرين هم انصار الملك عبد الله . وهم يرمون الى اشراك الفلسطينيين في المسؤولية التي تترتب على الانسحاب من ميادين القتال ، ودمج البقية الباقية من فلسطين بشرقي الاردن ، ومبايعة الملك عبد الله ، ملك المملكة الاردنية الهاشمية ملكاً عليها :

(٢) اقتبست هذه القرارات من بيان رسمي اذاعتـه محطة الاذاعة برام الله في مساء اليوم الذي عقـد فيه المؤتمر .

انشطر سكان فلسطين ، على اثر مؤتمر اريحا ، إلى شطرين ، محبذ ومندد . اما المحبذون فقالوا عن مقرراته انها عين الصواب . وان فلسطين لا تستطيع القيام على رجليها وحدها، ولا سيا بعد ان اصابها ما اصابها من خسارة في الارواح والممتلكات ومن تفكك في الأوصال وتزعزع في الثقة وفقدان الكرامة .

واما المنددون فقالوا انه لا يجوز لفئة من الناس ، لا تمثل إلا جزءاً ضئيلا من الشعب ان تقرر مصير البلاد دون الرجوع إلى باقي الفئات . ولم يكن الشعب الفلسطيني يومئذ، وقد قطعت اوصاله في فلسطين وشرق الاردن وفي الشام ولبنان ومصر والعراق ، في وضع يمكنه من ابداء رغبته بحرية وصراحة. وكان علماء الأزهر من المنددين، حتى انهم اعتبروا الشخص الذي يقدم على مثل هذا العمل مارقاً من الدين .

وظهرت في الميدان ، بعد ذلك ، فئة ثالثة راحت تنادي ان فلسطين للفلسطينيين وانه لا يجوز تقرير المصير في مؤتمرات مرتجلة كالمؤتمر الذي عقد في غزة في اليوم الاول من شهر تشرين الأول ١٩٤٨ والمؤتمر الذي عقد في اريحا في اليوم الاول من كانون الأول ١٩٤٨ . وانما يجب ان يقرر المصير عن طريق استفتاء حر عام ، يشترك فيه جميع ابناء فلسطين ؛ الذين بقوا منهم في فلسطين والذين نزحوا عنها على ان يتم ذلك باشراف لجنة ممثلة لجميع الدول العربية ولعرب فلسطين يتولى انتخابها مجلس الجامعة العربية . فيدلي كل فلسطيني برأيه في صندوق يكون في حوزة هذه اللجنة ، بطريقة سرية . دون ان يخشى اي لوم او تقريع من هذا الحزب او ذاك او من هذا الملك او ذاك .

وما كاد ينقضي على هذا المؤتمر بضعة ايام حتى انتشرت في الجو شائعات تقول (١)

---

(١) نشرت مجلة «اخبار اليوم» المصرية في عددها ٢٨٠ الصادر بتاريخ ١٨ آذار ١٩٥٠ صورة اخذت بالزينكوغراف لكتاب ارسله مدير الشؤون العربية في الوكالة اليهودية ، الاضون الياس ساسون ، الى الملك عبد الله بتاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٤٨ اليك نصه :

مولاي المعظم

اجلال واحترام . وبعد ارجو ان تكونوا جلالتكم بغاية الصحة

سيدي ، لقد وصلت اليوم الى القدس ، عائداً من باريس . لمدة قصيرة جداً ، للاتصال بجلالتكم - اذا تفضلتم وامرتم بذلك - والتعاون على حل الامور المعقدة والوصول الى ما نتمناه جميعاً من احلال السلام في ربوع هذه البلاد العزيزة على جلالتكم وعلينا . فأرجو جلالتكم والحالة هذه ان تتكرموا وترسلوا الى القدس لمقابلتي والبحث معي احد الاشخاص الذين تثقون بهم وارجو ان يكون هذا الشخص مصحوبا بالصديق الدكتور شوكت باشا . وان يكون كذلك من المخلصين للقضية المشتركة . هذا وارجو ان يأتي هذا الشخص بأسرع ما يمكن وان امكن غداً السبت حيث اوقاتي قصيرة جداً . ومضطر ان اعود الى باريس في اسرع ما يمكن . هذا واني اتمنى ان تساعدني الظروف على التشرف بمقابلة جلالتكم في احدى الفرص السعيدة ان شاء الله .

القدس الجمعة ١٠-١٢-٤٨ المخلص : الياس ساسون

ملاحظة : قابلني قبل تركي لباريس حضرة الصديق الامير عبد المجيد حيدر وتكلمنا مطولا في عدة امور .

ان الملك عبد الله شرع يفاوض اليهود ، الامر الذي كان يرمي اليه من وراء هذه الحركة والمبايعة التي تمخضت عنها .

نتائج الشقاق

فبما كان العرب يتجادلون في اي الفريقين احق من الآخر :ـ الملك عبد الله ، امالحاج امين ؟ الكتلة الهاشمية (شرقي الاردن او العراق) ام الكتلة المصرية ـ السعودية ؟ كان اليهود سادرين في اعمالهم لايذاء العرب غير مبالين بالهدنة وشروطها ... وفي الحقيقةانهم خرقوا الهدنة ، ولما يجف المداد الذي وقعوا به (اتفاقية الهدنة) وليس العرب وجدهم ، هم الذين ادعوا ذلك ، بل اعترف به المراقبون الدوليون الذين اقامهم مجلس الامن لهذه الغاية وقد فصلنا ذلك في حينه تفصيلا تاماً .

الجواسيس

وكأن اختلاف القادة والزعماء العرب لا يكفي ، فقد زاد طين العرب بلة هذا العدد العديد من الجواسيس الذين كانوا منتشرين بين الصفوف . بعضهم تمكن العرب من اكتشاف امرهم . والبعض الآخر لم يتمكنوا . ومن الجواسيس الخطرين الذين اكتشف امرهم :

يهودي قال انه مرسل من عمان .. وانه جاء لتسلم قيادة المناضلين في قطاع القدس بعد ان تخلى عنها طارق الافريقي (١) . ولكن المناضلين من ابناء بيت المقدس اكتشفوا أمره ولما ينقض على مجيئه اكثر من ٤٨ ساعة . فقتلوه .

ومنهم شاب يهودي زعم انه ضل الطريق وجاء إلى يافا . وكانت ترافقه فتاة يهودية جميلة قالت انها حلبية الأصل . وكان الاثنان يتقنان اللغة العربية . ولدى التحقيق في أمرهما ثبت ان الفتى جاسوس خطر . فقتله المناضلون واما الفتاة فقد سلموها إلى رجال الحرس في مستعمرة (نيتر) ليعيدوها إلى أهلها .

ومنهم (لطفي يعقوب) الذي كان قبل بدء القتال مديراً لمطبعة (الصراط المستقيم) العربية . وا كتشف وهو ينقل ، اثناء القتال ، اخبار العرب إلى جريدة (حقيقة الأمر) اليهودية . اكتشف امره بعد ثلاثة شهور ، فسيق إلى المحكمة العسكرية ، فأدانته هذه وحكمت عليه بالاعدام . بعد ان اعترف انه يهودي ، وانه كان يعمل لمصلحة قومه

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذا القائد في الصفحات ١٣٠ و ٣٢٧ و ٣٢٩ من الجزء الاول

اليهود .

ومنهم الجاسوس اليهودي الذي غش المناضلين فترة من الزمن ،فزعم انه عربي،واسمى نفسه (يوسف شابيلا) . وقال انه كان فيما مضى ضابطاً من قوة الحدود . وانه عامل الآن على تأليف كتاب يدعو فيه الناس لشد أزر العرب ، والأخذ بيدهم في محنتهم . ذلك لأنهم على حق ، ولأن قضيتهم عادلة ! . فصدقه المناضلون العرب . وعهدوا اليه بتسوية شؤونهم الهامة . وفي قول انه تمكن من الوصول إلى مقر قيادة الشيخ حسن سلامة ، فراح يعمل سكرتيراً له . وثبت بعد قليل انه يهودي وانه ارهابي خطير ، وانه ينتمي إلى العصابة المعروفة بالأرغون اسمه الحقيقي (هيلبرن) وهو الذي نسف العمارة المعروفة King David ومن يدري ؟ ومن يدري ؟ لعله هو الذي نسف (مركز الرجاء) الذي اتخذه الشيخ حسن سلامه مقراً لقيادته .

عرفه نقيب انكليزي كان في عهد الانتداب من رجال مصلحة الاستخبارات . فكان جزاؤه القتل .

واكتشف المناضلون في شهر نيسان ١٩٤٨ وقبل رحيل الانكليز بأسبوعين جاسوساً ادعى انه من مسلمي اليمن . وان اسمه (سليم الجاعون) .

رآه فريق من المناضلين على مقربة من باب الخليل ، وهو يقود سيارة طافحة بالمواد المتفجرة . فاقتفوا اثره ، إلى ان وقف امام الدار التي اتخذها الاخوان المسلمون مقراً لهم بباب الساهرة . فاعتقلوه قبل ان يتمكن من تفجيرها . ولدى التحقيق اعترف انه من يهود اليمن ، وانه ينتمي إلى منظمة الارغون ، وانه كان ينوي نسف مقر الاخوان المسلمين . فأخذوه وقتلوه . ودفنوه وراء السور من الشرق .

وكان بين رجال جيش الانقاذ عدد من اليهود الناطقين بالضاد ، ينتمون إلى مصلحة الاستخبارات اليهودية . ولم يكشف أمرهم إلا بعد حين . ذلك لأنهم يتقنون اللغة العربية؛ لغة البلاد ، اتقاناً تاماً .

نذكر منهم (عباس آلباس) الذي ادعى انه تركي ، وانه انما نزل فلسطين ليحارب في صفوف المناضلين العرب . واشتغل مدة كاتباً في المحكمة المركزية بيافا . واندس في صفوف المناضلين هناك . وعمل معهم زمناً غير قليل . إلى ان انفضح أمره. فألقى رجال حامية يافا القبض عليه وعلى عدد آخر من الجواسيس الآخرين. فأعدموهم بعد ان اعترفوا انهم جواسيس .

وعثر رجال الحامية يومئذ على عدد كبير من اليهوديات وجدوهن في بيوت الدعارة .

فعرفوا انهن جاسوسات .

ومثل امام آمر الحامية في (أبي كبير) بيافا يوماً من الأيام رجل انكليزي ، ونقل اليه بعض المعلومات الملفقة عن اليهود ، مدعياً أنه اطلع عليها بحكم مركزه ، ولكنه ، وهو يتحدث إلى الآمر ، تمكن من الاطلاع على خطط الدفاع ، فنقلها إلى اليهود . وما هي إلا ساعة وبعض الساعة بعد مغادرته ابي كبير ، حتى راح اليهود يمطرون المواضع نفسها التي مر منها ذلك الانكليزي بوابل من قنابلهم . فدمروها تدميرا .

وبحث العرب عن ذلك الانكليزي ، فعرفوا – ولكن بعد خراب البصرة – انه جاسوس خطر .

ومنهم ضابط انكليزي دخل القدس مع الكتيبة السادسة ، وفك المدفع وأعاد تركيبه على سطح القلعة عند باب الخليل بالقدس (١) . وهو الذي حدد أهدافه .

واستغرب الناس : لماذا لم توجه قذائف هذا المدفع صوب الاهداف اليهودية . وكانت تلك الاهداف ظاهرة للعيان . ولكن استغرابهم زال عندما علموا ان الرجل الذي اشرف على المدفع من حيث فكه وتركيبه وتحديد اهدافه والذي كان يزعم انه انكليزي ! . كان في الحقيقة يهودياً يعمل لمصلحة قومه اليهود ! .

وحدثني اللفتنانت كولونيل نيومن ، قائد الكتيبة الثالثة ، وهو زيلندي الاصل ، انه وجنده كثيراً ما رأوا شارات حمراء تنطلق من على سطح دار القنصلية البريطانية . تلك الدار القائمة عند مفترق الطرق إلى الشمال من باب العمود . حيث كانت ترابط كتيبته . وان الطائرات اليهودية كانت تظهر في ذلك القطاع بعد ظهور الشارات . فتلقي قنابلها هنا وهناك الامر الذي حدا بقيادة الكتيبة لتوجيه إنذار شديد اللهجة إلى رجال القنصلية .

واستغرب الناس عندما سمعوا انه كان بين رجال المدفعية اللبنانية عدد من الضباط اليهود . وراحوا يتساءلون : كيف يجوز ذلك ؟ واليهودي يهودي اينما حل وحيثما سار . وراح قادة الجيش اللبناني يدفعون التهمة عن انفسهم بقولهم ان عدد اليهود في الجيش لا يزيد على اثنين هما :

١ – الكبتن (دوبين) رئيس مصلحة المدفعية المسؤول عن شراء الاسلحة وتصليحها (؟) وعن الذخيرة والمحروقات . وقد تولى في فترة من فترات القتال قيادة المدافع في جيش الانقاذ في قطاع الناصرة .

٢ – الكبتن (ستانس) وهو طبيب في المستشفى العسكري .

---

(١) اقرأ ما كتبته عن هذا المدفع في الصفحة ٤٥٦ من الجزء الثاني .

وأضاف قادة الجيش إلى ما تقدم قولهم : ان كليهما من يهود بيروت المخلصين ؟ .

ومن دلائل اخلاصهم ان قام بنو قومهم يهود فلسطين ، في ١٧ تشرين اول ١٩٤٨ ، بهجوم شديد على لبنان . فاجتازوا الحدود واحتلوا سبع عشرة قرية من ضياعه . عرفنا منها : بليدا ـ ميس الجبل ـ مركبة ـ محيبيب ـ كفر كلا ـ القنطرة ـ عديسة ـ طيبة ـ تل النحاس ـ رب الثلاثين ـ الجنان ـ الحولة . وقد قتل اليهود عدداً غير قليل من سكان هذه القرى . فمن قرية الحولة وحدها قتلوا تسعة وثمانين رجلا وأربع نساء .

وبعد ان مكثوا فيها بضعة ايام ، اخلوها . وقد أشرنا إلى هـذا الحادث في موضع آخر (١) من هذا الكتاب .

وحدثني الضابط سليم عازر الذي تولى النضال عند باب الخليل فترة مـن الزمن ، ان جندياً من جنود جيش الانقاذ جاءه يوماً شاكياً المرضة التي ذكرناها في السطور المتقدمة فسأله الضابط عازر من يكون ؟ ولما وضع يده في جيبه ، ليخرج منهـا أوراق (هويته) خانه الحظ ، فأخرج منها (هويتين) لا(هوية) واحدة : وإذا بالواحدة تقول انهمراكشي والثانية انه سوري من حلب . ولدى التحقيق ثبت انه من يهود مراكش ، وانه جاسوس يعمل لحساب اسرائيل . وقد لاقى مصيره المحتوم .

وكانت هناك فتاة جميلة الوجه ، رشيقة القوام . تسكن في رام الله . وقد اشتغلت بعض الوقت ممرضة في مستشفى القدس . تقربت من فاضل رشيد عبد الله آمر الحامية عنـدما كانت قطعات من جيش الانقاذ في المدينة . ولما تسلمها الجيش العربي راحت تتقرب من عبد الله التل . وثبت بعد قليل انها جاسوسة تعمل لحساب اليهود .

وكانت هناك جاسوسة لا تقل خطراً عن اختها التي سبقتها هي (كاترين) تلك الفتاة الروسية الجميلة التي كانت تعيش قبل نشوب القتال في غرفة فخمة بفندق (الملك داود)وبعد نشوب القتال راحت تعيش في حبس المسيح .. على مقربة من (الروضة) المقر الذي كان يقيم فيه آمر الحامية ..فاضل رشيد عبد الله .. وقد اقام فيه ايضاً بعد احتلال الجيش العربي لمدينة القدس قائد الكتيبة السادسة .. عبد الله التل .

وبفضل ذكائها وحلاوة لسانها تمكنت من اكتساب ثقة الكثيرين من الضباط والمناضلين وأوهمتهم انها من اصل عربي . وانها تحب العرب . ولا بدع فقد كانت مـن الجمال على جانب عظيم .

وظلت (كاترين) على اتصال بالجيش ورجالـه فترة طويلة من الزمن . ولم يفتضح

---

(١) اقرأ الصفحة ٣٦٤ من الجزء الاول

أمرها إلا سنة ١٩٥٣ عندما رأوا معها أوراقاً ومخابرات كتبت باللغة العبرية . وقد عثروا على تلك الأوراق تحت (شمدان) معد لانارة الغرفة . عندئذ امروها بالاقامة الجبرية (؟) في (دير الكسندر نيفسكي) على مقربة مــن باب خان الزيت . ثم نقلوهــا (١٩٥٤) إلى عمان .

ودخل قصر رغدان في يوم من الأيام رجل ألماني، فأكد للملك عبد الله انه يحب العرب وانه عندما سمع بنشوب القتال بينهم وبين اليهود جاء إلى فلسطين ليساعدهم. وأبرز أوراقاً تثبت انه من انصار القضية العربية . ووثق الملك به ، فأمر باستخدامه في إحدى القطعات، والافادة من خبرته العسكرية . وأرسله إلى القدس . وهناك عهدوا إليه بالدفاع عن (حي الشورى) ولكن ما لبث الضباط الذين يعملون تحت إمرته ان ادركوا سقم خطته في أول معركة خاضها . إذ تعرض جنوده للخطر . فشكوه لرؤسائه . ولدى التحقيق في أمره ثبت انه يهودي . وانه جاسوس يعمل لمصلحة اسرائيل .

وقد جرى هذا الحادث قبيل الهدنة الأولى بأيام قلائل .

ومن أغرب ما سمعت عن معركة النضال في حي الشورى انه قاد تلك الحركة فترة من الزمن رجل اسمى نفسه الرئيس (زكي بك) وادعى انه من الاخوان المسلمين المصريين . ولما تضعضع أمر المناضلين هناك ، وكادت الحــامية تنهار . استنجدوا باخوانهم الذين كانوا يناضلون في الاحياء المجاورة ، فجاءوا وكان منهم من عرف صاحبنا . وعرف انه يهودي . فاعتقلوه وقتلوه في بيت صفافا . ولكن اكتشافه جاء متأخراً . إذ كان اليهود قد اطلعوا على حقيقة الوضع . وعدد السلاح والرجال . فأتوا بمــا يضمن لهم النصر . وسقط الحي بأيديهم .

ومن أخطر الجواسيس الذين صالوا وجالوا في بلاد العرب، بين مصر والشام (اداريس ديرانيان) . انه شاب أرمني الأصل ، يوناني المولد ، اميركي الجنسية ، صهيوني النزعة . وكان يسمي نفسه تارة ديرانيان ! وطوراً آرثور ! وأحياناً John Roy Carlson وبهذا الاسم الأخير اصدر كتاباً أسماه Cairo to Damascus وطعن فيه العرب طعنات نجلاء! . وقد نمّ في كتابه عن حقيقة ميوله .. وقد قرأته من أوله إلى آخره . وخرجت من قراءته مقتنعاً ان اليهود شروه ، واستغلوه لقاء جعل معلوم ، لا ليدافع عن قضيتهم فحسب ، بل ولينقل إليهم اخبار العرب! .. وقد نقلها ، بعد ان زار القاهرة ودمشق وعمان ونزل القدس فقضى فيها وقتاً غير قصير في دير الأرمن ، وكان يتنقل على الحدود بين العرب واليهود . واستغل السذج من أبناء يعرب ، فأوهمهم أنه عربي النزعة وانه انما جاء إلى فلسطين ليدرس

قضيتهم ، ويذود عن حقهم الذي يسعى الغرب لاغتصابه منهم !.. وكثيراً ما كان يسب اليهود (؟) ويشتمهم (؟)

ولد صاحبنا (!) في الكسندروبولس من أعمال اليونان (١٩٠٩) . وكان أبواه قد نزلا تلك المدينة ، بعد ان غادرا وطنهما أرمينيا يوم اضهد الاتراك الارمن وقتلوا منهم عدداً كبيراً . وعندما كان في الثانية عشرة من عمره، هاجر مع أبويه إلى الولايات المتحدة . حيث ترعرع ، وأتم تعليمه في جامعة نيويورك وامتهن الصحافة ؛ فراح يكتب في جريدة New york times وفي Daily Review وتولى زمناً رئاسة التحرير في مجلة انكليزية أرمنية أسبوعية وكان معظم أصحابه من اليهود . واستغلته مجلة Fortune الأميركية ، فانتدبته للاطلاع على الأعمال السرية في صفوف النازي بألمانيا . فوصف النازيين ، ووصف الظلم الذي أنزله هؤلاء باليهود يوم طردوهم من بلادهم .

وعندما صدر قرار التقسيم (١٩٤٧) جاء إلى فلسطين ، ليشهد بعينه — كما قال في الصفحة ٢٤٦ من كتابه — قيام دولة اسرائيل !.. واعترف ان رجال الهاغانا لم يسمحوا له باجتياز الحدود إلى الاحياء اليهودية في مدينة القدس ، إلا عندما أراهم (الجواز) الذي يحمله من الوكالة اليهودية !..

وفي طريقه إلى القدس عرج ، بادىء ذي بدء ، على القاهرة . فاتصل بشاب مصري كان قد تعرف عليه في الولايات المتحدة . عندما كان ذلك الشاب يدرس في مدارسها . وبواسطته تعرف على (احمد حسين) رئيس جمعية (مصر الفتاة) وتمكن من اقناعه انه منتدب من قبل عدد من الصحف الأميركية لينقل إليها اخبار فلسطين، وبوده ان يناصر (؟) العرب ؛ لأنه يحبهم (؟) .. ولأن العرب لاقوا من الأتراك ما لاقاه بنو قومه الأرمن من اضطهاد وقتل وتشريد !.. فوثق القوم به . وأرفقوه باثنين من المتطوعين ، كانا على وشك السفر إلى فلسطين ، هما الكبتن مصطفى (؟!) وصاحبه فارس !..

ويقول ديرانيان انه جاء الى القدس برفقة الرجلين المتقدم ذكرهما : مصطفى وفارس. وانهم نزلوا في الحي المعروف بالشورى من أحياء المدينة . وانه كثيراً ما كان يجتاز الحدود بين القطاعين العربي واليهودي !.. وكان يسجل مشاهداته وملاحظاته في دفتر خاص !.. وكذلك قل عن الصور التي يلتقطها للمناضلين!.. وأسلحتهم !.. والمواضع التي يحتلونها !.

وأخيراً تمكن الاخوان المسلمون المصريون من اكتشاف امره . فحذروا اخوانهم المناضلين من أبناء بيت المقدس. وكذلك فعل رجال (مصر الفتاة) وفي قول أن احد المتطوعين

الألمان (١) هو الذي اكتشفه . إذ ارتاب هذا في أمره عندما اجتمعا في غزة ،وكاد يغتاله! لولا ان رفيقه العربي الساذج .. مصطفى .. اكد للألماني انـــه (اي ديرنيان) ارمني .. وانه محب للعرب !..

وفيما كان القوم في حيرة من أمره : أهو جاسوس ؟ ام انه مخلص للعرب !.. انسل هو عبر الحدود ، وغاب عن الانظار .

وعندما عاد إلى اميركا راح ينفث سمومه ضد العرب . ونشر كتابة (٢) الذي ذكرته في أول هذه السطور .

وقد بدا لي من الفصول التي أثبتها في كتابـــه انه يكره كل شرقي .. لا فرق بين عربي وتركي .. وان كرهه هذا منبعث عن الاضطهاد الذي أنزله الأتراك ببني قومه الأرمن . إذ قتل الأتراك منهم قبيل الحرب العالمية الاولى حوالي مليون نسمة • ولقـــد أحب أميركا والأميركيين لأنهم – على حد قوله – مدوا إلى بني قومه يد المساعدة . وكذلك قل عن حبه لليهود فانه ما ذكرهم في صفحة من صفحات كتابه ، إلا وأثنى عليهم وعلى بطولتهم . وفي الكتاب خريطتان لمدينة القدس ، لم يذكر فيها موضعاً من المواضع التي يقدسها العرب ، مع انه لم يغفل ابداً عن ذكر إسرائيل !.. والمقدسات اليهودية أو الاماكن التي يرتادها اليهود في اورشليم : ولا سيما دار الوكالة اليهودية !.. ولم يثبت في كتابه من الصور ، إلا ما يثبت تعدي العرب على اليهود (!) .. والغرض يعمي ويصم ..

الوسيط الدولي بالوكالة يدعو الدول العربية للتفاوض مع اسرائيل

وفي ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٩ وجـــه الدكتور رالف بانش ، الوسيط الدولي بالوكالة ، دعوة إلى الدول العربية للدخول في مفـــاوضات مع اسرائيل ، على غرار المفاوضات التي كانت قائمة في رودس بينها وبين المصريين . وضرب عشرة أيام لتلقي الجواب على دعوته

الحكومة الإردنية توافق على الدخول في مفاوضات الهدنة

وفي ١٠ شباط ١٩٤٩ أبلغ الدكتور بانش مجلس الأمن نبأ موافقة الحكومـــة الأردنية رسمياً على الدخول في مفاوضات مع اليهود ، لاقامة هدنة في فلسطين . وأما الدول العربية الاخرى فقد أجابت انها لا تنوي الدخول في مفاوضات مع اليهود قبل انتهاء المفاوضات الجارية بينهم وبين المصريين .

---

(١) Friedrich

(٢) Cairo to Damascus, by John roy Carlson, Alfred A. knopf New york 1951

الوفد الاردني يسافر الى رودس

وفي ٢٨ شباط ١٩٤٩ سافر إلى جزيرة رودس الوفد الاردني الذي انتدب لمفـاوضة اليهود وكان الوفد مؤلفاً من :ـ

القائمقام احمد صدقي الجندي رئيساً، والقائد محمد المعايطة ، ووكيل القائد راضي الهنداوي والرئيس علي أبو نوار ، والملازم أول فتحي يس (اعضاء) . وقد رافق الوفد كل مـن رياض المفلح وكيل وزارة الداخلية، وعبد الله نصير عضو محكمة الاستئناف، كمستشارين قانونيين . وكان على هذا الوفد ان يرجع في جميع تصرفاتـه إلى وزير الدفاع وكان يومئذ فوزي الملقي ، وبعـبارة أفصح إلى الزعيم غلوب باشا رئيس أركان حرب الجيش العربي الاردني . وهو « انكليزي » وكان هذا هو الكل بالكل .

وفي رودس رفض الوفد الاردني ، بادىء ذي بدء، ان يجتمع بممثلي اليهود؛ إلا انه عاد فنزل عند الامر الذي تلقاه من وزير الدفاع ، واجتمع بهم . وأكد رياض المفلح ، في مقال له نشرته جريدة (النضال) العمانـية بتاريخ ٢٩ نيسان ١٩٥٤ العـدد ٣ ، ان الوزير ارسل الى الوفد يومئذ برقية قال فيها : « ان موقف الوفد من ممثلي اليهود خارج عن مقتضيات الذوق والمجاملة !.. »

الجيش الاسرائيلي يتقدم في قطاع الخليل

وفيما كان الوفدان ، الاردني والاسرائيلي، يتفاوضان في رودس، كان الجيش الاسرائيلي يواصل زحفه هنا وهناك ، ليربح اكبر جزء ممكن من البلاد . فاحتل في ١٦ آذار ١٩٤٩ ، عدداً من المواضع الاستراتيجية الهامة في جبل الخليل : كخربة أم الشقف ، والبرج مـن أعمال دورا ، واراضي أبو خروبة من أعمال الضاهرية ، وعيتر مـن اعمال سموع ، وعين جدي على البحر الميت .

ومما يدعو إلى الاستغراب أن الجيش العربي الاردني الذي كان يرابط في أنحـاء مختلفة من هذا القطاع لم يحرك ساكناً . ولا يعلم أحد إلى الآن لماذا سمح لليهود بالتقدم في المواضع المتقدم ذكرها .

أتفاق الهدنة بين المملكة الاردنية الهاشمية واسرائيل

في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الاحد الموافق ٣ نيسان ١٩٤٩ تم التوقيع على

(اتفاق الهدنة) بين المملكة الاردنية الهاشمية واسرائيل . وقع في القاعة الصفراء من فندق الورود بجزيرة رودس بعد مفاوضات دامت طيلة شهر آذار (١) . وقد أمضاه عن الجانب الاردني القائمقام احمد صدقي الجندي والقائد محمد المعايطة ، وعن الجانب اليهودي روبين شيلواح والقائد موشه دايان . والذي تولى إبلاغه إلى رئيس مجلس الأمن هوالدكتور رالف بانش القائم بأعمال الوساطة بالنيابة عن هيئة الأمم .

ولقد جاء هذا الاتفاق في اثني عشر بنداً وملحقين . وبلغ عدد كلماته أربعة آلاف كلمة وملخصه (٢) :

إن الفريقين عقدا هدنة دائمة الغرض منها تسهيل إعادة السلم الدائم في فلسطين ، وانهما يتعهدان بعـــدم اللجوء إلى القوة في تسوية مشكلة فلسطين ، على ألا يؤثر هذا الاتفاق على حقوق أي الفريقين ومطالبه عند إجراء التسوية النهائـــية . ولا يجوز لكل منهما أن يقوم بأية اعمال حربية او عدوانية ضد الآخر . كما لا يجوز له اجتياز الحدود التي رسمتهاالهدنة . ولا يجوز للمدنيين عبور المناطق الواقعة بين خطوط الفريقين . ويشمل هذا الاتفاق المناطق التي يحتلها الجيش العراقي والتي تقرر تسليمها إلى الجيش الأردني . ولا يجوز لأي مـــن الفريقين أن يحتفظ في المناطق التي تمتد إلى عشرة كيلو مترات من كلا جانبي خطوط الهدنة بقوات مسلحة إلا ما اقتصر منها على الدفاع .

وقد نص في هذا الاتفاق على (لجنة خاصة) مؤلفة من ممثلين عن كلا الطرفين من أجل وضع الخطط لتوسيع نطاقه ،ولا سيما فيما يتعلق بحرية المرور على الطرق ذات الأهمية كطريق بيت لحم ، وطريق اللطرون ، والطريق المؤدية إلى البراق ، وإلى جبل الزيتون (الهـــداسا والجامعة العبرية) وتزويد المدينة بالماء والكهرباء واستئناف حركة القـــطار ، كما نص على (لجنة مختلطة) تتألف من خمسة أعضاء ، يعين كل من الطرفين اثنين منهم ، ويتولى رئاسة اللجنة رئيس مراقبي هيئة الامم ، ومهمتها أن تنظر في الشكاوى التي يقدمها أحد الطرفين حول تطبيق نصوص هذا الاتفاق . ويمنح أعضاء هذه اللجنة حريـــة الحركة والمرور في المناطق التي يشملها الاتفاق . ويجوز تعديل أي بند من بنود الاتفاق (عدا المادتين الأولى

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن الاردن وقبولها الدخول في مفاوضات في ١٠ شباط وما كتبناه عن سفر الوفد الاردني الى رودس في ٢٨ شباط

(٢) اقرأ النص الاصلي لهذا الاتفاق في الملحق السادس . وقد حصلت عليه من الوفد الاردني ، ثم قابلته مع النص الذي حصلت عليه من سجلات هيئة الامم (الوثيقة ذات الرقم S 1302 Rev)

والثالثة) باتفاق الفريقين . كما يجوز لأي منهما بعد مرور سنة كاملة ان يطلب من الأمين العام لهيئة الامم عقد اجتماع يضم ممثلي الطرفين من أجل تعديل أي بند من البنود (عدا المادتين الاولى والثالثة) . وفي حالة عدم الاتفاق يحق لأي من الفريقين عرض القضية على مجلس الأمن .

ومع الاتفاق ملحقان • أولها خرائط تبين حدود المناطق التي يمثلها الاتفاق . والثاني حددت فيه القوات العسكرية التي يجوز لكل فريق من الفريقين ان يحتفظ بها في كل قطاع من القطاعات التي يقفان فيها وجهاً إلى وجه •

وما كادت بنود هذا الاتفاق تذاع على الملأ حتى راح الناس يتساءلون : كيف وما الذي جرى ؟ وسقطت أسهم الجيش العربي في اعين الفلسطينيين . فراحوا يقولون انه لم يحارب كما يجب . وان في الامر خيانة . وقال العقلاء انه لا لوم ولا تثريب على الجيش . فانه ممتاز من حيث الخلق والقدرة على العمل . إلا ان امراءه وقادته ـ وجلهم من الانكليز ـ لم يشاءوا له النصر . فكبلوه بالسلاسل والاغلال .

ومما زاد في ألمهم ان هذا الاتفاق الذي يمس مصالح الفلسطينيين في الصميم عقد دون ان يستشار الفلسطينيون في امره ، رغم الوعد الذي قطعه الملك عبد الله إلى عدد من رؤساء البلديات (١) في ٢٩ آذار ١٩٤٩ بألا يمضى أي اتفاق لا يرضى به اهل البلاد . وقد اكد لهم انه سيستشيرهم في الموضوع قبل اقراره .

ولقد حدثني الرئيس الركن علي أبو نوار ، وكان هذا في عداد المفاوضين الذين مثلوا الجانب الاردني في رودس ، ان المفاوضات كانت صورية بحتة ،وان المفاوضين الأردنيين ما كانوا يملكون من الأمر شيئاً ، وان التعليمات كانت تصدر إليهم من الملك عبد الله من قصره المطل في الشونة . وان ثلاثة من الوزراء الاردنيين (٢) واحد قادة الجيش وقعوا على الخرائط وعلى اتفاق رودس قبل أن يوقع المفوضون على نصه النهائي .

وهذا ما قاله لي عبد الله نصير المستشار الملحق للوفد الأردني في مفاوضات رودس •

وقد أيد ما قاله لي هذان الاثنان من أعضاء الوفد ، الجنرال ويليام رابلي كبير المراقبين الدوليين ، في حديث جرى بيني وبينه بتاريخ ٢٧ ايلول ١٩٥٣ فقال : « ان الذي كان

(١) سليمان طوقان «نابلس» هاشم الجيوسي «طولكرم» حلمي العبوش « جنين » عبد الرحيم السبع «قلقيلية» وفيق الحمد الله « عنبتا »

(٢) فلاح باشا المدادحة « وزير العدل » حسين بك سراج « وزير الخارجية بالنيابة » سعيد باشا المفتي « وزير الداخلية »

واما توفيق باشا أبو الهدى فانه وان تغيب خصيصاً في لبنان في بادىء الامر إلا انه عاد فحضر الجلسة الاخيرة في الشونة ووافق على ما جرى.

يسيطر على مفاوضات رودس هو الملك عبد الله لا المفاوضين الرسميين الذين انتدبوا لهـذه الغاية . وان المفاوضات كانت تجري في الشونة ، مقر الملك الشتوي ، لا في رودس ..وان المفاوضين اليهود امتطوا طيارة من طائرات هيئة الأمم من رودس إلى تل أبيب فالشونة ، حيث اجتمعوا بالملك عبد الله واتفقوا معه على بعض النقاط المختلف عليها ، وهناك أي في الشونة ، أمضوا الاتفاق والخرائط ، ثم رجعوا إلى رودس حاملين معهم أمر الملك إلى ممثليه فيها . وتلقى أولئك المفاوضون أمر مليكهم ، بينما كانوا جالسين في احد مقاهي رودس .

واما الخرائط فقد وقع عليها بالنيابة عـن الاردن الميجر قوكر Coaker وصادق على توقيعه احمد صدقي الجندي .

وعلينا في الوقت نفسه ، ان نعترف ان الوضع الذي كان قائماً في البلاد ، عندما كانت مفاوضات الهدنة دائرة في رودس ، كان في صالح اليهود. إذ كان التقسيم الذي رفضه العرب قد وقع بالفعل ، وكانت دولة اسرائيل قد ظهرت إلى الوجود ، وكانت اربع عشرة دولة قد اعترفت بها . فراحت من الناحية الواحدة تسير في قافلة الدول المستقلة ، ومن الناحية الأخرى اصبحت قوة عسكرية لا يستهان بها .

وقال توفيق باشا ابو الهدى الذي كان رئيساً للوزراء عندما امضيت اتفاقية الهدنة ان الاتفاق المبدئي على شروط الهدنة في رودس كان قد تم خلال تغيبه عن عمان ، وكان قـد ذهب إلى بيروت في ١٩ آذار ١٩٤٩ وعاد منها في ٢٦ منه ، وان الاتفاق تم خلال هـذه الفترة دون علم الحكومة ، وان اليهود لم يكونوا مرتاحين لا الى الوفد ، ولا إلى الحكومة ، وانما كانوا يعتمدون على اشخاص آخرين (يريد ان يقول الملك عبد الله) قال هذا في بيان ألقاه في مجلس النواب بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٠٥٣

ومهما كان الأمر فقد اخذ الناس على الاردن ، بالاضافة إلى الاخطاء المتقدم ذكرها انه اقدم على مفاوضة اليهود في رودس على انفراد . ولم يخفف من غضبهم ما قيل لهم من ان مصر سبقته في هذا الميدان . وتبعها لبنان .

وشاءت التقادير ان تفضح ابا الهدى بعد تخليه عـن منصب الرئاسة في ٣ أيار ١٩٥٣ فنشرت جريدة (الحوادث) بعمان في عددها ٦٦ الصادر بتاريخ ٢٥ ايـار ١٩٥٣ صورة بالزينكوغراف لكتاب بعث به ابو الهدى إلى الملك عبد الله من بيروت في ٢٠ آذار ١٩٤٩ وقد جاء فيه « انني اشارك جلالة سيدنا الرأي في قبول ما اتفق علـيه ، وأرى ان يعطي الوعد تحريراً معالي فلاح باشا المدادحة بوصفه وكيلا لوزير الدفاع ، اذ انه هو المسؤول عن الاعمال السياسية المختصة بوزارته ، وذلك باذن من جلالة مولاي » .

الجيش العراقي يرحل عن البلاد

في ٢٨ نيسان ١٩٤٩ رحل الجيش العراقي الذي كان مرابطاً في قطاع السامرة ، والذي كان يرأسه اللواء نور الـــدين محمود باشا . ولم يبق في فلسطين اي جندي مـــن جنوده ذلك عملا بالقرار الذي اصدرته حكومة العراق في ٢٠ آذار ١٩٤٩ وقد ابلغته إلى الدكتور رالف بانش القائم بأعمال الوساطة . وتسلم الجيش الاردني القطاع الذي كان يحتله هـــذا الجيش من خربثا إلى جسر المجامع . وبدا في الأوساط الشعبية ما يدل على ان اليهود كانوا على علم بما سيتم في هذا القطاع من تبديل وتغيير في الحامية (١) .

ففرح فريق من الناس لرحيله ، لان بعض جنوده كانوا من الشراسة وسوء الخلق على جانب عظيم . واغبر لهـــذا الرحيل كثيرون . وهم القوميون . وود هؤلاء لو بقي الجيش العراقي مكانه ، وحارب مع الجيوش العربية الاخرى ، وأنقذ البلاد .

وكنت حيثما ذهبت تسمع الناس يقولون : ما لهذا الجيش يغادرنا ، ولم يخض في ديارنا سوى معركة او معركتين . انه وان ربح معركة جنين (١) واستردها من اليهود إلا انه خسر معركة قاقون ، فأخذها منه اليهود ، بعد ان قتلوا فوجاً كاملا من رجاله . كانت نظراتهم اليه وهو يمر من امامهم في طريقه إلى العراق ، تدل على الحسرة والاسف . وكذلك قـــل عنهم كلما وقع نظرهم على النصبين التذكاريين اللذين اقـــامهما العراقيون في مدينة جنين وضواحيها قبل رحيلهم عـــن البلاد (٣) . والنصب التذكاري الثالث الذي اقـــاموه في نابلس (٤) .

---

(١) نشرت مجلة «اخبار اليوم» المصرية في عددها ٢٨٠ الصادر بتاريخ ١٨ آذار ١٩٥٠ صورة بالزينكوغراف الرسالة شفوية بعث بها الملك عبد الله إلى وزير خارجية إسرائيل « شرتوك » ، وقد تولى ابلاغها اليه عبـــد الغني الكرمي أحد أعوان الملك ، تاريخها ١٠ آذار ١٩٤٩ وفيها يخبره « ان الجبهة الوسطى ستكون في حوزتنا ان شاء الله في هذه الأيام من خربثا الى حدود جسر المجامع . وأمل أن يصل الجواب المرضي بالابتعاد عـــن اي تماس يجر الى اقتتال ولو كان فرعياً بدون جدوى »

(٢) اقرأ ما كتبناه عن هذه المعركة في ٣ حزيران ١٩٤٨

(٣) أقام العراقيون قبل رحيلهم نصبين : أحدهما للشهداء الفلسطينيين ، وقد أقاموه في مدينة جنين والآخر للشهداء العراقيين ، وقد أقيم عند مفترق الطرق بين قباطية وجنين .

(٤) أقام الجيش العراقي لشهدائه نصباً تذكاريا ثالثاً في مزرعة الحكومة بقرية عسكر من أعمال نابلس . وقد احتفلوا بتدشينه يوم الخميس الموافق ٢٨ نيسان ١٩٤٩ . مساحة المقبرة أربعة دونمات الا قليلا يقوم حولها سور حجري . وفيها سبعة وستون قبراً . أحدها لشهيد مسلم يوغوسلافي ، واثنان لشهيدين مـــن أبناء فلسطين ، والقبور الباقية للشهداء العراقيين وعددهم أربعة وستون .

الآن وقد طويت صفحة العراق من معارك فلسطين نود ان نعترف ان سكان هذه البلاد إذا ما ذكروا العراق وجيشها جنحوا إلى ذكر السيئات اكثر من الحسنات فتسمعهم يقولون : -

ما الذي فعله العراق الابي ، الذي اشتهر بالوطنية والتفاني في حب العرب من اجل بيت المقدس ومن اجل فلسطين العربية ؟ ولماذا لم ينبس العراقيون الأباة ببنت شفة حيال النكبة الفادحة التي ألمت بنا وببلادنا ، وما كان رجالهم بأقل مسؤولية عن هذه النكبة من اي رجل آخر من رجالات الدول العربية الاخرى .

واين هو الجيش العراقي الجبار الذي كنا نشبهه بالجيش البروسي الذي على اكتافه شادت ألمانيا صرح مجدها ؟ اتراه رضي ان ينساق وراء التيار، فسار على تلك الخطة المشؤومة التي رسمها لفلسطين الاغيار ؟ وإلا ، فكيف نفسر وقوفه ، في القطاع الذي كان من نصيبه في الحرب ، عند الحد المقرر للعرب في مشروع التقسيم ؟ ولماذا لم يتقدم عنه خطوة واحدة إلى الأمام ؟ أما كان باستطاعته أن يسوق الأردن لعمل مشترك في قطاع القدس ، فيحتلا هذه المدينة المقدسة ، ويحفظاها للعرب والمسلمين كاملة غير منقوصة ؟ ولماذا أمر كتائبه بالرجوع ، عندما حاولت هذه أن تشد أزر المناضلين الفلسطينيين الذين استردوا بعض القرى التي احتلها اليهود في قطاع جنين ، وعندما اخليت معظم المستعمرات اليهودية الواقعة في مرج ابن عامر ، لامن المحاربين نحسب ، بل ومن السكان . وكان باستطاعته لو تقدم يومئذ ، أن يصل إلى البحر ، وأن يشطر جيش إسرائيل إلى شطرين؟ ولماذا لم يضرب جناح اليهود الأيسر عندما كانوا يهاجمون الناصرة وكان في ذلك الحين يرابط في جنين ، وكانت لديه مدافع ثقيلة ؟ ولماذا انسحب من رأس العين ومجدل يابا وكفر قاسم عندما كانت معركة اللد والرملة قائمة على قدم وساق ، وكان باستطاعته أن يحطم جناح اليهود الأيسر ؟ (١)

ولماذا لم يشغل اليهود إشغالا على الأقل ليخفف من ضغطهم على المصريين عندما كانت المعركة قائمة في جنوب فلسطين ، وقد أشار بهذا الاشغال المؤتمر الذي عقده رؤساء أركان

---

(١) حدثني الملك عبد الله ، عندما زرته في قصر المصلى بالشونة ، في ٩ شباط ١٩٥١ ، عن موقف الجيش العراقي ابان معارك الرملة واللد فقال :

انهم يبحثون عن اللد والرملة. كيف ولماذا سقطتا؟انهم لا يعلمون انه لم يكن لنا فيها سوى سرية واحدة. وكان هناك على يميننا ،الجيش العراقي.فما الذي فعله؟وكان بامكانه ان يمدنا بكتيبة واحدة على الاقل من كتائبه التي كانت ترابط عند رأس العين،أو يشغل العدو في قطاعه اشغالا ،ليخفف الضغط عنا . ولكنه لم يفعل شيئاً . لا بل انسحب.وتركنا وحدنا في الميدان . وكذلك فعلت مصر .

حرب الجيوش العربية في الزرقاء ؟ ليس هذا فحسب . فان البرلمان العراقي قرر الزحف على اليهود في ذلك الحين ، وقرر مجلس الوزراء تنفيذ ذلك القرار . وأصدر الرئيس مزاحم الباچه‌چي أمره إلى وزير الدفاع شاكر باشا الوادي باستئناف القتال . إلا أن هـذا الوزير رفض امتثال الأمر . وترك الجيش المصري وحده في الميدان (١) .

ولماذا رفض الطلب الذي تقدمت به سوريا ، ليعيرها بضعة مدافع من مدافعه المضادة للطائرات وكان لديه منها الشيء الكثير في المفرق ــ يوم كانت سوريا مشتبكة في قتال مرير مع أعدائه وأعدائها اليهود ، وكانت في أشد الحاجة لمثل هذه المدافع .

حدثني العقيد عبد الوهاب بك الحكيم الذي قاد الرتل السوري في معركتي سمخ ودجانيا (اقرأ ما كتبته عن هاتين المعركتين في وقائع ١٥ــ٢١ ايار) ان العراقيين وان لبوا طلبه في معركة سمخ ، فأسندوه بنيران مدافعهم ، إلا انهم لم يسندوه في معركة دجانيا ، فلم يطلقوا في هذه المعركة طلقة واحدة ، لا من مدافعهم ، ولا من طائراتهم . لا ، ولا يتقدم جندي واحد من جنودهم ليرى ما الذي وقع ؟ ليس هذا فحسب . فان الجيش العراقي الذي كان يومئذ مرابطاً في قطاع جسر المجامع (٢٠ــ٢١/٥/٤٨) انسحب ، والمعركة قائمة بين السوريين واليهود ، إلى منطقة السامرة (٢٣/٥/٤٨) انسحب ليـلا ، دون أن يخبر الجيش السوري بذلك . وبانسحابه ترك جناح هـذا الجيش مكشوفاً للعدو . الأمر الذي أدى إلى نتيجة سوداء .

واخيراً وليس آخراً ، لماذا رفض رجال العراق ــ وعلى رأسهم رئيس الوزراء نوري باشا السعيد ، ووزير الدفاع شاكر باشا الوادي ــ طلب رجال البلاد مـن عيون فلسطين الذين توسلوا اليهم ان يتريثوا وألا يسحبوا جيشهم من فلسطين ؟ ولماذا رفضوا ان يأذنوا لرؤساء البلديات العربية في فلسطين بدخول العراق ، عندما ابدى هؤلاء رغبتهم في الذهاب الى بغداد للغاية نفسها (٢) ؟.

وكانت آخر طعنة نجلاء طعن العراق الشقيق بها شقيقته الثكلى فلسطين انه سمح ليهود

---

(١) كان في العراق عندما نشب القتال في فلسطين ١٩٤٧ زهاء مئتي الف يهودي فر منهم اثناء القـتال ١٩٤٨ ثلاثون الفاً . وسمح العراق ١٩٥١ لمئة الف من الباقين بالرحيل الى اسرائيل واختار الاخرون البقاء حيث كانوا .

(٢) حدثني سليمان بك طوقان رئيس بلدية نابلس في اثناء القتال انه عندما قابل وزملاؤه رؤساء البلديات والمجالس المحلية ، وزير الدفاع العراقي شاكر الوادي ، وطلبوا اليه ابقاء القوات العراقية بفلسطين ، قـال لهم الوزير « ان اليهود يملكون ٣٨ دبابة ، وانهم يستطيعون أن يخترقوا صفوف الجيش العراقي بكل سهولة ؛ اذ ليس لدينا نحن العراقيين ذخيرة كافية للمدافع المقاومة للدبابات »

العراق (١) بالهجرة إلى إسرائيل . وبعمله هذا مكن الاعداء من تقوية صفوفهم ، الامر الذي يعود ولا ريب بالضرر العظيم لا على البقية الباقية من فلسطين ، بل وعلى البلاد العربية كلها ، ومنها العراق . والغريب في الأمر ان رجال الحكم الحالي في العراق اعتبروا خروج اليهود من بلدهم نصراً لهم .

هذا ما قاله لي رئيس الوزراء نوري باشا السعيد، عندما التقيت بـــه في القدس في ١٣ كانون الثاني ١٩٥١ ، وسألته عن القيود التي فرضها العراق على اليهود العراقيين من اجل السماح لهم بمغادرة العراق . فقال : لا شيء سوى التخلي عن الجنسية العراقية .

قلت : اما كان بالامكان تأجيل ذلك إلى ان تنتهي مشكلة فلسطين، ومشكلةاللاجئين؟

قال : كلا . فقد كان اليهود دائما وابداً مصدر شر وضرر الى العراق . انهمجواسيس. باعوا ممتلكاتهم في العراق . وليس لهم عندنا اراض يزرعونها . فكيف يعيشون ؟ وماذا يفعلون لو بقوا في العراق . كلا ، يا صديقي . انه خير لنا ان نتخلص منهم ، مـــا دامت الفرصة سانحة للتخلص .

قلت :ولكن ذهابهمالىاسرائيل في مثل هذا الوقت شر اكبر . وعندي انه كان بامكان العراق الشقيق ان يصبر على اليهود سنة اخرى او سنتين اخريين ، وان يحتفظ بهموبأموالهم واملاكهم رهينة الى ان تحل مشاكل اخوانكم الفلسطينيين . اذا لم يكن مـن اجل العراق نفسه ، فمن اجل اخوانكم اللاجئين وقد بلغ عددهم ــ كما تعلمون ــ سبعمئة وخمسينالفاً . انكم لو فعلتم ذلك ، وفعل المصريون والسوريون واللبنانيون لخفف اليهود من غلوائهم ، ولما تعنتوا هذا العنت المشين ...

ولكن صاحبنا لم يقنع . بل راح يقنع الملك عبد الله بصدق رأيـــه . وطلب ان يسمح ليهود العراق بعبور الاراضي الاردنية في طريقهم الى اسرائيل . إلا ان الملك خشي (ـاذا ما وافق على ذلك الطلب ــ) ان يثور الشعب الفلسطيني عليه وعلى حكومته،ولا سيما عندما يرى اللاجئون بأعينهم القوافل اليهودية وهي تخترق البلاد التي اخرجوا منها قسراً. فرفض الطلب . ولكنه على مـــا ظهر للنـــاس بعد حين وافق على نقلهم بالطائرات ليلا وعـــن طريق الجو .

فأبرقتُ إلى عبد الرحمن عزام باشا الامين العام للجامعة العربية ولجميع رؤساء الوفود

---

(١) قال عبد الرحمن عزام الامين العام للجامعة ، انه في الساعات الحالكة التي واجههـــا الجيش المصري في الفالوجة وقف يصيح في وجه الوفد العراقي محتجاً على تصرفات حكومته ، قائلا انه كان باستطاعة الجيش العراقي ان ينقذ الموقف ، ولكنه (اي الجيش العراقي) لم يتحرك ...

العربـــية في اللجنة السياسية التي كانت يومئذ (٢١ كانون الثاني ١٩٥١) في مصر لتبحث بعض القضايا العربية ، برقية قلت فيها بوصفي رئيساً لبلدية القدس :ــ

« سكان بيت المقدس يستخطئون حكومة العراق (١) الشقيق لسماحها الى يهود العراق بالهجرة الى اسرائيل . لو احتفظ كل قطر عربي باليهود العائشين بينهم وبأموالهم وممتلكاتهم رهينة ، لحلت بسهولة مشكلتنا فلسطين بوجه عام واللاجئين بوجه خاص .

« ادرسوا المشكلة من هذه الناحية ، وخذوا بيد اخوانكم قبل ان تأخذهم يد الفناء » .

ولما نشرت الصحف الفلسطينية برقيتي ، تقبلها الشعب قبولا حسناً . إلا الملك . فقد لامني عليها وابرق الي من عمان يقول . ان الحكومة قامت بما يجب عليهـــا ، وان تخطئة العراق قد تؤدي الى تفرقة كريهة » .

وعندما زرت الملك في قصره (المصلى) بالشونة بعد ذلـــك بأيام قلائل ، راح ينحي باللائمة على نوري باشا السعيد وعلى سياسته الخرقاء فقال :

« ها هو نوري باشا السعيد يريد أن ينقل مئة ألف يهودي من العراق إلى إسرائيل عبر المملكة الأردنية . ثم بعد هذا يبحثون عن الضمان الجماعي . فكيف نوفق بين هذا وذاك . انهم والله لهازلون . لا يدرون ماذا يصنعون ؟ . . . »

فاعتبرت كلامه هذا تأييداً لمـــا ذكرته في برقيتي ؛ ويظهر ان الملك تذكر قوله لي قبل بضعة ايام فالتفت إلي وقال :

« ان ما قلتَه حق . ولكنا ، لا نريد أن نبهدلهم على صفحات الجرائد علناً . . . »

ولكن ــ وهنا بيت القصيد ــ لم ينقضِ على هذا الحديث أسبوعـــان آخران (آذار ١٩٥١) حتى راح سكان بيت المقدس والبقية الباقية مـــن مدن فلسطين يسمعون بآذانهم أزيز الطائرات تحلق في الجو . وهاتفاً يهتف من وراء السحب قائلا لهم :

« ها هم يهود العراق ينقلون رغم أنوفكم إلى إسرائيل ، انهم ينقلون في طائرات بعضها انكليزية والبعض الآخر عراقية » .

وانه ليجدر بنا ونحن نعالج وضع العراق الشقيق ان نعترف انه (اي العراق) ما كان، في تلك الفترة العصيبة مـــن الزمن ، في وضع يستطيع معه ان ينفع نفسه دع عنك إنقـــاذ فلسطين .

فانك أينما حللت وحيثما سرت في العراق وجـــدت الفقر. والجوع والمرض واختلاف الطوائف والشيع والحاجة إلى الاصلاح باديـــة للعيان . فالرشوة منتشرة بين الموظفين .

---

(١) قلت «حكومة العراق» ولم اقل الشعب العراقي. لأن «اي الشعب» بريء مما جرى .

والأمراض على اختلاف أنواعها (التراخوما والبلهارسيا والملاريا والديزنتاريا والتدرن الرئوي) تفتك بالاهلين. ولم تكن أراضي العراق الواسعة موزعة توزيعاً عادلا. وحاصلات العراق لا تكفي لاعاشة الاربعة ملايين من العراقيين الساكنين بين النهرين دجلة والفرات. وكلما فاض نهر الدجلة جرف أمامه عدداً من الناس، وترك وراءه عدداً آخر من الفقراء واللاجئين.

والسكان منقسمون إلى شيع وطوائف واحزاب لا حد لها ولا حصر. فهناك سنيون وآخرون شيعيون. وهناك عرب وأكراد وأشوريون. وهناك حضر متعلمون وشباب مثقفون، وبدو محافظون. يحبون التمسك بتقاليدهم وعاداتهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم. وبين هؤلاء وأولئك عدد غير قليل ن المشايخ ورجال الاقطاع يستغلون أراضيهم كما يشاءون، لا كما تشاء مصلحة أمتهم وبلادهم.

وعبثاً حاول الشباب المثقفون من خريجي المدارس العليا في الاستانة ولندن والرجال المصلحون اصلاح الحال. لأن الحكم كان ولا يزال في ايدي طبقة من الناس وعدد من المشايخ والحكام لا يريدون التخلي بشكل من الأشكال عما في ايديهم. ولهذا كنت ترى العراقيين دوماً مستائين. وكانت نتيجة هذا الاستياء ان راحت الوزارات العراقية تستبدل مرة في كل بضعة شهور. فما تكاد الوزارة الواحدة تعتلي منصة الحكم حتى يقوم عليها الشعب، فيجبرها على التخلي عن مناصبها، ويستبدلها بوزارة اخرى.

وكذلك قل عن الحالة الاقتصادية. فانها لم تكن احسن من الحالة الادارية لا، ولا من الاحوال الصحية والسياسية التي وصفناها في السطور المتقدمة. فان سعر الطن الواحد من الشعير صعد، عند نشوب القتال في فلسطين (١٩٤٨) من خمسة دنانير الى اربعين في السوق الرسمية ومئة في السوق السوداء. وان سعر الطن الواحد من القمح صعد من اثني عشر ديناراً الى تسعين ديناراً في السوق الرسمية ومئة واربعين في السوق السوداء. وما كان شيء من هذا ليقع لولا ان الحكومة العراقية سمحت، قبل قليل؛ بتصدير مقادير وفيرة من القمح والشعير الى الخارج، هذا بالاضافة الى المحل وقلة الامطار واسراب الجراد وحركة التهريب التي لم تنقطع اثناء القتال. فكانت النتيجة ان صعد ثمن الخبز من فلسين للرغيف الواحد الى ستة عشر فلساً. وما كان يكفي العائلة العراقية المؤلفة من رجل وامرأته وولديه اقل من عشرين رغيفاً من هذه الأرغفة الصغيرة في كل يوم. وبصعود اسعار الخبز عم الاستياء، وساد الفقر والجوع.

وان امة، هذه هي حالها، لا تستطيع ان تنقذ نفسها، دع عنك انقاذ الآخرين. ولا سيما إذا كانت مقدراتها بيد اشخاص لا يخافون الله ولا يخشون عقاب الضمير

هذا مع العلم بأن الفلسطينيين لا ، ولن ينسوا ان العراق ضحى ، مـن الناحية الأخرى ، بمصالحه المادية اذ رفض الطلب الذي تقدمت به بريطانيا مراراً وتكراراً كي يسمح باسالة البترول العراقي الى حيفا . ولو فعل لافاد اليهود من هذا البترول وضاعفوا من غلوائهم ، وكانت البلية ادهى وامر . وكانت خسارة العراق من هذه الناحية بالغة . اذ قدرها بعضهم باثني عشر مليوناً من الجنيهات في ثلاث سنوات . ومن الانصاف ايضاً ان نقول انه كان بين العراقيين انفسهم من لا يقل استياء وألماً لما جرى (١) وان اللوم كله يقع على عـاتق الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق ونوري باشا السعيد رئيس الوزراء وشاكر باشا الوادي وزير الدفاع وغيرهم مـن القادة الذين كانوا يسيرون على خطة مرسومة ، وكانوا يزعمون انهم ما كانوا ليقصروا في واجبهم لولا قلة السلاح والعتاد الذي بين ايديهم .

هاج الشعب العراقي وماج عندما سمع ان جيشه لم يقم بأي عمل يذكر ، وبلغه ما بلغه عن المهازل التي قام بها في فلسطين .. وسرت انباء هذه المهازل الى اروقة البرلمان العراقي . فعقد المجلس النيابي جلسة سريـة بحث فيها الموضوع . وفي الجلسة التي عقدها بتاريخ ١٢ شباط ١٩٤٩ قرر انتداب لجنة من النواب للتحقيق والاطلاع على ما جرى . والفت اللجنة من عبد الله الدملوجي (رئيساً) وجميل الاورضه لي (نائباً للرئيس) وسعد عمر (مقرراً) ومن احمد حافظ ، مني سرسم ، علي كمال ، احمد العامر (اعضاء) .

وبعد ان بحثت هذه اللجنة الامر من جميع وجوهه ، فدرست الوثائق الخطية الموجودة في وزارة الدفاع وفي مختلف الوزارات ، واستنطقت الرجال المسؤولين ، مـن عسكريين ومدنيين ، رفعت الى المجلس تقريرها في ٤ ايلول ١٩٤٩ .

وجاء هذا التقرير الذي اسمته (تقرير لجنة التحقيق النيابية في قضية فلسطين) في اربع وخمسين صفحة . وله ملاحق عديدة ، جاءت في ١٨٤ صفحة . ورغم انـه تقرير سري لا يجوز نشره ، فقد اطلعت عليه في مكتب الصديق المحامي صبحي الخضرا بدمشق (١٩٥٢) وقد اهداني نسخة منه ، بعد قليل ، الصديق المحامي عبد الرحمن خضر من جماعة الاخوان المسلمين ببغداد (١٩٥٣)

اقتبست من هذا التقرير بعض المعلومات عن عدد من المواضع ، اشرت اليها في حينها وفي مواضع اخرى من كتابي هذا . واود هنا ان اشير الى ما جاء في هذا التقرير (نقلا عن تقرير لوزارة الدفاع العراقية بتاريخ ٢٥ تموز ١٩٤٩ رقم د/٤/٢٠٢ آ/٤٤٨ عن الاسلحة .

---

(١) رفض عدد كبير من الجنود العراقيين الاوسمة التي وزعها عليهم رئيس الحكومة نوري باشا السعيد عند رجوعهم الى بغداد . رفضوها قائلين «اننا لم نحارب . ولم ننقذ فلسطين . فعلام الاوسمة»

(ان الجيش العراقي لم يحصل على طلباته من الأسلحة والأعتدة ، رغم ما بذله الوفدان العراقيان اللذان أرسلا إلى انكلترة في تشرين الأول ١٩٤٧ ، وفي كانون الثاني ١٩٤٨ . فقد ماطلت بريطانيا في تزويد العراق بما طلبه من أسلحة وطائرات . حتى ان الطلبات السنوية المعتادة لم تلب . ولم يجهز منها سوى قسم ضئيل . وما حجز منها بقي بعضه عاطلا ، كالمدرعات التي لم يجهز عتادها . وكذلك قل عن الطائرات التي لم يجهز عتادها وصواريخها . وظلت بريطانيا هكذا تماطل ؛ إلى أن فرض الحظر على تصدير الأسلحة ... وكان الجيش العراقي في أمس الحاجة لهذه الأسلحة ، ولا سيما للطائرات ، وأعتدتها ، وعجلات القتال المتنوعة ؛ والأسلحة المقاومة للطائرات . وهكذا لم يتمكن الجيش من الاستفادة حتى من المدرعات والطائرات والأسلحة الأخرى الموجودة لديه ، لعدم توفر الأعتدة اللازمة لها ... »

هذا ولا بد لنا من ذكر اسماء القواد الذين قادوا الجيش العراقي في فلسطين : فقد كان يقود هذا الجيش ، في أول الأمر ، العقيد رفيق عارف . ثم قاده الزعيم طاهر الزبيدي . ولما انتدب هذا ليكون حاكماً عسكرياً لقطاع السامرة خلفه في قيادة الجيش اللواء مصطفى راغب باشا . ثم انسحب هذا فجاء اللواء نور الدين محمود باشا . وبقي هذا يقود الجيش العراقي إلى أن انسحب من فلسطين . وقد تم ذلك ، كما قلنا في أول هذا الفصل ، بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٤٩ .

اتفاقية رودس وكارثة المثلث

مما يحز في النفس الحسرة والألم أننا ، بالاضافة إلى ما أضعناه من وطننا العزيز في ميادين القتال ، خسرنا مساحات شاسعة من أراضينا دون حرب أو قتال . وما كنا لنخسرها لولا الحماقة والجهل ؛ ولو كان لدي البرهان الوافي لقلت أيضاً الخيانة وفساد الضمير .

ومن أهم الكوارث التي نزلت بنا عن تلك الطرق العوجاء : (كارثة المثلث) . تلك الكارثة التي افقدتنا زهاء نصف مليون من الدونمات من اراضي طولكرم وجنين ونابلس ، هي من اغلى واحسن الاراضي بفلسطين ، خسرناها دون قتال . واليك البيان : —

عندما اتفق المفاوضون الاردنيون والاسرائيليون ، على صيغة الاتفاقية التي عرفت فيما بعد بـ (اتفاقية رودس) وامضيت في ٣ نيسان ١٩٤٩ وقعوا على خريطة من قياس ١ — ٢٥٠،٠٠٠ ليرفقوها بها . أمضاها المفاوضون العرب لأنها اعطت اليهود اقل مما كانوا

يطلبون ، وامضاها اليهود لأنها منحتهم بقعة من الأرض لم تكن قبل بدء القتال جزءاً من فلسطين بل كانت من اعمال الأردن ، هي البقعة التي اقام عليها روتمبرغ مشروعه الذي عرف باسمه لتوليد الكهرباء

ولكنهم (اي اليهود) راحوا في الوقت نفسه يعملون على استبدال تلك الخريطة بخريطة من قياس ١ ــ ١٠٠،٠٠٠ ولما رفض المفاوضون الاردنيون طلبهم ، طاروا (اي اليهود) إلى تل أبيب فالشونة حيث كان الملك عبد الله يقضي رحلة الشتاء. وهناك تمكنوا من الحصول على موافقة الملك، وباذن منه وقع الاردنيون على الخريطة التي طلبها اليهود (١ــ١٠٠،٠٠٠) وقعها بالأحرف الأولى فلاح المدادحة وزير الداخلية وحسين سراج وكيل وزارة الخارجية وكان ذلك في اليوم الثالث والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٤٩. وبعد ذلك بأسبوع كان رئيس الوزراء توفيق ابو الهدى قد عاد مــن اجازته في لبنان فوافق على الخريطة نفسها (١ــ١٠٠،٠٠٠) وامر بتوقيعها فوقعت بالأسماء الكاملة من لدن وزير الدفاع فوزي الملقي ورئيس الوفد الاردني في مفاوضات رودس القائمقام احمد صدقي الجندي .

والفرق بين الخريطتين عظيم ، وفيه ما فيه من خسارة للعرب قدرت بأربعين الف دونم اي ان الخريطة الثانية التي قبلت بها الحكومة وامضاها الوزراء في الشونة وهي مــن قياس ١ ــ ١٠٠،٠٠٠ اعطت اليهود اربعين الف دونم من الاراضي العربية علاوة على ما اعطتهم ايــاه الخريطة الاولى التي قبــل بهـــا المفوضون الرسميون في رودس وهي مــن قياس (١ــ٢٥٠،٠٠٠) .

هذا مع العلم بأن هذه الخريطة التي اعتبرها المفاوضون الاردنيون اصلح مــن اختها ، منحت اليهود زهاء ٤٦٠،٠٠٠ دونماً . منحتهم اياها دون حرب او قتال .

وعندما جاء دور التنفيذ وتخطيط الحدود على الارض تمسك اليهود بالخريطتين معاً . وراحوا يحتلون الاراضي التي اعطيت لهم في كلتيهما . الامر الذي اغضب عرب فلسطين بوجه عام وسكان المثلث بوجه خاص . ومما زاد في غضبهم ان المفاوضات جرت في رودس والخرائط نظمت دون ان يكون بين المفاوضين احد منهم ، مع ان الأمر يمس اراضيهم ومصالحهم في الصميم . وذهب وفد منهم إلى عمان في ١٧ ايار فطالب ولاة الأمور بالتحقيق في هذا التباين . وكان يتزعم الوفد رؤساء بلديات نابلس (سليمان طوقان) وطولكرم (هاشم الجيوسي) وجنين (حلمي العبوشي) .

وفيما كانوا يتوقعون ان تجيبهم الحكومة لما يطلبون سمعوا ــ ويا لهول ما سمعوا ــ ان هناك خريطة ثالثة تم الاتفاق عليها بين الفريقين في ٢٣ حزيران ١٩٤٩ ، وهي من قياس

١ــ٢٥،٠٠٠ وان هذه الخريطة الجديدة جمعت بين النكبتين ووحدت الخريطتين السابقتين . إذ نقل اليهود اليها ماهو في صالحهم من الخريطة الأولى(١ــ٢٥٠،٠٠٠) وهو كما سبق وقلنا: مشروع روتنبرغ . وما اخذوه من اراضي المثلث بموجب الخريطة الثانية (١ــ١٠٠،٠٠٠) وقد قدر ــ كما سبق وقلنا ــ بأربعين الف دونم . وقد وقع على الخريطة الثالثة الرئيس علي ابو نوار العضو العسكري في لجنة الهدنة المشتركة ورئيسه الفريق غلوب باشا رئيس اركان حرب الجيش العربي. وقيل يومئذ ان اليهود هم الذين عمدوا لاستبدال الخريطتين السابقتين بهذه الخريطة ، عندما رأوا انه ليس من المنطق في شيء ان يرجعوا إلى خريطتين متناقضتين. فكان لهم ما ارادوا ...

والخريطة الثالثة هي المعمول بها في الوقت الحاضر ، ذلك لأن المادة السادسة(الفقرة١١) من الاتفاقية تقول ان خطوط الهدنة الدائمة المحددة قابلة للتعديل حسب ما يجري الاتفاق عليه بين الفريقين ، وان لهذا التعديل من القوة والتأثير كما لو كان داخلا بكامله في الاتفاقية.

ويمكننا ان نلخص ما تقدم ان الفرق بين ماوصل اليه اليهود حرباً وكان يجب ان يقفوا عنده عملا بقرار مجلس الأمن وبين ما حصلوا عليه بالفعل بموجب الخرائط المتقدم ذكرها والتي تم توحيدها بالخريطة الثالثة والأخيرة(١ــ٢٥،٠٠٠) بلغ في قطاع المثلث وحده، نصف مليون دونم : ثلاثة أخماس ذلك من قطاع طولكرم ، وخمسان من قطاع جنين ، وقليل منه طوباس من اعمال نابلس .

ولقد زاد في الطين بلة ان اليهود تسلموا قطاع طولكرم قبل الموعد المنصوص عليه في الاتفاقية بسبعين يوماً . وبهــذا حرم اصحاب الاراضي والمزارعون حتى مــن استغلال زروعهم ، الشتوية منها والصيفية على حد سواء . فلم يسمح لهم اليهود بحصاد تلك الزروع وقدرت الخسارة من هذه الناحية بما لا يقل عن مليون جنيه .

أضف إلى ذلك انهم (اي اليهود) لم ينفذوا اي شرط من الشروط الثلاثة التي قال ابو الهدى انه اشترطها عليهم وانهم قبلوا بها عند إمضاء الاتفاق وهي :ــ

١ــ ان يتولى حراسة الامن في القرى التي ستسلم إلى اليهود وفقاً للاتفاق رجــال من البوليس العربي .

٢ــ ان لا تؤثر هذه الاتفاقية على الحل النهائي الذي سيتوصل اليــه الفريقان لمشكلة فلسطين .

٣ــ ان يعوض سكان المثلث عن قراهم التي نزحوا عنها بأراض من قطاع الخليل .

والغريب في الامر ان هذه الاخطاء التي اقترفت في معالجة اتفاقيات الهدنة وخرائطها

والتي أضاعت علينا مساحات شاسعة من أراضي وبقاع عزيزة علينا ، لم تقم حكومة من الحكومات الأردنية التي تولت الامر بعدئذ (سواء في ذلك وزارة توفيق أبي الهدى الاولى والثانية أو وزارة سعيد المفتي أو سمير الرفاعي بالبحث عن أسبابها ومعاقبة المسؤولين عنها.

وظل هؤلاء المسؤولون من ملوك ووزراء وقواد وباشاوات في منأى عن أي لوم أو عتاب . بل انهم ظلوا متربعين في مناصبهم يأمرون وينهون كما يشاؤون وتشاء أهواؤهم . ولم يكشف النقاب عن تلك الاخطاء إلا في أوائل عام ١٩٥٣ عندما قام نواب الضفة الغربية (فلسطين) في البرلمان يوجهون سهام اللوم والتقريع إلى أبي الهدى الذي كان لا يزال متربعاً فوق منصة الحكم . واعترف هذا في بيانه الذي ألقاه في البرلمان في ٢٠ كانون الثاني ١٩٥٣م بأن اتفاقية رودس أدت إلى كارثة لا يمكن نكرانها ... وانه مقتنع بوجود اهمال وتقصير وفي جلسة سرية عقدها البرلمان بعد ذلك بسبعة ايام (٧ كانون الثاني) ألقى أبو الهدى التبعة كلها على عاتق الملك الراحل الذي أمر المفاوضين والوزراء بالتوقيع على تلك الاتفاقية المشؤومة وعلى الخرائط التي ألحقت بها . فلم يخفف قوله هذا من وقع الكارثة في قلوبهم ، بل اعتبروه ، وإن شئت فقل اعتبره معظمهم ،شريكاً للملك في الجرم الذي اقترف وكذلك قل عن المفاوضين والوزراء الآخرين .

وكان نائب طولكرم السيد هاشم الجيوسي أصرحهم قولا وأقواهم حجة عندما ألقى بيانه في معرض الرد على رئيس الوزراء وكشف النقاب عن المأساة التي ألمت بالبلاد من جراء (التحريف) المقصود الذي جرى في الخرائط . وكان لقول الجيوسي وقعه . إذ كان في الفترة التي أمضيت فيها اتفاقية رودس والخرائط التي ضمت اليهارئيساً لبلدية طولكرم. وقد اطلع على المأساة المتقدم ذكرها بجميع فصولها .

وسألت الجيوسي عن القرى التي خسرناها من قطاع طولكرم من غير قتال فأشار اليها بعلامة (×) واليكها كما قال :—

١ أم خالد ×٢ باقة الغربية ٣ بركة رمضان ٤ تبصر ×٥ جت
×٦ جلجولية ٧ خربة المنشية ٨ خربة الزلفة ×٩ خربة خربش ١٠ خربة الزبابدة
١١ خربة بيت ليد ١٢ رمل زيتا ١٣ الطيبة ١٤ الطيرة ١٥ غابة مسكة
١٦ غابة جيوسي ١٧ غابة العبابنة ١٨ غابة كفرحور ١٩ غابة الطيبة الشمالية
٢٠ غابة الطيبة القبلية ×٢١ فرديسيا ×٢٣ قلنسوة ٢٢ قاقون ٢٤ كفر برا
×٢٥ كفر قاسم ٢٦ كفر سابا ٢٧ مسكة ٢٨ وادي القباني ٢٩ وادي الحوارث الشمالي ×٣٠ بئر السكة ×٣١ ميسر ×٣٢ النزلقان

هذا ما أصاب قطاع طولكرم من غبن بسبب التلاعب بالخرائط . ولقد أصاب القطاعات الأخرى غبن مثله وعلى مساحات شاسعة . ولكن الناس لم يشعروا به شعورهم بالغبن الذي لحق بطولكرم وقراها للأسباب التالية :

أولا : لأن هذه الأراضي (أي طولكرم وقراها) أخصب وأنفع من غيرها . ثم لأنها تخص عدداً كبيراً من الأهلين الذين تتوقف معائشهم عليها . وأما القطاعات الأخرى فان الأراضي التي أضاعها العرب منها اما انهـا تخص عدداً قليلا مـن الرأسماليين وأصحاب الاقطاعات الواسعة كما هي الحال في قطاع جنين ، أو انها من الأراضي القاحلة التي قل أن يهتم أصحابها باستثمارها لقلة نفعها ، وعدم صلاحها للزراعة كما هي الحال في القطاع الجنوبي إلى الشرق من جبل الخليل .

قلقيلية

ولأدلنك على مبلغ الحيف الذي ألم بالقرى العربية من جراء اتفاقية رودس وما تبعها من حماقة وجهل ونية سوداء أدت إلى ما أدت إليه من كوارث هي التي وصفناها في السطور السابقة .. دعني أقص عليك في السطور التـالية قصة قرية واحـدة من القرى الكائنة في (المثلث) .. قصة (قلقيلية) القرية العربية الصابرة المجاهدة ، وهي تشبه القصص الأخرى إلى حد كبير .

فقد كان يعيش في (قلقيلية) في أواخر عهد الانتداب حوالي ثمانية آلاف نسمة مـن العرب كلهم مسلمون . وجلهم ، إن لم أقل كلهم ، مزارعون . وهم مـن النشاط وحب العمل والاخلاص للوطن بحيث لم يبيعوا شبراً واحداً من أراضيهم لليهود . وكان اليهود قد شروا من غيرهم من الغرباء أصحاب الأراضي والاقطاعات الواسعة المجاورة لهم مساحات واسعة من الاراضي ، بنوا عليها عدداً من مستعمراتهم : مثل كلمانيا وكفر سابا ورامات هاكوفتش . وكانوا هم(أي أبناء قلقيلية) في خصام مستمر مع سكان تلك المستعمرات. ورغم كل المساعي التي بذلها اليهود من أجل التوسع وشراء الارض من تلك البقعة مـن فلسطين ، فانهم لم يفلحوا في شراء شبر واحد من أراضي قلقيلية التي بلغت مساحتها قبيل صدور قرار التقسيم ستين ألف دونم . سدسها حمضيات . وكانوا يعيشون في رغد ونعيم . وبقوا على تلك الحال إلى أن صدر قرار التقسيم .

ولما صدر قرار التقسيم ونشب القتال في فلسطين ، شعر أبناء قلقيلية بالخطر كما شعر به الآخرون من أبناء فلسطين . فجمعوا في فترة قصيرة من الزمن ما لا يقل عن ثمانين ألفاً من

الجنيهات . شروا بها الأسلحة وجندوا بها المناضلين . وكان عدد هؤلاء عنـــد بدء القتال مئتين . فبلغوا في بحر مدة قصيرة الفاً ومائتين .

وقد دافع هؤلاء عن أراضيهم دفاع الأبطال . يدلك على هـــذا المعارك الكثيرة التي نشبت بينهم وبين أعدائهم اليهود ، والتي كان النصر فيها ــ وإن شئت فقل في معظمها ــ حليفهم .

ففي ١ شباط (فبراير) ١٩٤٨دمروا جسراً كبيراً من جسور السكة الحديدية ، كان يقوم على نهر العوجا ، بين رأس العين وملبس . دمروه تدميراً تاماً . وكان المناضلون من أبناء القرى الأخرى نسفوا الجسور الأخرى الواقعة على السكة نفسها في مواضع عديدة. فتوقفت المواصلات اليهودية بين تل أبيب والمستعمرات الكائنة في شمال فلسطين .

ومن المعارك الهامة التي جرت بعد قرار التقسيم بقليل : (معركة قلنسوة) البعيدة عـــن قلقيلية زهاء عشرة كيلو مترات . وهي منها إلى الشمال الغربي . وقد خف المناضلون مـــن ابناء قلقيلية ، مع من خف لنجدتها من أبناء المدن والقرى المجاورة ، مثل طول كرم والطيبة وغيرها . وقد اشتبك الفريقان في موضع بين قلنسوة والطيرة . وهاجم العرب مستعمرة عين (ورد) فاحتلوا بعض منازلها . وقد بلغ عددهم يومئذ ثلاثمئة مناضل . وقـــد حضر المعركة عدد من رجال نابلس وطول كرم . اذكر منهم سليمان طوقـــان وهاشم الجيوشي وفائق عنبتاوي . ولولا تدخل الجيش البريطاني لقضى المناضلون على تلك المستعمرة .

وجرت بعد ذلـــك معركتان بين العرب واليهود حول : (بيار عدس) . الأولى في ٢٦ والثانية في ٢٧ شباط ١٩٤٨ . اشترك فيها عدد من المناضلين مـــن سكان قلقيلية والقرى المجاورة لها . كما اشترك فيها المقاتلون اليهود من سكان رامات غان وكفر سابا وغيرها من المستعمرات ، واستشهد في كلتا المعركتين عدد من المناضلين . ولكنهما لم تسفرا عن ربح يذكر للعرب . بسبب تدخل البريطانيين .

وفي ٦ نيسان ١٩٤٨ هاجموا مستعمرة (رامات هاكوفتش) . انهم وان لم يشتبكوا مع اليهود في قتال جدي ، إذ كانت المعركة من قبيل جس النبض ، إلا انهم عرفوا مـــن أين تؤكل الكتف . وكانت خسارتهم في تلك المعركة شخصاً واحداً من قلقيلية. وعدداً آخر من القتلى من سكان القرى المجاورة الذين هبوا للنجدة .

وهبوا لنجدة قرية (الطيرة) تلك القرية التي هاجمها اليهود في ١٣ أيار ١٩٤٨ .ولكنهم ما كادوا يشتبكون مع اليهود في قتال هناك حتى تبين لهم ان الهجوم على الطيرة ،ما كان إلا بقصد تغطية الهجوم الذي كان يقصده اليهود على قرية (كفر سابا) . وقـــد تمكن اليهود

يومئذ من احتلال كفر سابا . وكانوا قبل ذلك قد احتلوا (بيار عدس) العربية .

وقتل في معركة الطيرة يومئذ خمسة من المناضلين .

وحاول القلقيليون بعدئذ بخمسة ايام استرداد كفر سابا . فهاجموها . وهاجمها في اليوم نفسه (اي في ١٨ ايار) عدد آخر من المناضلين ابناء القرى المجاورة . يؤيدهم جماعة من رجال جيش الانقاذ من مدينة حماة . إلا انهم لم ينجحوا . فارتدوا إلى الوراء . وجاء بعد قليل عدد من رجال المدفعية الاردنية . فقصفوا اليهود المتحصنين فيها بمدافعهم من بنيامين إلا ان هذا القصف ايضاً الذي لم يدم اكثر من ربع ساعة باء بالفشل. اذ كان اليهود قد حصنوا كفر سابا تحصيناً كاملا .

وفي ١٨ حزيران ١٩٤٨ حلقت فوق قلقيلية طائرة يهودية ، فقذفتها بالقنابل ، فقتلت شخصاً واحداً . وهدمت داراً. ورغم انه كانت هناك سرية عراقية ترابط في مركز البوليس إلا ان هذه السرية لم تتحرك . ولم تطلق رصاصة واحـــدة . الامر الذي شجع اليهود على التغلغل في احياء القرية . فراحوا يجوبون في شوارعها . وهدموا بعض منازلها ، ومن المباني التي أصيبت بأضرار فادحة يومئذ : دار البلدية .

وقتل اليهود في ٢٩ حزيران اربعة اشخاص من قلقيلية ، كانوا قـــد احتفظوا بمنازلهم داخل المنطقة المحتلة . اتوا بهم الى موضع قـــائم عند الحد بين المنطقتين . فقتلوهم رمـــياً بالرصاص . وعلى اعين الباقين على قيد الحياة من السكان . ورغم انه كانت هناك سرية اردنية من سرايا الجيش العربي . الا ان السرية لم تحرك ساكناً . ولم تطلق رصاصة واحدة بسبب الاوامر التي كانت قد صدرت إليها من غلوب . الامر الذي شجع اليهود على التغلغل في المنطقة العربية .

ومما فعله اليهود بعدئذ انهم في الخامس والعشرين من شهر ايلول ١٩٤٨ قاموا بهجوم شديد على المنطقة العربية قاصدين استرداد الاراضي التي كان المناضلون قد ثبتوا اقدامهم فيها من أراضي رامات هاكوفتش ونجديا . وحاول المناضلون استعادة ما فقدوه هناك . وقد استنجدوا بالسرية العراقية التي كانت ترابط على مقربة من ذلك المكان . ولكن تلك السرية ايضاً رفضت انجادهم . فحاولوا وحدهم ان يشتبكوا في قتـــال . وراحوا بالفعل يزحفون وكان الوقت نهاراً . وتمكنوا من استرداد جانب من تلك الاراضي . وفيما كانوا يحاولون استرداد الجانب الآخر اتاهم القائـــد العراقي بنفسه .. نور الدين محمود باشا .. فأمرهم بالكف عن القتال . وفيما كان هو يحـــاول الدخول إلى مركز الشرطة في قلقيلية اطلق اليهود عليه وعلى قرية قلقيلية كلها النار من مدافعهم التي ركزوها في رامات هاكوفتش

عندئذ غير القائد رأيه ، واصدر امره إلى رجال المدفعية . فراح هؤلاء يقذفون المواضع اليهودية بنيران مدافعهم . ويساعدون المناضلين . فتقدم هؤلاء وراحوا يزحفون جنباً إلى جنب العراقيين ، فاحتلوا الجزء الذي كان قد تبقى بيد اليهود .

وقد استشهد في هذه المعركة التي اسموها يومئذ (معركة رامات هاكوفتش) الثانية ، احد عشر مناضلا من ابناء قلقيلية . وعدد آخر من الجنود العراقيين ذكرناهم في غير هذا الموضع من الكتاب .

وحاول المناضلون من ابناء قلقيلية والقرى الاخرى المجاورة لها بعدئذان يحتلوا المستعمرة نفسها (رامات هاكوفتش) . وجرت من اجل ذلك ثلاث معارك اخرى . الا انهم لم ينجحوا . وسقط عدد من الشهداء في المعركة الثالثة التي وقعت في ٤٨/١٠/١ وفي المعركة الرابعة التي وقعت في ٤٩/١/٢ وفي المعركة الخامسة التي وقعت في ٤٩/٩/٧ تمكن المناضلون من احتلال الخنادق التي حفرها اليهود حول رامات هاكوفتش والحصن الذي اقاموه هناك على الحدود وسقط عدد من الشهداء

ولم تنقطع اشتباكات العرب مع اليهود ، بعد التوقيع على اتفاقية الهدنة في رودس . لا ، بل انها ازدادت ضراوة . ولئن اغفلنا ذكر الاشتباكات البسيطة التي قامت بين الفريقين هنا وهناك على طول الحدود التي رسمتها تلك الاتفاقية ، فانا لا نستطيع ان نغفل ذكر الحوادث التالية :

ففي الاجتماع الذي جرى بين الفريقين على الحدود في ٥ حزيران سنة ١٩٥٣ ، وقد حضره يومئذ موشه دايان واحمد طوقان ورئيس بلدية قلقيلية وعدد آخر من ذوي الشأن . وكان القصد منه البحث في الشكوى التي قدمها اليهود ضد العرب بأنهم تعدوا على اراضي اليهود . قام شاب من اهالي قلقيلية وهدد اليهود بقوله : ان العرب لا بد وان يسترجعوا اراضيهم يوماً من الايام ، فاجابه دايان : اني سأحرث قلقيلية حرثاً إذا اقدم سكانها على مقاتلتنا .

وقد قرن تهديده بالفعل . إذ ما كاد النهار يولي الادبار حتى اقبل اليهود يمطرون قلقيلية بنيران مدافعهم . وكأنما قصدوا بعملهم ذاك انذار القرية .

وفي ١٩٥٦/١٠/١١ هاجموا قلقيلية باعداد كبيرة ، تؤيدهم المدافع والمصفحات . وكانوا قبل الساعة التاسعة ليلا قد قطعوا خطوط التلفون بين قلقيلية وعزون . ليمنعوا الاتصال بين القرية ومركز الحرس الوطني . ولغموا في الوقت نفسه الطريق . وفي الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين بدأوا هجومهم على البلد . هاجموها من ثلاث جهات

وركزوا هجومهم على مركز الشرطة . إلا أنهم لم يستطيعوا الوصول إليه . وجاء المشاة في الساعة الحادية عشرة فأعادوا الكرة . إلا أنهم فشلوا .

ولما هاجموها في المرة الثالثة وكان الليل قد انتصف،وجاءت المرة هذه الطائرات تؤيدهم فتمكنوا من اجتياز القرية بمصفحاتهم . ودخلوا مركز الشرطة . وراحوا يعيثون في منازل القرية وشوارعها قتلا وضرباً ، فقضوا على المناضلين الذين كانوا هناك . وعلى عــدد من رجال الحرس الوطني . وبلغ عدد الشهداء من سكان قلقيلية في تلك الليلة سبعين . ثلاثة عشر منهم من قلقيلية نفسها وواحدمن الشيخ يونس وأما الباقون فانهم من القرىالأخرى ومن رجال الجيش والحرس .

ونسفت ليلتئذ مصفحة من مصفحات الجيش العربي وسيارتان من سياراته بفعلالالغام وقتل من رجال هذا الجيش غازي الكبريت وعدد من الجنود الذين كانوا يرافقونه . وقد جاءوا من عزون بقصد النجدة . وقامت على مقربة من (عزون) معركة ثانية . ومثلها في (صوفين) . ولكن النصر في هاتين المعركتين كان حليف الجيش العربي الذي ضرب اليهود بمدافعه من عزون . وقتل من اليهود خلق كثير .

هذا ما أصاب قلقيلية وسكانها اثناء فترة القتال وبعد وقف إطلاق النــار . وما كاد القتال يقف حتى بدت قلقيلية في حالةمن الفقر والخراب تفتت الأكباد. ولكن أبناء قلقيلية لم يهنوا . ولم يحزنوا أبداً . بل راحوا يشمرون عن ساعد الجد . ويعملون دون كلل أوملل من أجل إنعاش حالتهم الاقتصادية . وقد وفقوا إلى حد كبير . رغم ان خط الهدنة الذي يفصل بينهم وبين أعدائهم اليهود لا يبعد عن آخر بيت من بيوتهم سوى ٥٠٠ متر مــن الشمال والجنوب . وعشرين إلى خمسين متراً من الغرب والجنوب الغربي . ورغم ان معظم القرى العربية المجاورة لهم ـ مثل الطيبة وقلنسوة والطيرة ومسكة وكفر سابا وجلجوليا ـ كانت قد سقطت (١) بيد اليهود .

بلى وربك . فان القرى التي بقيت بيد العرب ، ولا سيا قلقيلية ، راحت تعمل بكل جد ونشاط من أجل الحياة .

وما أن انقضت تلك الغمامة السوداء ، غمامة رودس المشؤومة ؛ حتى قــام ابناء قلقيلية يشمرون عن ساعد الجد . وكذلك فعل اخوانهم ابناء القرى الاخرى المجاورة لهم .فحرثوا الاقسام الجبلية من أراضيهم وعمروها . وحفروا الآبار . واستخرجوا الماء مــن اعماق

---

(١) لم تسقط هذه القرى بيد اليهود أثناء القتال . بل سقطت بأيديهم نتيجة للتعاون الذي وصفناه فيموضع آخر من هذا الكتاب ، عند ذكرنا اتفاقية رودس وكارثة المثلث .

الأرض وزرعوها .

فقد حفروا ثلاثين بئراً ارتوازياً . وعمروا أراضيهم عن طريق العمل المشترك . هـذا بعد ان لم يكن لديهم ، عند التوقيع على اتفاقية رودس ، سوى بئر ارتوازية واحدة . ولم يكن قد تبقى بأيديهم من اراضيهم التي بلغت مساحتها في عهد الانتداب ستين ألف دونم سوى ثمانية آلاف دونم . منها خمسة آلاف في الجبل وثلاثة آلاف في السهل .

وأما الآن فان لديهم عدداً كبيراً مـن البيارات والآبار . وهاهم يستعيدون عيشهم . ويمونون المدن العربية الأخرى البعيدة عن التخوم بما تنتجه أراضيهم من فواكه وخضار . يدلك على هذا أن ناتجهم السنوي الذي بلغ عـام ١٩٤٦|٤٧ ٤٤٥،٠٠٠ جنيهاً فلسطينياً والذي انخفض إلى الحضيض أثناء القـتال ، حتى انهم راحوا يبيعون اثاثهم وحليهم في الاسواق ليدبروا لقمة العيش . ورحل عـدد كبير من شبانهم (١) إلى الكويت والعراق وليبيا والظهران من أجل هذه اللقمة . وراح بعضهم ــ وهو الذي لم يقو على الهجرة ــ يمد للبعض الآخر يد الاستجداء . ان هذا الناتج بلغ الآن (١٩٥٨) من القوة بحيث مكنهم من الاستغناء عن جزء كبير منه ، فتراهم يصدرونه إلى الخارج ويربحون . وهاهم يتحفزون للوثوب على اعدائهم . ويتوقعون اليوم الذى يتحد فيه ملوكهم ورؤساؤهم ويوحـدون قياداتهم . فيطلع الفجر ، وتسترد الكرامة المفقودة ، ويسترجع الوطن السليب ..

صور باهر

هناك مساحات واسعة أخرى من الأرض غير المثلث أضاعها عرب فلسطين عندمـا وقف القتال وأمضيت اتفاقية رودس وجاء الفريقان مع المراقبين الدوليين يخططون الحدود نذكر منها :

خمسة آلاف دونم من أراضي (صور باهر) الواقعة على بعد خمسة كيلو مترات من القدس إلى الجنوب ، ضمها اليهود اليهم عند تخطيط الحدود ، دون حرب أو قتال . ضموها بعد أن طردوا أصحابها منهـا . ومما يحز في النفوس انهم أي (اليهود) فعلوا ذلـك تحت سمع المراقبين الدوليين وبصرهم ، وعلى مرأى من ممثلي الجيش العربي الذين اشتركوا مع اليهود في تخطيط الحدود ، وكان فرضاً عليهم أن يحموا بني قومهم ، ويصونوا مصالح بلادهم .

فقد حدثني عدد كبير من اهل القرية ، عندما زرتهم لأرى الأرض التي كانوا مرابطين

---

(١) هناك زهاء ٤٠٠ شاب من قلقيلية يعيشون في الخارج جنوداً ومعلمين وعمالا وموظفين . وقـد قدر ما يرسله هؤلاء الى ذويهم في قلقيلية سبعة آلاف دينار في الشهر . اي زهاء اربعة وثمانين الف دينار في السنة .

فيها والتي اقتطعها اليهود منهم ، انه عندما شرع الفريقان بتخطيط الحدود ، وكان ذلك في اليوم الخامس من شهر أيار ١٩٤٩ ، جاء إلى البطحاء الكائنة بين مستعمرة رامات راحيل وقرية صور باهر القائد اليهودي المعروف موشه دايان ، وكان يرافقه ثلاثة ضباط من ذوي الرتب العليا . وجاء من خلفهم مئتا جندي من رجال الهـاغانا المسلحين ، تحرسهم ثلاث مصفحات . وما كاد يتوسط البطحاء حتى نادى إليه شيوخ القرية . فجاءوا، يتقدمهم محمد محمود جاد الله . فطلب إليهم أن يسحبوا المناضلين من الخنادق التي كانوا يرابطون فيها إلى الخط المحاذي لمدرسة القرية . فرفضوا قائلين : انهم لن يتخلوا عن أراض كانت ولا تزال بأيديهم ، وقد صانوها بدمائهم .

فأنذرهم دايان قائلا : انهم إذا لم ينسحبوا إلى الخط الذي أشار إليه ؛ فانه سيحتل تلك المنطقة بالقوة . وبالفعل أصدر أمره إلى الجنود الذين كانوا يرافقونه . وتأهب المناضلون من أبناء القرية لمقاومتهم . وكان معهم أربعة من المدافع الايطالية ، وعدد آخر من المدافع المضادة للدبابات (بوبز) . وكاد الفريقان يصطدمان . لولا أن وصل في تلك اللحـظة ، القائمقام احمد صدقي الجندي ، يرافقه ضابطان أردنيان من ذوي الرتب العلـيا . أحدهما سليم الكرادشة ، والثاني لا نعرف من هو ؟ ولم يكن مع الضباط الأردنيين اكثر من عدد أصابع اليد من الجنود . فتفاءل القوم خيراً . ولكن سرعان ما ألم بهم اليأس ، عندما رأوا أن الضباط العرب كانوا أشد قسوة من اليهود أنفسهم . ولا سيما سليم الكرادشة الذي كان فظاً غليظ القول . فلم يشأ ان يستمع إلى حجج أهل القرية . فقال لهم :

« لا بد من الرجوع إلى الخلف . هذا ما أشارت إليه الخرائط ، وأمرت به اتفـاقية الهدنة . إذا لم ترجعوا بالحسنى إلى حيث تؤمرون (وهنا أشار بيده إلى مدرسة القرية) فانا سنرجعكم بالقوة » وراح بعد هذا التهديد ، ينصحهم قائلا :

« لقد انتهى الأمر ووقف القتال . فلا فائدة ترجى من المقاومة . خير لكم أن تبيعوا سلاحكم ، وأن تأكلوا بثمنه خبزاً . »

وتولى المراقبون بعد ذلك إرجاع الخط ، ورسم الحدود كما شاءوا ، وشاء اليهود، وشاء الضباط العرب .

ولما رأي أهل القرية أن هذا التخطيط يمنح اليهود زهاء خمسة آلاف دونم من أراضيهم دون قتال ، راحوا يندبون حظهم، ويلعنون القادة والزعماء الذين أوصلوهم إلى هذا المصير فحطم عدد من المناضلين بنادقهم ، ومزق البعض الآخر ثيابهم . وراحت النساء تولول ، وبعض الرجال يبكون كالنساء .

ولكن لا اليهود ، ولا المراقبون الدوليون،حتى ولا الضباط العرب الثلاثــة اكترثوا لبكائهم ونحيبهم . بل راحوا يهدمون الخنادق التي حفرها المناضلون ويفجرون الألغام التي بثوها ويقلعون الأسلاك الشائكة التي أقاموها فأرجعوها إلى حيث يشاؤون .

والغريب في الأمر ان عملية التخطيط هذه نفذت ، دون ان يحضرها احد مــن أبناء القدس او ابناء القرى المجاورة الذين يعرفون تلك المنطقة بالشبرالواحد ، ويعرفون مداخلها ومخارجها ...

ولله في خلقه شؤون . (١)

وبعد ان شرحنا لك مأساة هذه القرية ، بعد وقف القتال ، نرى من الفائدة ، للتاريخ، ان نقص عليك ما الذي فعله ابناؤها من أجل الذود عن أراضيهم منذ بدء النضال؛ وكيف كان الوضع الحربي فيها قبل تخطيط الحدود . فنقول :

لم يكن في القرية،عند صدور قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) سوى عشر بنادق انكليزية ؛ ومدفعين من طراز برن . ولم يكن فيها اكثر من بضعة شبان مدربين على القتال، لا يتجاوز عددهم اصابع اليد . هذا من اصل ٣٥٠٠ نسمة كانوا في اواخر عهد الانتداب (١٩٤٥) يعيشون فيها على الزراعة والعمل .

وعندما جد الجد ، وأيقن أهل القرية انهم بحكم قربهم من المستعمرات اليهودية لامحالة مضطرون لخوض غمرات القتال ، راحوا يتأهبون . وسافر رجل من مشايخهم يدعى (جاد الله محمود الخطيب) إلى مصر . ومكث هناك بضعة ايام تمكن خلالها من اقناع ولاة الامور ان قريتهم في خطر . فعاد من هناك حاملا مقداراً لا بأس به من السلاح والعتاد. وتكونت من رجال القرية حامية قوامها مئة وخمسون مقاتلا كانوا مرتبطين بـ (الجهـــاد المقدس) . وكانت الهيئة العربية العليا تدفع لكل مقاتل اربعة جنيهات في الشهر . وما فتىء ان انضم الى هؤلاء المقاتلين خمسون من الاخوان المسلمين المصريين . فأصبحت حامية القرية مؤلفة من مئتي مقاتل . وكان سلاحهم عبارة عن مئتي بندقية ، بعضها انكليزي الصنع والبعض الآخر الماني . وكان لديهم اربعة مدافع ايطالية . وخمسة عشر رشاشاً . واربعة فيكرز . وكانت لديهم مقادير لا بأس بها من الاعتدة والقنابل اليدوية .

أما المناضلون من ابناء صور باهر فكان يقودهم جاد الله محمود،واما الاخوان المسلمون

---

(١) بعد هذا اقرأ ما كتبناه عن قرية (بيت صفافا) التي اقتطع اليهود منها اكثر من نصفها ، دون قتال . وقد ذكرنا ذلك عندما تم تخطيط الحدود هناك في ٢ ايار ١٩٤٩ .

المصريون فقائدهم اليوزباشي (١) محمود عبده . وكان هذا هو المسؤول عن الحامية . وقام رجال الحامية بكل ما يستطيعون من عزم وقوة ومن إمكانيات كانت في ميسورهم برسم الخطط اللازمة للدفاع عن القرية. فراحوا يتناوبون الحراسة في الليل والنهار وحفروا الخنادق وحصنوا خط الدفاع بالاسمنت المسلح .

وكانت القرية محاطة بخمس مستعمرات يهودية هي : رامات راحيل، ارنونا، تل بيوت، مستعمرة الجنود المسرحين (٢) ، المستعمرة الزراعية المجاورة لمبنى الكلية العربية. ولم تكن هذه المستعمرات ، عند بدء القتال ، محصنة تحصيناً كاملا . لا ، ولا كان فيها اسلحة مدمرة ولكن الحال تبدلت ، بعد اعلان الهدنة الاولى (١٠ حزيران ١٩٤٨) . إذ تمكن اليهود خلال تلك الهدنة من تحسين موقفهم . فحصنوا مستعمراتهم ، وزودوها بالجنود وبجميع معدات القتال . وأتوا بالأسلحة من كل مكان : من تشيكوسلوفاكيا وانكلترا والولايات المتحدة . وكانت هجمات اليهود بادىء ذي بدء تنصب على صور باهر من الغرب ، من ناحية (رامات راحيل) وهي أكبر المستعمرات القائمة في ذلك القطاع . ومن المستعمرة التي يقيم فيها الجنود المسرحون ، من الناحية الغربية إلى الشمال .

ولما راوا صور باهر منيعة ليس من السهل اقتحامها من هاتين الناحيتين ، وانها محصنة تحصيناً تاماً ، راحوا يهاجمونها من الناحية الشمالية ، حيث يقوم (جبل المكبر) ومع ذلك فقد باءوا بفشل ما كانوا يتوقعونه . لأن حماة القرية كانوا لهم بالمرصاد . وردوهم على اعقابهم .

حبذا لو كان في مقدورنا ان نعيد في هذه السطور ذكر المعارك التي وقعت بين سكان صور باهر واعدائهم ، لولا ان ذلك خارج عن مقدورنا . ولكن لا نرى مندحاً عن ذكر الأهم من هذه المعارك وهو الذي كان له اثر على مصير القرية ووضعها الحالي . نقول البعض ولا نقول الكل ، عملا بالقول السائر :

ما لا يدرك كله ، لا يترك جله ...

قلنا في اول هذا الفصل انه عندما نشب القتال لم يكن في القرية عدد يذكر من السلاح والمقاتلين . ويبدو ان اليهود كانوا على علم بهذا الوضع ، فأرادوا ان يستغلوه قبل ان تتسلح القرية . وهاجموها عند مطلع السنة الجديدة (١٩٤٨) بقوات كبيرة . وتمكنوا من الوصول

---

(١) لقب تركي معناه « رئيس المئة » .
(٢) انشئت في عهد الانكليز وخصصت لجنود الذين اشتركوا مع الانكليز في الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٣) .

إلى حدود القرية من الغرب . فنسفوا مطحنة القرية وهي لتوفيق فيضي واخوانه من سكان القدس . ونسفوا منزلين من منازل القرية هما لعبد القادر شحادة وعلي موسى عطون. وقتلوا يومئذ عدداً من سكان القرية . نذكر من الشهداء ، عواد ذياب المصري ، محمد ديب، محمود محمد الازعر ، عليان ابراهيم ابو طير ، عبد الكريم اسحق ابوطير ، رشيد محمود ابو طير ، عبد علي دبش ، يوسف ذيب عوض الله .

ولكن المناضلين عاذوا . فتفوّوا عليهم ، ودحروهم إلى مستعمراتهم .

ويبدو ان تلك المعركة فتحت عيون اهل القرية ، فحفزتهم إلى العمل . فراحوا يتنادون وباعوا حلي نسائهم ليشتروا بها اسلحة. وصادف ان كان في تلك البرهة الرجل الذي ارسلوه إلى مصر.. جاد الله محمود .. قد عاد إلى القرية يحمل السلاح الذي ذكرناه في الأسطر المتقدمة فارتفعت معنويات السكان . فنظموا شؤون الحراسة على اساس حكيم . وحفروا الخنادق والحصون . وأقسموا ألا يهجروا قريتهم وألا يدعوا منازلهم واعراضهم لقمة سائغة في افواه اليهود .

وانا لا نعدو الحق ان قلنا انهم بروا بوعودهم . فلم يجبنوا ولم يهنوا. ولم فغادروا منازلهم وقام كل واحد منهم بالدور الذي عهد به اليه . وباستطاعتنا ان نؤكد انه لم ينقض يوم منذ نشوب القتال والى ان انتهى ، دون ان يشتبك الفريقان في قتال . تارة هنا ، وطوراً هناك .

وما كانت تمر ساعة دون ان يخر فيها واحد من الجانبين صريعاً : تارة من العرب وطوراً من اليهود . ومن المعارك الهامة التي اشترك فيها المجاهدون معركة (رامات راحيل) تلك المعركة التي هاجمها فيها العرب، فاحتلوها ، ثم اخلوها. ثم عادوا فاحتلوها، واخلوها. وهكذا دواليك . إلى ان تمكن اليهود من اخراج العرب منها ، وظلوا مسيطرين إلى (٢١ - ٢٦|٥) ، الامر الذي ذكرناه بالتفصيل عند ذكرنا لمعارك رامات راحيل في غير هذا الموضع من الكتاب .

ويهمنا ان نذكر هنا ان ابناء صور باهر ابلوا في معارك رامات راحيل بلاء حسناً. حتى لقد نال الشهادة منهم في هذه المعارك اثنا عشر مجاهداً عرفنا منهم : علي محمود الخطيب وكان ضابطاً برتبة ملازم ثاني ، احمد حسن عبد الجواد ، شحادة عبد الله موسى ، احمد شحادة عبد الله ، سليمان عليان ، خليل ابراهيم دبش ، رضوان محمد حسن ، محمد عبد الله عفانه ، يوسف القيسي ، عوض محمد ابو جودة .

وقتل في معارك رامات راحيل ثلاثة من نساء القرية هن : مريم محمد احمد عميرة . عليا

علي جاد الله ، حلوة الحـــاج مبارك عسيرة . نلن الشهادة وهن ينقلن المــاء والمؤن إلى المقاتلين .

كيف ولماذا احتل اليهود الجزء الاكبر من بيت صفافا (١)

في ٢ أيار ١٩٤٩ احتل اليهود الجزء الأكبر من قرية بيت صفافا وفيه المسجدوالمدرسة وتركوا الجزء الآخر للعرب ، وهو وعر ، لا أرض صالحة للزراعــة فيه ولا شجر . كما احتلوا جانباً من المستشفى الاهلي العربي (مستشفى الأمراض السارية سابقاً) . واستولوا على مساحة من الأرض تمتد على طول خط السكة الحديدية وعلى بعد مئتي ياردة من الخط المذكور إلى الجنوب الشرقي . وتسلم اليهود في اليوم نفسه خط السكة الحديدية ، فتمت لهم السيطرة على هذا الخط كله ، من القدس حتى تل أبيب (٢) . واحتل اليهود أيضاً جانــباً من قرية صور باهر . وسيطرت قواتهم على القبو والولجة . وبهـــذا تمت لهم السيطرة على الطريق الشريانية الهامة التي تربط القدس بالجزء الجنوبي من فلسطين .

فبهت سكان هذه القرى ، وسكان القدس العرب ، لهذا العمل . وأرادوا أن يقاوموا اليهود بالسلاح . وقد قاوموهم بالفعل . إلا انها مقاومة فاترة ، ما فتئت أن انهارت عندما جاء القائمقام أحمد صدقي الجندي ، رئيس الوفد الأردني في مفاوضات رودس ، فأفهمهم ان اليهود فعلوا ما فعلوا وفقاً لتخطيط الحدود الذي اتفق عليه قبل أسبوع في لجنة الهدنـــة الأردنية ــ اليهودية المشتركة.. تلك اللجنة التي نصت عليها المادة الثامنة من اتفاقية رودس. وعلم بعدئذ ان في الاتفاقية بنوداً اخرى بقيت في طي الكتمان لأنها ضارة بحقوق العرب (٣)

ووصل اليأس بالسكان ، إثر هذا الحادث درجة لا يمكن وصفها بالكلام . ولا سيما عندما رأوا بأم أعينهم ان اليهود حصلوا بمالهم ودهائهم على ما لم يستطيعوا الحصول عليه بسيوفهم ودمائهم في هذه القرى ، ولا سيا في (بيت صفافا). تلك القرية العربية التي صمدت لهم صمود الجبابرة ، والتي لم ينل اليهود شبراً منها في المعارك ، رغم ان المسافة بينها وبين

---

(١) إقرأ ما كتبناة عن هذه القرية في ٢٠ كانون الاول ١٩٤٧ وفي ١٣ شباط ١٩٤٨

(٢) شرع اليهود من فورهم في تعمير هذا الخط ليستعملوه في نقل البضائع والركاب ، بعد ان ظل متعطلا سنة كاملة . ففي ٨ آب ١٩٤٩ ، وصل الى محطة القدس أول قطار للبضائع ، وفي ٣ اذار ١٩٥٠ وصل اليهـــا أول قطار للركاب .

(٣) قال بن غوريون في خطاب القاه في ١٩٤٩/١١/٨ أمام مجلس المنتخبين ان هناك في اتفاقية الهدنة بنداً لم ينفذ بعد وهو يقضي باعادة فتح طريقي اللطرون والطور ، وان اليهود عـــلى استعداد لفتح طريق بيت لحم ولتزويد القدس القديمة بالكهرباء .

الاستحكامات اليهودية ما كانت لتزيد في اكثر المواضع عن خمسين متراً .

ويؤكد المطلعون على بواطن الأمور ، ومنهم من رأى الخرائط التي اتفق عليها من قبل ان اليهود فعلوا ما فعلوا،واحتلوا ما احتلوا من أراض عملا باتفاقية رودس نفسها،لابقرار من لجنة الهدنة . وأما الخطأ الذي أضافته اللجنة إلى أخطاء رودس فانه ينحصر في رضاها عن بقاء (رامات‌راحيل) في حوزة اليهود مع ان اتفاقية رودس جعلتها من نصيب‌العرب وكذلك قل عن (وادي فوكين) (١) ، فقد استولى عليه اليهود رغم انه كان في الاتفاقية المبحوث عنها ، قد خصص للعرب .

والانكى من هذا كله ان العرب الذين رأوا هذه الكارثة واخواتها اللواتي سبقنها ، لم يستطيعوا ان ينبسوا ببنت شفة . لأن الحكم السائـد في بلادهم كان مطلـقاً ، لا يتحمل السؤال والنقد .

رحيل الجيش المصري عن قطاع بيت المقدس

في ١ أيار ١٩٤٩ رحل الجيش المصري الذي كان مرابطاً في القطاع الجنوبي من القدس رحل عنه وعن الخليل وبيت لحم بعد ان مكث هنا قرابة عـام واحد (٢) . فأنزل العلم المصري عن مصالح الحكومة ودواوينها الكائنة في ذلك القطاع ، ورفع مكانه العلم‌الاردني. ولقد تم ذلك في حفل حضره جمع غفير من الأهلين والموظفين ، يتقدمهم أحمد لطفي واكد الحاكم العسكري المصري ، وصالح المجالي الحاكم العسكري الاردني . وخطب الاثنان فذكر كل منهما فضل جيشه وجيش اخيه على البلاد . ومما جاء في خطاب الحاكم المصري قوله:

« ... ان الحكومة المصرية اتفقت مع حليفتها المملكة الهاشمية ، بعد ان انتهت الاعمال الحربية ، على ان تتولى إدارة البلاد وتبقيها امانة في عنقها لأهلها ، حتى يتقرر مصيرها السياسي . واننا إذ نترك دماء اخواننا الشهداء في هـذه الأراضي ، فاننا نتركها وديعة في رقاب اخوان اعزاء رمزاً للتعاون العربي ... عاشت فلسطين عربية مستقلة ... »

فاغبر عرب فلسطين لهذا الانسحاب،كما اغبروا لانسحاب العراقيين من القطاع‌الأوسط قبل ثلاثة أيام . واعتبروه ، كما اعتبروا الانسحاب الذي سبقه ، سابقاً لأوانه . فكنت ، حيثما ذهبت تسمعهم يقولون « ما ضرنـا لو بقي المصريون ، وبقي العراقيـون وبقي السعوديون (٣) » وبقي جيش الانقاذ والجهاد المقدس ، وعمل الجميع يداً واحدة من أجل

(١) أرجعت هذه القرية للعرب في ٢٧/١٠/١٩٤٩ ، بعد ان استمرت المفاوضات بضعة شهور .

(٢) حلت القوات المصرية في هذا القطاع في العشرين من شهر ايار ١٩٤٨

(٣) كان عدد السعوديين الذين حاربوا في جنوب فلسطين الفاً وخمسمئة . قتل ثلثهم اثناء القتال . وكانوا جميعاً من الشجاعة والاخلاص على جانب عظيم .

إنقاذ القدس وإنقاذ فلسطين .

ومن الانصاف ان نذكر انه وان كان بين المصريين من قال بهذا الانسحاب كاسماعيل صدقي باشا ومحمود فهمي النقراشي باشا (١) وغيرهم الكثيرين . الا انه كان بينهم ايضاً من اغبر لما جرى ، وكان يرى انـه لا يجوز لمصر ان تنسحب قبل أن تنقذ فلسطين ، وتؤدي رسالتها على اكمل وجه . وتتزعم هذه الفئة جماعة الاخوان المسلمين في مصر وقد ذكرنا ذلك في الفصل الذي خصصناه لهم وللمعارك التي خاضوا غمارها .

حدثني القائد الاردني ، عبد الله التل ؛ عن المتطوعين المصريين الذين اشتركوا في معارك القطاع الجنوبي لبيت المقدس فقال : « انهم قدموا لأبناء بيت المقدس في نضالهم مساعدات قيمة ، وانهم تعاونوا مع الجيش العربي ومع المناضلين على اكمل وجه . فقد احتلوا مستعمرة (رامات راحيل) ودمروها . وكان لهم فضل لا ينسى في الدفاع عن بيت صفافا الواقعة في الخط الاول من خطوط القتال »

وأرى قبل أن أختم هذا الفصل ، من الواجب ان اذكر ـ بالثناء والتقدير ـ ما قام به الاخوان المسلمون المصريون من أجل فلسطين . فقد ركضوا لنجدتها فور نشوب القتال . وعندما قامت حركة اللاجئين بعث المرشد العام لهذه الجماعة ، الشيخ حسن البنا رجاله إلى المدن والأرياف المصرية ليجمعوا باسم اللاجئين الملابس والأطعمة والأدوية والأغطية ، ومواد الاسعاف اللازمة . ولكن النقراشي أصدر أمره ؛ بوصفه الحاكم العسكري العـام . بمنعهم ففشلوا .

ومما يجدر ذكره أن النقراشي هذا منع المناضلين الفلسطينيين من شراء السلاح مـن الصحراء الغربية . وراح يطارد الألمان الأسرى الذين هربوا من معسكرات الانكليز في مصر كيلا يتطوعوا في صفوف هؤلاء المناضلين .

وأخيراً وعندما عجز النقراشي عن مجابهة الاخوان المسلمين بمصر راح يطاردهم فأغلق دارهم ، وصادر أموالهم . الأمر الذي حـدا بهم لاغتياله . فاغتالوه في ٢٩ كانون أول ١٩٤٨ وبعد قليل انتقم رجال النقراشي لزعيمهم ، فاغتالوا الشيخ حسن البنا ، المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين .

---

(١) صرح الطالب المصري ، عبد المجيد احمد حسين ، الذي اغتال النقراشي وهو من الاخوان المسلمين بمصر انه ما أقدم على اغتياله الا عندما ايقن انه (أي النقراشي) عمل على مهادنـة اليهود في فلسطين وسحب الجيش المصري منها ورفض تجميد الاموال اليهودية في مصر وسمح بنقل الاسلحة التي تركها الالمان والانكليز من الصحراء الغربية الى تل ابيب .

ولقد قتل منهم في هذا القطاع مئة شهيد (١) ، نقلت رفـات ثلاثة وسبعين منهم إلى مصر في ٢٩ آذار ١٩٥٠

وأما مجموع ما خسره المصريون في معارك فلسطين ، فاليكه مقتبساً من سجلات وزارة الحربية المصرية :—

مستشهدون وعددهم ٩٧ ضابطاً و ١٠ موظفين مدنيين و١٢٢٨ مـن صف الضابط والجنود ، و٥٥ عاملا ومجموعهم ١٤٠٠ مستشهد

مفقودون . وعددهم ٣٠٢ ، منهم ٨ ضباط و٢٩٢ من صف الضباط والجنود وعاملان مصابون غير لائقين للخدمة ، أو لائقون ، وعددهم ٣٧٣٦ مصاباً ، منهم ٣٢٠ ضابطاً ، و٧ موظفين مدنيين و٣٢٨٤ من صف الضباط والجنود ، ١١٥ عاملا .

أما الشهداء فقد اهمل المصريون ، في بداية الأمر ، امرهم . وظلوا كذلك مهملين إلى أن قامت في مصر ثورة أدت إلى خلع الملك فاروق (٢٦ تموز ١٩٥٢) . عندئـذ راح الضباط الأحرار يبحثون عن مكان لائق بين مدافن القاهرة يضم أجداث الشهداء الذين لاقوا حتفهم في فلسطين . فاختاروا قطعة من الأرض في (جبانة الغفير) مساحتها ٢٦ ألف متر . وبنوا فوقها مقبرة على الطراز الحديث كلفتهم خمسة وخمسين الف جنيه. وبنوا قبورها من الرخام . ووضعوا فوق كل قبر لوحة تحمل اسم الشهيد ورتبته وتاريخ استشهاده .وكان عدد القبور التي أعدت للضباط الذين استشهدوا في فلسطين ٨٢ أولهم البطل أحمد عبدالعزيز وتسعة منهم أقباط مسيحيون . والباقون مسلمون . و١٢٠٠ قبر للجنود ، أربعة منهم أقباط وهي — من هذه الناحية — أول مقبرة من نوعها في مصر ترمز إلى الوحـدة بين عنصري الأمة .

ولكن اليهود الذين يعرفون كيف يفرقون الصفوف لم يألوا جهـداً في الدس والوقيعة بين الاخوان . وكان من جراء ذلك أنك كنت تسمع المصريين في بعض الاحايين يتهمون الفلسطينيين بالجبن والخيانة والتجسس لحساب الاعداء والشيوعية . كما كنت تسمع في احيان اخرى ، الفلسطينيين يتهمون المصريين بالجهل والسذاجـة والجبن . وذهب بعضهم إلى الاعتقاد بأن شم الكوكائين وتدخين الحشيش وما إلى ذلك من العادات السيئة التي تفشت في هذا القطاع من بيت المقدس ما كانت لتتفشى لولا الجنود المصريون ، وكان فريق غير قليل من هؤلاء قد أدمنوا استعمال المخدرات في بلادهم (٢) .

(١) اقرأ اسماءهم مع اسماء الشهداء الآخرين في الملحق .

(٢) إقرأ بعد هذا الفصل ، أو قبله اذا شئت ، ما كتبناه عن اتفاقية الهدنة التي أمضاها المصريون مـع اسرائيل ، وعن وقف القتال بين الفريقين في ٧ كانون الثاني ١٩٤٩

وفي ٢٣ آذار ١٩٤٩ وقع ممثلوا لبنان وإسرائيل اتفاقية الهدنة الدائمة. وقعوها في (رأس الناقورة) على الحدود بعد مفاوضات دامت ثلاثة أسابيع (١) ، وقد وقعها عن الوفد اللبناني القائمقام توفيق سالم ، وعن الوفد اليهودي الكولونيل مردخاي ماكديل . وحضر حفلة التوقيع الجنرال رايلي كبير المراقبين الدوليين ، والمسيو فيجيه الممثل الشخصي للدكتور بانش .

وتتلخص هذه الاتفاقية (٢) بألا يعتدي أحد الفريقين على الآخر ، وألا يقوم بأعمال عسكرية في البر والبحر والجو ، وألا يخترق حدود الفريق الآخر . وأن يكون خط الهدنة عند الحد الدولي الأساسي بين لبنان وفلسطين . وأن يتبادل الفريقان الأسرى. وأن تتألف لجنة مشتركة لمراقبة الهدنة من ضابطين لبنانيين ، وآخرين يهوديين ، ومن رئيس هو الجنرال رايلي او من يقوم مقامه من المراقبين الدوليين وأن يحترم الفريقان قرارات مجلس الأمن. وأن يحتفظ كلاهما بحقه فيما يتعلق بمستقبل فلسطين السياسي . وأن تظل الهدنة سارية المفعول إلى أن يتم الوصول إلى حل سلمي دائم .

وتنص الاتفاقية على وجوب جلاء القوات اليهودية عن القرى اللبنانية المحتلة ، وعددها أربع عشرة ؛ وقد رسمت الحدود . فالحدود اللبنانية تمتد من رأس الناقورة إلى القاسمية فالنبطية فحاصبيا ومن هنالك حتى ملتقى الحدود اللبنانية ، بالحدود السورية .

والحدود الاسرائيلية تمتد من جنوب مستعمرة نهاريا إلى مستعمرة جيشر فقرية نورس الواقعة في الجليل الشرقي .

ولقد جردت المنطقة الواقعة بين هذين الحدين من السلاح .

اتفاقية الهدنة في رودس بين لبنان واسرائيل

هذا هو الاتفاق الذي تم بين لبنان واسرائيل ولئن تألم الناس لخبره ، إلا ان ألمهم لم يكن شديداً كالألم الذي شعروا به عندما سمعوا بالاتفاقات التي تمت بين اسرائيل ومصر وبينها والاردن . لأن الجيش اللبناني ما كان في وقت من اوقات القتال ويا للأسف شيئاً يذكر . انه أضعف الجيوش العربية على الاطلاق . وما هو إلا كتائب صغيرة ألفت لصون الامن في لبنان ، لا للقتال وان معظم اللبنانيين ، ولا سيما الموارنة ، ضعيفو الايمان بالعروبة .

---

(١) بدأت هذه في ١٩ كانون الثاني ١٩٤٩

(٢) اقرأ النص الكامل للاتفاقية في الملحق الخامس

سوريا واتفاق الهدنة

في ٢٠ تموز ١٩٤٩ أمضيت اتفاقية الهدنة بين سوريا وإسرائيل . أمضيت فوق أكمة على مقربة من (محنايم) رقمها ٢٣٢ . وقد امضاها عن الجانب السوري القائمقام فوزي سلو والقائد محمد ناصر والرئيس عفيف بزري (١) . وعن الجانب الاسرائيلي القائد مردخاي مكليف والضابطان يهوشع وشبتاي روزين . وحضر التوقيع ، بالنيابة عن الأمم المتحدة ، الدكتور رالف بانش القائم بأعمال الوساطة في فلسطين ، وكبير المراقبين الدوليين .

لا تختلف هذه الاتفاقية ، من حيث نصوصها ومعانيها ، عن الاتفاقيات التي امضتها الدول العربية الاخرى ، إلا من حيث خط الهدنة . وقد ذكر هذا الخط بالتفصيل في الملحق الاول للاتفاقية . ونص الملحق الثاني على كيفية انسحاب قوات الطرفين إلى ما وراء ذلك الخط ، والتواريخ التي يجب ان يتم فيها الانسحاب .

ونص الملحقان الثالث والرابع على نوع القوات العسكريـــة التي يجوز لكلا الفريقين الاحتفاظ بها في مناطق الدفاع .

وأرفقت الاتفاقية بخارطة من قياس واحد على خمسين ألف .

ولما أمضيت اتفاقية الهدنـــة (٣) بين سوريا وإسرائيل ، لم يمتعض الفلسطينيون كثيراً للانباء التي وصلتهم عن توقيع تلك الاتفاقية ، كما امتعضوا عند توقيع مثل ذلك الاتفاق بين الاردن واسرائيل ، او بين هذه ومصر . لاعتقادهم ان سوريا بذلت قصارى جهدها لنجدة فلسطين ، وانها لم تستطع ان تعمل اكثر مما عملت .

فقد حارب الجيش السوري على قلة عدده وضعف سلاحه وعتاده ، في جبهة طويـــلة تمتد من غرب بانياس حتى جنوب الحمة وسمخ ، فاحتل سمخ كما احتل مشمار هايـــاردن وتل العزيزيات واحتل مزرعة الخوري .. ورد الهجمات المتكررة التي قام بهـــا اليهود على

---

(١) كذا ورد هذا الاسم في النص الرسمي ذي الرقم S 1353 Rev الذي نشره مجلس الأمن . وفي اعتقادي ان المقصود هو « الرئيس عفيف البزري » وقد حصلت على الاتفاقية من المكتب الدائم لهيئة الامم المتحدة في جنيف .

(٢) كم كنت اريد ان اذكر بالضبط الحدود التي أشار اليها خط الهدنـــة ؟ اولا ان معظمها اشير اليه بالارقام والعلامات الفنية التي لا تفيد القارىء كثيراً .

(٣) حصلت من مجلس الامن على نسخة طبق الاصل لهذه الاتفاقية S 1353 Rev وهي لا تخرج في مجموعها عن الاتفاقية المعقودة بين اسرائيل ولبنان ، تلك الاتفاقية التي ذكرتها في الملحق الخامس .

بانياس. وقدم لجيش الانقاذ عدداً غير قليل من ضباطه وجنوده ورشاشاته ،ومن حيواناته وأجهزته اللاسلكية . وسهل شراء السيارات اللازمة للمتطوعين من الاحتياط المخصص من الدولارات وسائر أنواع العملة الصعبة . وكلما شعر المتطوعون بحاجة لمادة من مواد القتال وكان من العسير ابتياعها من الاسواق المحلية كان الجيش السوري يقدمها لهم من مخازنه عن طيبة خاطر .

وهكذا أمكن سوق الأفواج التي تم تدريبها في معسكرات الجيش السوري فسيقت إلى ميدان الجهاد تباعاً .

ولقد أبدى هذا الجيش طيلة نشوب القتال في فلسطين رغبة صادقة في التعاون مع الجيوش العربية الاخرى من اجل انقاذ فلسطين . كما ابدى استعداداً تاماً للتعاون مع القيادة العامة وهي عراقية ، فلبى اوامرها ، ونفذها بحذافيرها .

وما ظهر من سوريا ، لا ولا من أي رجل من رجالها ، اي غموض او تردد في الوصول إلى الهدف الأسمى . وقد رأى الفلسطينيون الذين لجأوا إلى سوريا ، أينما حلوا صدراً رحباً وعطفاً اخوياً صادقاً. إذ فتحت لهم سوريا حكومة وشعباً ابوابها ، واستخدمتهم في مصالحها ودواوينها . وسهلت لهم سبل العيش ، فراحوا يعملون في مختلف الحرف والمهن التي ألفوها في منازلهم الاولى .

الأمر الذي لم ير مثله اخوانهم الآخرون الذين لجأوا إلى مصر ولبنان . وان كانوا قد رأوا مثله في المملكة الاردنية الهاشمية .

اسرى العرب

في اواسط شهر أيار ١٩٤٩ تم تبادل الأسرى بين العرب واليهود . وكان مندوب الصليب الاحمر الدولي قد اذاع في اواخر شهر كانون الثاني ١٩٤٩ تقريراً عن حالة الاسرى العرب في المعسكرات اليهودية ، وعن عددهم . وقد جاء في ذلك التقرير أن عددهم ٥٢٠٤ منهم ٤٧٠٢ فلسطينيون ، والباقون مصريون وسوريون وأردنيون ولبنانيون ويمانيون وسعوديون وعراقيون . وكانوا هؤلاء موزعين كما يلي :

المجموع		فلسطينيون
٢٢٢٩	في معسكر الجليل	١٨٩٤
١٢٥٦	في معسكر عتليت	١١٣٦
٨٢٣	في معسكر صرفند	٧٩٤

المجموع		فلسطينيون
٦٣٢	في معسكر تل لتفنسكي	٥٧١
٣٢٤	في معسكر ام خالد	٣٠٧
٥٢٦٤		٤٧٠٢ نصفهم من اللد والرملة

وكان في القدس نفسها معتقلان لأسرى العرب ، إلا انهما أخفيا عـن اعين المراقبين الدوليين : واحد منها في الطالبية ، والثاني في شنللر تشرف عليه عصابة شترن الارهابية . وقيل انه كان في المعتقل الثاني هذا بعض النساء العربيات اللواتي اسرهن رجال تلك العصابة

قال السيد ابراهم قندلفت في مقال له نشرته جريدة (البلاد) المقدسية في عددها ١١٦ الصادر بتاريخ ١٥/٢/١٩٥٤ ، ان اليهود اسروا من سكان القدس العرب الذين لم يبرحوا منازلهم زهاء مئة اسير ، منهم ثمانية عشر رجلا جريحـاً كانوا في المستشفى الفرنسي . وان هؤلاء الاسرى نقلوا في ٢١ ايار ١٩٤٨ من اماكنهم بعضهم الى المصلبة والبعض الآخر إلى النبي شعبـان حيث قضوا خمسة واربعين يومـاً ، يلتحفون السماء ويفترشون الأرض ويطعمون طعاماً رديئاً .وكان من هؤلاءالاسرى ثلاثة من المجاهدين الذين اشتركوا فيمعركة القسطل . فجلدوهم بالسياط مراراً .

ثم نقل هؤلاء الاسرى إلى قرية جليل في ضواحي تل ابيب . ثم الى النبي صالح فيالشمال وكانوا يعاملون معاملة قاسية للغاية . ثم إلى عتليت . وهنا تحسن طعامهم . وكانوا يشغلون في المزارع والحقول . وقتل اليهود في هذا المعسكر زهاء خمسة وعشرين اسيراً زعموا انهم حاولوا الفرار ، وكثيراً ماكان اليهود يثيرون بين المسلمين والمسيحيين من الأسرى النعرة الدينية .

هنا يجدر بالقارىء ان يرجع بذاكرته إلى الامر الذي اصدره الملك عبـد الله باطلاق سراح الفتيات اللواتي اسرن في ساحات القتال ، وارجعن الى منازلهن لأن بقاءهن في الاسر اعتبر مخالفاً للشهامة العربية .

وجاء في بيان اذاعه مكتبشؤون الاسرى ان بين الاسرى العرب ٧٧ طفلا دونالرابعة عشرة و٩٠ عاجزاً فوق الخمسين من العمر . وكان طعامهم قليلا ، ومساكنهم غير صحية ، خلافاً للأسري اليهود الذين عنـد العرب . ويقدر عددهم بسبعمئة في شرق الاردن ومئة وخمسين في مصر . وقليل منهم كان في سورية ولبنان .

ولقد تم الاتفاق بين اليهود والاردنيين على تبادل الاسرى ، فرضي اليهود ان يسلموا العرب اسراهم البالغ عددهم ــ كما قدمت ــ ٥٢٦٤ لقاء سبعمئة اسير يهودي كانوا عنـد

العرب . وبدأ التسليم في القدس في اليوم العشرين من شهر شباط ١٩٤٩ . وانتهى في أواسط شهر أيار ١٩٤٩ . وكان التسليم يجري أمام البوابة المعروفة بمندلباوم عند مفترق الطرق المؤدية إلى الشيخ جراح ومياشورم وباب العمود .

اعتبر فريق من المقدسيين هذا العمل نصراً للعرب . وأدرك فريق آخر الغاية التي كان يهدف إليها اليهود من رضائهم بتسليم عدد كبير من أسرى العرب لقاء عدد صغير من أسراهم إذ كانوا يودون التخلص من إطعام هذا العدد الكبير من أسري العرب وإسكانهم، ليوفروا المؤن والسكن للمهاجرين الذين جاءوا لفلسطين حديثاً ويودون أيضاً ان لو لم يبق في اسرائيل احد من العرب لا أسير ، ولا تاجر، ولا ملاك ، ولا موظف ، حتى ولا فقير شحاذ ! وكانوا يعلمون العلم اليقين انه لا خطر عليهم من هذا العدد الكبير من العرب إذا التحقوا بأي قطر من الأقطار العربية ، إذ انه ليس في نية ماوكهم ورؤسائهم ان يسلحوهم ويدفعوا بهم إلى ميادين القتال مرة أخرى ... وإلا لما رضوا بتسليمهم لذويهم ...

اسرائيل تقبل عضواً في هيئة الأمم

وفي ١٢ أيار ١٩٤٩ قبلت اسرائيل عضواً في هيئة الأمم . وكان عـدد الأصوات التي نالتها عند الاقتراع ٣٧ صوتاً مقابل ١٢ صوتاً كانت ضدها . وامتنع ٩ اعضاء عن التصويت أما الدول التي صوتت ضدها فهي : مصر وسوريا ولبنان والعراق واليمن والمملكة العربية السعودية والهند والباكستان والحبشة وايران وافغانستان وبورما . وأما الدول التي امتنعت عن التصويت فهي : بريطانيا والبلجيك والدانمارك والسويد وتركيا واليونان والسلفادور والبرازيل وسيام . وامـا الدول التي ايدتهـا فهي : اميركا وفرنسا وروسيا السوفياتية ، وبولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا والصين واوستراليا واوكرانيا وروسيا البيضاء وجنوب افريقيا وايسلندة وفنزويلا وباراغواي والفلبين ويوغوسلافيا وكوبا وكندا والنرويج ولوكسمبورغ ونيوزيلندا وبناما وبيرو وهايتي وليبيريا والشيلي وهندوراس وكوستاريكا وغواتيمالا وبوليفيا والأرجنتين والمكسيك وهولندا ودومينيكا والاكوادور ونيكاراغوا وكولومبيا .

فاستغرب سكان بيت المقدس الامركما استغربه عرب فلسطين كلهم . وراحوا يتساءلون كيف تم ذلك بمثل هذه السرعة ولما ينته النزاع القائم بين الفريقين ، ولم تعين بعد حـدود اسرائيل . وازدادوا استغراباً عندما تذكروا ان هناك دولاً كثيرة اخرى طلبت الانتساب إلى اسرة الأمم المتحدة ، فلم يقبل طلبها رغم انها مستقلة ورغم مرور عدد من السنين على

طابها . واعتبروا ذلك دليلا على مبلغ تغلغل النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة وفي عالم الدولار ...

وما كادت هيئة الأمم تذيع قرارها حتى ارتفع العلم الاسرائيلي على السارية بين اعلام الدول الاخرى . وكان اليهود من موظفي السكرتارية قد اعدوه لمثل تلك الساعة . وراح هذا العلم يخفق ، آخذاً مكانه بين العلمين : العراقي واللبناني .

ونزل الخبر على العرب ، في جميع اقطارهم ، نزول الصاعقة . ولكنهم لم يفعلوا شيئاً .

خسائر العرب في الاراضي والممتلكات

ومهما قيل في هذه الاتفاقية ، وفي غيرها من الاتفاقات ، فقد خسر العرب من الاراضي والممتلكات بسببها ، ما نود ان نجمله في السطور التالية :-

(أ) فمن قضاء القدس اضاعوا اثنين وثلاثين قرية (١) مساحتها ١٢٦،٢٤٣ دونما (٢) وكانت مساحة القضاء كله ، في عهد الانتداب ٥٥٨،٦٤٧ دونما . وكان فيه ٦٤ قرية عربية

هذا فضلا عما خسره العرب في مدينة القدس نفسها . فقد كانت املاك العرب فيها ٧٧٣٨ دونما . فلم يبق لهم منها ، بعد اتفاق الهدنة ، سوى زهاء ٣٠٠٠ دونم . وهذا الذي تبقى واقع في البلدة القديمة داخل السور ، وفي باب الساهرة ، ووادي الجوز ، والشيخ جراح ، وجزء ضئيل من سعد وسعيد ، والمصرارة ، وحي الشوري خارج السور ، وكان لليهود في عهد الانتداب ٥٠٤٧ دونما ، فصار لهم بعد الهدنة ، ما يقرب من عشرة آلاف دونم ولا يدخل في هذه الارقام الاراضي التي تملكها الطوائف الاخرى ٢٦٨٥ دونماً والطرق ٢٣٠٥ دونمـاً وممتلكات الحكومة والبلدية ٥٥٦ دونماً . فقد وضع اليهود يدهم على الجزء الاكبر منها .

قال السيد سامي هداوي ، الموظف المسؤول عن تحقيق ضريبة الاراضي في عهد الانتداب البريطاني ، في كراس نشره في شهر آب سنة ١٩٤١ ، بعنوان (حقائق واحصاءات) ان مساحة مدينة القدس القديمة تقدر بثمانمئة دونم ، والجديدة ١٩٣٣١ دونماً . اما القديمة فانها كلهـا ملك العرب ، والجزء الضئيل الذي كان يقطنه اليهود وقف للمسلمين . واما القدس الجديدة فقد كانت ، ابان الانتداب ، موزعة كما يلي :

---

(١) تجد اسماء هذه القرى ، والقرى الاخرى التي اضاعها العرب في الملحق السابع .

(٢) الدونم عبارة عن الف متر مربع .

	المساحة بالدونمات	النسبة المئوية
عرب	٧٧٣١	٤٠،٠٠٪
يهود	٥٠٥٠	٢٦،١٢٪
طوائف اخرى	٢٦٨٠	١٣،٨٦٪
حكومة	٥٦٠	٢،٩٠٪
طرق وسكك حديدية	٣٣١٠	١٧،١٢٪
	١٩،٣٣١	١٠٠،٠٠٪

ونتيجة لاتفاقات الهدنة اصبحت الملكية في المدينة الجديدة كما يلي :

	عرب	يهود	طوائف اخري	حكومة	طرق وسكك	مجموع المساحة بالدونمات
المنطقة العربية	١٥٨٨	٦٥	٢٠٧	١٥٩	٢٠١	٢،٢٢٠
المنطقة اليهودية	٥٤٧٨	٤٨٨٥	٢٤٧٣	٤٠١	٣٠٢٤	١٦،٢٦١
المنطقة الحرام	٦٦٥	١٠٠	—	—	٨٥	٨٥٠
	٧٧٣١	٥٠٥٠	٢٦٨٠	٥٦٠	٣٣١٠	١٩،٣٣١

ولقد وسع اليهود حدود بلدية القدس ، بعد وقف القتال ، بأن ضموا إلى المدينة بعض الاراضي المجاورة لها : فأصبحت في عام ١٩٥٢ ثلاثة وثلاثين الف دونم ...

والاهم من هذا كله ان اليهود وطدوا اقدامهم في معظم المرتفعات المحيطة بالمدينة كجبل صهيون والشوري وجبل المكبر . وهذه المرتفعات مسيطرة على طريق القدس — بيت لحم وطريق القدس — عمان . هذا بالاضافة إلى القسم الشمالي من جبل الزيتون الذي تقوم عليه مؤسساتهم المعروفة بالجامعة العبرية والهداسا . والمسيطرة على المدينة من الشرق .

(ب) ومن قضاء بيت لحم اضاع العرب ثماني قرى ، مساحتها ٨٠،١٥٧ دونماً. وكانت مساحة القضاء كله ، في عهد الانتداب، ٥٣،١٥٧٪ دونماً . وكان فيه ثلاث وعشرون قرية وكان (وادي فوكين) من القرى الثمانية التي احتلها اليهود. إلا ان العرب عادوا، فاسترجعوها كما استرجعوا ثلاثة كيلو مترات مربعة من اراضيها . وكان ذلك اثر اتفاق عقده الفريقان بتاريخ ٢٧ تشرين الاول ١٩٤٩ بوساطة المراقبين الدوليين . وقد اخذ اليهود لقاءها شقة من اراضي بئر السبع الكائنة إلى الجنوب الغربي من الضاهرية مساحتها ثلاثة كيلو مترات مربعة .

ومن قضاء رام الله الذي يحتوي على ستين قريه والذي بلغت مساحته ٦٨٦،٥٦٤ دونماً خسر العرب ما يقرب من ٥٥٦٤ دونماً هي جزء من اراضي بيت سيرا وبيت لقيا وصفا

الواقعة عند خطوط الهدنة .

واما من قضاء اريحا المؤلف من خمس قرى ، والذي بلغت مساحته ٣٤٠،٦٢٣ دونماً، فان العرب لم يخسروا شيئاً .

(ج) ومن قضاء الخليل اضاع العرب ست عشرة قرية ، مساحتها ١،١٠٧،٧٨٦ دونماً من مساحة القضاء كله ، وكانت هذه في عهد الانتداب ٢،٠٧٦،٧٨٦ دونماً . وكان فيه ثمان وثلاثون قرية . ولم يكن لليهود فيه سوى ٦،٠٣٢ دونماً .

(د) ولقد خسر العرب يافا كلها . مدنها وقراها البالغ عددها ثلاثاً وعشرين، ومساحتها ٣٣٥،٠٦٦ دونما . هـذا مع العـلم بأن الممتلكات اليهودية كانت قبل هـذه الحوادث ١٢٩،٤٣٩ دونما .

(هـ) ومن قضاء الرملة اضاع العرب مدينة الرملة نفسها وواحداً وثلاثين قرية من قراها

(و) ومن قضاء اللد اضاعوا مدينة اللد نفسها وتسعاً وعشرين قرية من قراها . ومساحة القضائين معا (اللد والرملة) ٨٧٠،١٩٢ دونما . لم يبق بيد العرب منهـا ، بعد الحوادث الأخيرة ، سوى اربع عشرة قرية مساحتها ٩٦،٠٠٠ دونما . واما الباقي ٧٧٤،١٩٢ فقد اصبح في حوزة اليهود ـ مع انه مـا كان لهم في هذين القضاءين ، قبل اليوم ، اكثر مـن ١٢٢،١٥٩ دونما .

(ز) ومن قضاء جنين خسر العرب ثماني قرى ، مساحتها ٢٥٨،٩٩١ دونما ، هذا من مجموع القضاء كله ، وقد بلغت مساحته ٨٣٨،٩٩١ دونما .

(ح) ومن قضاء طول كرم خسروا تسعا وعشرين قرية ، مساحتها ٣٦٥،٢٢٢ دونما . وبهذا بلغ مجموع ما يملكه اليهود في هذا القضاء ٥٠٦،٥٨٣ وكانت ممتلكات اليهود في هذا القضاء في عهد الانتداب لا تزيد على ١٤١،٣٦١ دونما ، من مجموع مساحة القضاء كله وهي ٨٣١،٥٨٣ دونما .

ولم يخسر العرب من قضاء نابلس المؤلف من تسعين قريـة والذي بلغت مساحتـه ١،٥٩١،٧١٨ دونما سوى ٢٦،٧١٨ دونما هي من اراضي طوباس الواقعة في الغور عند خطوط الهدنة .

(ط) ولقد خسر العرب حيفا كلها ، مدنها وقراها ، وقد كان فيها مدينتان همـا حيفا وشفا عمرو ، واحدى واربعون قرية ، واثنتا عشرة عشيرة . كان لليهود في هذا القضاء ، في عهد الانتداب ٣٦٤،٢٧٦ دونما . واما مجموع مساحته فهي ١،٠٣١،٧٥٥ دونما .

(ي) وكذلك قل عن قضاء عكا . فقد اصبح كله بيد اليهود ومجموع مساحته ٧٩٩،٦٦٣

دونما . ولم يكن لهم فيه ، قبل هذه الحوادث ، اكثر من ٢٤،٩٩٧ دونما . وكان للعرب فيه غير عكا خمسون قرية وثماني عشائر .

(ك) وكذلك قل عـن قضاء الناصرة . فقـد أصبح كله بيد اليهود ومجموع مساحته ٤٩٧،٥٣٣ دونما . ولم يكن لهم فيه ، قبل هذه الحوادث اكثر من ١٣٧،٣٨٢ دونما. وكان للعرب فيه غير الناصرة ، أربع وعشرون قرية ، وعشيرة واحدة .

(ل) وكذلك قل عن قضاء صفد، فقد أصبح كله بيد اليهود. ومجموع مساحته ٦٩٦،١٣١ دونما . ولم يكن لهم فيه قبل هذه الحوادث، اكثر من ١٢١،٤٨٨ دونما . وكان للعرب فيه غير صفد ، خمس وسبعون قرية ، وثلاث عشائر .

(م) وكذلك قل عـن قضاء طبريا ، فقد اصبح كله بيـد اليهود . ومجموع مساحته ٤٤٠،٩٦٩ دونما . ولم يكن لهم فيه ، قبل هذه الحوادث اكثر من ١٦٧،٤٠٦ دونمات . وكان للعرب فيه غير طبريا ست وعشرون قرية .

(ن) وكذلك قل عن قضاء بيسان . فقد أصبح كله بيـد اليهود . ومجموع مساحـته ٣٦٧،٠٨٧ دونما . وكان لهم فيه ، قبل هذه الحوادث ١٢٤،٧٥٥ دونما . وكان للعرب فيه غير بيسان ثمان وعشرون قرية ، واربع عشائر .

(س) وأما قضاء غزة ، فقد كانت مساحته ، في أواخر عهد الانتداب ، ١١٩٦ كيلو متراً مربعاً ، اي ما يعادل ١،١١١،٥٠١ دونما . استولى اليهود في هذه الحوادث وبموجب اتفاق رودس للهدنة ، على معظمها . فلم يبق بيد المصريين سوى شقة ضيقة على الساحل ، تمتد من نقطة تقع على مقربة من غزة في الشمال إلى رفح عند الحدود المصرية . ويبلغ طول هذه الشقة زهاء اربعين كيلو مترا ، وعرضها ثمانية كيلو مترات . ومساحتها بوجه التقريب ٣٠٠،٠٠٠ دونما .

وكان في هذا القضاء اربع مدن هي غزة وخان يونس والمجـدل والفالوجة . استولى اليهود على المدينتين الاخيرتين منها . وكان لهم فيه ثلاث وخمسون قرية ، لم يبق بيد العرب سوى سبع منها . وقد استولى اليهود على القرى الأخرى وعددها ست واربعون .

(ع) واما قضاء بئر السبع ، وهو اكثر الاقضية الفلسطينية ارضاً وأوسعهـا طرأ ، إذ بلغت مساحته في اواخر عهد الانتداب ١٢،٥٧٧،٠٠٠ دونما. فقد سقط بيد اليهود ، ولم يبق منه بيد العرب سوى زهاء ١٠٠،٠٠٠ دونما . وكان يعيش في هذا القضاء سبع قبائل بدوية (هي الترابين والتياها والعزازمة والجبارات والسعيدين والحناجرة والاجوات) تتفرع إلى سبع وسبعين عشيرة . لم يسلم من اليهود سوى ممتلكات الحناجرة . واما العشائر الاخرى

فقد استولى اليهود على اراضيها . ورحل بعضها عن منازله . وتشتتوا فنهم من رحل إلى المنطقة المصرية ومنهم من رحل إلى ما وراء الأردن ، ومنهم من بقي في انحاء فلسطين الاخرى . تلك الانحاء التي بقيت بيد العرب .

(ف) يضاف إلى ما تقدم ما ربحه اليهود من املاك الدولة كالمستشفيات والمزارع والمستنبتات ومحطات السكك الحديدية والمطارات المدنية والعسكرية ومنشآت الجمارك والبريد ودور الحكومة وعمارات البوليس . فقد كان في عهد الانتداب ٥٨ عمارة من هذا القبيل عرفت يومئذ بـ (Tegart,s Building) استحوذ اليهود على ٣٩ منها ، ولم يبق في حوزة العرب سوى ١٩ عمارتان منها في المنطقة المصرية والباقية في المنطقة الاردنية.

وكان فيها ٥٥٦ كيلو متراً من الخطوط الحديدية ، لم يبق بيد العرب منها سوى ١٢٦ كيلو متراً ٤٥ منها في المنطقة المصرية والباقي في المنطقة الاردنية (خط نابلس - طول كرم - جنين) وهو خط ضيق اهمل في عهد الانتداب .

وكان هناك ١٤٠٠ كيلو متراً من الطرق المعبدة من الدرجة الاولى ، استولى اليهود على ١٠٤٢ كيلو متراً منها وبقي في المنطقة المصرية ٤٠ والاردنية ٣١٨ وكذلك قل عن الطرق غير المعبدة او المعبدة بالدرجة الثانية .

ولكي يأخذ القارىء فكرة صحيحة عن الوضع الناجم عن اتفاقات الهدنة ، اري من الفائدة ان اثبت فيما يلي اربعة جداول (١)

الأول - يثبت مساحة الاراضي العربية واليهودية والحكومية في اواخر عهد الانتداب (١٩٤٥)

الثاني - يبين مساحة الاراضي التي استولى عليها اليهود وقبلت بها اتفاقات الهدنة (١٩٤٩)

الثالث - يريك مساحة الاراضي المزروعة وغير المزروعة وتصنيفها وملكيتها في عهد الانتداب (١٩٤٥)

وهذا ينقسم إلى قسمين - قسم يريك اراضي فلسطين كلها ، خلا بئر السبع ، وقسم يريك اراضي بئر السبع وحدها .

الرابع - يريك مساحة الاراضي التي انتقلت ليد اليهود ، وما بقي بيد العرب ، مصنفة

(١) اقتبست معظم هذه الارقام من سجلات المصلحة المختصة بتسوية الاراضي ، ومن تقرير اعده اخيراً السيد سامي هداوي احد كبار موظفي تلك المصلحة في عهد الانتداب ، وقد راجعتها بغية تضبيطها مع السيد غريغوري المايفتش الموظف الخبير في هذه الشؤون.

إلى مدن وقرى وأراض مزروعة وغير مزروعة وما إلى ذلك .

«أ» مساحة الاراضي العربية واليهودية في اواخر عهد الانتداب البريطاني (١٩٤٥)

اسم القضاء	مجموع مساحة القضاء	ماكان يملكه			
		العرب	اليهود	الحكومة	آخرون
(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)
عكا	٧٩٩،٦٦٣	٦٩٥،٦٩٤	٢٤،٩٩٧	٧٧،٤٩١	١،٤٨١
بيسان	٣٦٧،٠٨٧	١٥٩،٨١٣	١٢٤،٧٥٥	٨٢،٣٣٦	١٨٤
الناصرة	٤٩٧،٥٣٣	٢٥٨،٦١٦	١٣٧،٣٨٢	٩٧،١٠٦	٤،٤٢٩
صفد	٦٩٦،١٣١	٤٧٤،٩٧٣	٢١،٤٨٨	٩٩،٦٦٣	٧
طبريا	٤٤٠،٩٦٩	٢٢٦،٤٤١	١٦٧،٤٠٦	٤٢،٠٣٧	٥،٠٨٥
حيفا	١،٠٣١،٧٥٥	٤٣٤،٦٦٦	٣ ٤،٢٧٦	٢٠٨،٠٢٧	٢٤،٧٦٦
يافا	٣٣٥،٣٦٦	١٥٨،٣١٣	١٢٩،٤٣٩	٣٠،٥٩٧	١٦١٩١٧
الرملة واللد	٨٧٠،١٩٢	٦٧٠،٣٩٢	١٣٢،١٥٩	٦٦،٠٠١	١١،٦٤٠
جنين	٨٤٨ ٩٩١	٧٠٥،٧٤٢	٤،٢٥١	١٢٨،٩٢٥	٧٣
نابلس	١،٥٩١.٧١٨	١،٣٧٣،٤٦٦	١٥	١٨٠،٥٤٦	١٩،٦٩١
طولكرم	٨٣١،٥٨٣	٦٤٦،٨٦٩	١٤١،٣٦١	٤٣،٣٣٨	١٥
رام الله	٦٨٦،٥٦٤	٦٨١،٩٩٦	١٤٦	٣،٩٣٣	٤٨٩
القدس	٥٥٨،٦٤٧	٤٥٩،٩٢١	٢٩،٥٢٧	٢٧،٠٣٩	٤٢،١٦٠
اريحا	٣٤٠،٦٢٣	٢١٦،١٢٨		١١٩،٩٤٥	٤،٥٥٠
بيت لحم	٦٥٣،١٥٧	٦٣٢،١٥٤	٣،٨١٩	٨،١٢٩	٩،٠٥٥
الخليل	٢،٠٧٦،٧٨٦	٢،٠٨٥،٠٣٤	٦،١٣٢	٨٤،٤٦٥	١،١٥٤
غزة	١،١١١،٥٠١	٨٣٠،٣١٤	٤٩،٢٦٠	٢٣١،٥٧٨	٣٤١
بئر السبع	١٢،٥٧٧،٠٠٠	١،٩٣٦،٣٧٥	٦٥،٢٣١	٠،٥٧٥،٣٨٠	٥١
	٢٦٤٠٥٢٦٦	١٢٦٥٧٠٠٧	١٤٩١٦٤٤	١٢١١٤٥٦٥	٠٤٢٠٥٠

(ب) مساحة الاراضي التي استولى عليها اليهود وقبلت بها اتفاقات الهدنة (١٩٤٩)

اسم القضاء	مجموع مساحة القضاء	المساحة التي يسيطر عليها اليهود	المساحة التي تبقت بيد العرب
(١)	(٢)	(٣)	(٤)
عكا	٧٩٩،٦٦٣	٧٩٩،٦٦٣	
بيسان	٣٦٧،٠٨٧	٣٦٧،٠٨٧	
الناصرة	٤٩٧،٥٣٣	٤٩٧،٥٣٣	
صفد	٦٩٦،١٣١	٦٩٦،١٣١	
طبريا	٤٤٠،٩٦٩	٤٤٠،٩٦٩	
حيفا	١،٠٣١،٧٥٥	١،٠٣١،٧٥٥	
يافا	٣٣٥،٣٦٦	٣٣٥،٣٦٦	
الرملة واللد	٨٧٠،١٩٢	٧٧٤،١٩٢	٩٦،٠٠٠
جنين	٨٣٨،٩٩٩	٢٥٨،٩٩١	٥٨٠،٠٠٠
نابلس	١،٥٩١،٧١٨	٢٦،٧١٨	١،٥٦٥،٠٠٠
طولكرم	٨٣١،٥٨٣	٥٠٦،٥٨٣	٣٢٥،٠٠٠
رام الله	٦٨٦،٥٦٤	٥،٥٦٤	٦٨١،٠٠٠
القدس	٥٥٨،٦٤٧	٢٥١،٦٤٧	٣٠٧،٠٠٠
اريحا	٣٤٠،٦٢٣	——	٣٤٠،٦٢٣
بيت لحم	٦٥٣،١٥٧	٨٠،١٥٧	٥٧٣،٠٠٠
الخليل	٢،١٧٦،٧٨٦	١،١٠٧،٧٨٦	١٠٦٩،٠٠٠
غزة	١،١١١،٥٠١	٨١١،٥٠١	٣٠٠،٠٠٠ (١)
بئر السبع	١٢،٢٥٧،٠٠٠	١٢،٤٧٧،٠٠٠	١٠٠،٠٠٠ (٢)
	٢٦،٤٠٥،٢٦٦	٢٠،٤٦٨،٦٤٣	٥،٩٣٦،٦٢٣

(١) او (٢) هذه المساحة تقريبية : اذ انا لم نعثر على نسخة للخارطة التي تبين حدود الهدنة بين اسرائيل والمصريين

(٣) لا تدخل في هذا مساحة المنطقة المائية في بحيرة طبريا والبحر الميت وقدرها ٦٥٠،٠٠٠ دونما .

(ج) مساحة الاراضي المزروعة وغير المزروعة (بالدونمات المترية)

وتصنيفها وملكيتها في عهد الانتداب البريطاني (١٩٤٥)

اراضي فلسطين (خلا بئر السبع)

	بيد العرب	بيد اليهود	بيد الحكومة	بيد الطوائف	المجموع
المدن	٦٠،٦٠٧	٧٤،٦١٩	٣٤،٧٦٦	١٣،٦٤٣	١٨٣،٦٣٥
بناء القرى	٣٣،٥٢٧	٤١،٦٩٦	٣٨٣	١،٢٦٩	٧٦،٨٧٤
حمضيات	١٣٥،٣٦٨	١٣٩،٧٢٨	١،٤٣٧	٤،٩١٥	٢٨١،٤٤٨
اشجار اخرى	١٠٢٢٦١٠	٩١،٦٤٩	١٨،١٦٥	١١،٦٤٢	١،١٤٤،٠٦٦
اراضي تحت الري	٣١،٤٥٥	٣،٥٩٧	٣٠،٠٩٨	—	٦٥،١٥٠
اراضي زراعية	٤٥٤١٥٤٣	٨٧٦،٦٢١	٢٣١،٦٦٤	٦٥،٠٤٧	٥،٧١٤،٨٧٥
اراضي غير قابلة للزراعة	٤٨٩٠٥٣١	١٩٣،٠٤٤	٣٧٢،٦٨٧	٤٥،٥٢٩	٥،٥٠٦،٧٩١
حراج	—	٥،٥١٦	٨٤٩،٩١١	—	٨٥٥،٤٢٧
	١٠٧٢٠٦٤١	١٤٣٦٤٦٩	١٥٣٩١١١	١٤٢٠٤٥	١٣٨٢٨،٢٦٦
اراضي بئر السبع :					
المدن	١،٥٢٦	٨٠	٢،٢٧٩	٥	٣،٨٩٠
اراضي زراعية	١٩٣٤٨٤٩	٦٥،١٥١	—	—	٢،٠٠٠،٠٠٠
اراضي غير قابلة للزراعة	—	—	١٠٥٧٣١١٠		١٠،٥٧٣،١١٠
	١٩٣٦٣٧٥	٦٥٢٣١	١٠٥٧٥٣٨٩	٥	١٢،٥٧٧،٠٠٠
المجموع	١٢٦٥٧٠١٦	١٤٩١٧٠٠	١٢١١٤٥٠٠[1]	١٤٢٠٥٠	٢٦،٤٠٥،٢٦٦
النسبة المئوية	٤٧،٩٣٪	٥،٧٥٪	٤٥،٨٨٪	٠،٥٤٪	١٠٠٪

(١) انا اذا ما اضفنا الى هذه الارقام المنطقة المائية التي تملكها الحكومة في بحيرة طبريا والبحر الميت وقدرها ٦٥٠٠٠٠ دونم لتكون مساحة الممتلكات الحكومية ١٢،٧٦٤،٥٠٠ دونم ، وبهذا يرتفع مجموع مساحة فلسطين الى ٢٧٠٠٥٥،٢٦٦ دونما .

(د) مساحة الاراضي التي انتقلت ليد اليهود ، وما بقي بيد العرب ، مصنفة الى مدن وقرى واراضي مزروعة وغير مزروعة وما الى ذلك .

	في المنطقة الاردنية	في المنطقة المصرية	في المنطقة اليهودية	المجموع
المدن	١٩،٣٥٠	١٢،٣٧٠	١٥٥،٣٥٥	١٨٧،٥٧٥
بناءالقرى (١)	١٣،٨٢٧	٣٦٠	٦٢،٦٨٧	٧٦،٨٧٤
حمضيات	٧٠٠	٢،٦٠٠	٢٧٨،١٤٨	٢٨١،٤٤٨
اشجارمثمرة اخرى	٦٣١،٠٠٠	٢٦،٠٠٠	٤٨٧،٠٦٦	١،١٤٤،٠٦٦
اراضي تحت الري	١٠،٠٠٠	—	٥٥،١٥٥	٦٥،١٥٥
اراضي زراعية قابلة للزراعة	١،٤٩٢،٠٠٠	١٥٠،٠٠٠	٦،٠٧٢،٨٧٤	٧،٧١٤،٨٧٤
اراضي غير	٣،١١٥،١٢٣	١١٣،٦٧٠	١٢،٨٥١،١٥٤	١٦،٠٧٩،٩٤٧
حراج	٢٧٣،٠٠٠	٤٥،٠٠٠	٥٣٧،٣٢٧	٨٥٥،٣٢٧
	(٢)٥،٥٥٥،٠٠٠	٣٥٠،٠٠٠	(٣)٢٠،٥٠٠،٢٦٦	(٤)٢٦،٤٠٥،٢٦٦
النسبة المئوية	٢١،٣٢٪	١،٢٩٪	٧٧،٣٩٪	١٠٠٪

واليك عدد المدن والقرى ، من عربية ويهودية، وعدد السكان في كل من المناطق الثلاث الاردنية والمصرية واليهودية ، من فلسطين بعد التوقيع على اتفاقات الهدنة :

عدد المدن والقرى :	عربية		يهودية		مختلطة		المانية		المجموع	
	مدن	قرى	مدن	قرى	مدن	قرى	مدن	قرى	مدن	قرى
في المنطقة الاردنية	٩	٣٢٠	—	٦	١	—	—	—	١٠	٣٢٦
في المنطقة المصرية «غزة وقطاعها»	٢	١١	—	١	—	—	—	—	٢	١٢
في المنطقة اليهودية	٩	٥١٠	١٥	٢٠٠	٤	—	١	٣	٢٩	٧١٣
	٢٠	٨٤١	١٥	٢٠٧	٥	—	١	٣	٤١	١٠٥١

---

(١) كان في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني ٨٢٢ قرية عربية «خلا المدن الكبرى والعشائر» استولى اليهود على ٤٨٦ قرية منها . وبقي ٣٣٦ منها ٣٢٦ في المنطقة الاردنية و١٠ في المنطقة المصرية .

(٢) انا اذا ما اضفنا للمنطقة الاردنية القسم المحاذي لها من البحر الميت ، ومساحته ٢١٠،٠٠٠ دونم يصبح مجموع مساحتها ٥،٧٦٥،٠٠٠ دونم

(٣) انا اذا ما اضفنا للمنطقة اليهودية القسم المحاذي لها من البحر الميت وبحيرة طبريا ومساحته ٤٤٠،٠٠٠ دونم ، يصبح مساحتها ٢٠،٩٤٠،٢٦٦ دونما

(٤) باضافة المساحات المائية التي ذكرناها في البندين المتقدمين ومجموعها ٦٥٠،٠٠٠ ، يصبح مجموع مساحة فلسطين ٢٧،٠٥٥،٢٦٦ وهذا مطابق للارقام التي ذكرناها في الجداول السابقة .

(ب) عدد السكان :	عرب وآخرون	يهود	المجموع
في المنطقة الاردنية	٤٢٥،٠٠٠	—	٤٢٥،٠٠٠
في المنطقة المصرية «غزة وقطاعها»	٧٠،٠٠٠	—	٧٠،٠٠٠
في المنطقة اليهودية	١٥٢،٠٠٠	٦٠٨،٠٠٠	١،٢٤٥،٠٠٠

وهنا أود أن أمسك القلم قليلا ، لأترك للقارىء الكريم بعض الوقت ، كي ينعم نظره في هذه الأرقام ، انه إذا ما فعل ذلك ، انتهى ولا شك إلى إقرار الحقيقة التالية ـ وهي ان اليهود استولوا على أخصب الاراضي مـــن بقاع فلسطين ، وان العرب حشروا في الوعور والجبال والمناطق التي لا يرجى من ورائها خير كثير . وبعبارة أخرى ــ ان نكبة العرب في فلسطين كانت فادحة ، وان خسارتهم فيها تفوق كل وصف .

القدس في صمت رهيب

الناس يتساءلون ــ أين الزعماء ؟ أين الاحزاب ؟..

ما كاد شهر أيار ١٩٤٩ ينتصف حتى كانت القدس في حالة رهيبة . خيمت عليها وعلى سكانها العرب سحائب قاتمة من البؤس والفقر والشقاء واليأس . فما كنت ترى ، اينما حللت وحيثما سرت ، سوى علائم الحزن والكآبة مرتسمة على وجوه الأهــلين . انهم في الظاهر يروحون ويغدون . ولكن الحيرة لا تفارقهم . ذلك لأنهم لا يعلمون شيئاً عــن غدهم . يركضون وراء اللقمة يلتقطونها حيثما وجدوها . وقد لا يجدونها في كثير مـــن الاحايين . وجوه شاحبة ، وثياب رثة ، وأجسام تكاد تبليها حوادث الزمن . ولا حديث للناس إلا عن الجوع والمؤن ــ متى توزع هذه؟ ومتى يأكلون ؟ وأي عمل يعملون ليرتزقوا من ورائه؟ ولقد انتشرت الأمراض بينهم ، ولا سيما بين الطبقات الفقيرة فيهم ، بسبب سوء التغذية والاختلاط وشروط الحياة البائسة بما فيها من هم وغم وفقر وبسبب فقدان الوسائل الصحية وأسباب الوقاية وانشغال الفكر . انهم سكارى وما هم بسكارى . هـذا يبحث عن داره التي هدمت ، وذاك عن طفله المفقود . هذه تندب ولدها ، وتلك تبكي بعلها الذي قتل في ساحة الجهاد ، وهناك ثالثة تبحث عمن يأخذ بيدها ويد اطفالها الصغار ليدفع عنها وعنهم غائلة الجوع وغدر الزمان . هنا شاب قطع ساعده ، وهناك آخر بترت ساقه ... وهنـــاك

ثالث فقد بصره ... ورابع ... وخامس ... وسادس (١) والكل يتساءلون : اما لهذا الليل من فجر ؟ وهل تعود المياه إلى مجاريها ؟ فتنتظم الامور ويهدأ البال ، ويضم الشمل ، وتعود للأمة كرامتها ، فيعود الناس إلى منازلهم ، وينعمون بالعيش الرغد كما كانوا ينعمون به في الأمس القريب ؟ « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » (٢) .

النار تأتي على قبة القيامة من الخارج

في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الاربعاء الموافق ٢٣ تشرين الثاني ١٩٤٩ رأى الناس ألسنة النيران تندلع من الجانب الشرقي إلى الشمال من قبة (٣) كنيسة القيامة. ثم انتشرت وامتدت إلى الاقسام المجاورة . وظلت تشتعل إلى أن أتت على القشرة الخارجية من القبة وهي مصنوعة من الرصاص. كما أتت على قشرتين من تحتها وهما من اللباد المغمس بالقطران والخشب القديم . وهذا ما ساعد على انتشار اللهيب . ولم تجد مساعي رجال الاطفاء في وقفه نفعاً . واما الطبقة الداخلية للقبة ، وهي عبارة عن شبكة حديدية محشوة بالجبس، فانها لم تصب بأذى . كما لم تصب أيضاً القضبان الحديدية التي تربط بين الطبقتين الداخلية والخارجية ، والمسافة بينهما عبارة عن متر او اقل قليلا . فقد بقيت هذه سالمة من الاذى .

وظهر عند التحقيق ، ان الحريق بدا اثر تسرب شرارة من الاوكسجين عبر ثقب كان يسعى للحمه عمال (٤) من العرب استخدمتهم مصلحة الاشغال العامة ، لسد الثقوب التي احدثها اليهود في القبة ، عندما صوبوا إليها (٥) رصاص بنادقهم وقنابل المورتر من عيار

---

(١) تمكن بعض هؤلاء المناضلين المشوهين في مطلع عام ١٩٤٩ من تأسيس رابطة لهم اسموها «رابطة المناضل الجريح» وتمكنت الرابطة يومئذ من تسجيل اربعمئة وخمسة وسبعين مناضلا جريحا – واحد وسبعون بترت ارجلهم وسبعة وثلاثون بترت سواعدهم والبعض فقد نعمة النظر ، ثم ارتفع العدد فبلغ خمسمئة وستة وستين وتألفت بعدئذ مني ومن بعض الاخوان الذين يعطفون على هذه الفكرة مجلس اسميناه «المجلس الاستشاري لرابطة المناضل الجريح » ورحنا نعمل على تسهيل سبل العيش لهؤلاء المناضلين الذين اصبحوا عاطلين عن العمل بسبب العاهات المستديمة . فلبى الشعب نداءنا ، كما لبته مختلف الجمعيات الخيرية . وكان لهذه التلبية اثر يذكر .

(٢) سورة البقرة ١٥٥

(٣) صنعت هذه القبة سنة ١٨٦٩ بعد ان اتفق على صنعها كل من روسيا الأرثوذكسية وفرنسا اللاتينية وتركية المسلمة . وانفق عليها يومئذ اربعون الف نابليون (اي ليرة افرنسية من الذهب) وتولى تعميرها مهندسان : احدهما روسي والاخر افرنسي .

(٤) انتهى العمال من عملهم وغادروا المكان في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم . ومعنى ذلك ان الحريق بدأ ساعتئذ ، ولكنه لم يكتشف الا بعد اربع ساعات .

(٥) في ١٦ تموز سنة ١٩٤٨

ثلاث بوصات من مدافعهم التي نصبوها في ساحة المسكوبية ، وأبراج المستشفى الايطالي ، ومن برج الكنيسة المعروفة بالدوميثيون اي كنيسة نياحة العذراء في حي النبي داود ، ومن سطح عمارة النوتردام القريبة منها (٢) . وقد امر الملك عبد الله بن الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية ، ان تعمر على نفقته الخاصة .

وما كان الخبر ينتشر ، ويرى الناس اللاهب حتى هرعوا إلى المكان يريدون إطفــاءه . وراحت الاجراس تقرع قرعاً يدل على الخطر . وجاء عدد من رجال الاطفاء التابعين إلى بلدية القدس ، وآخرون من عمان للغاية نفسها . وفيما كان هؤلاء يعملون على اخماد النار كان رجال الكنيسة ينقلون التحف والصور والقطع الأثرية من الكنيسة إلى مكان امين .

وزار الكنيسة فور وقوع الحادث ، العاهل الاردني ، ووالي القدس ؛ وعدد من كبار رجال الدولة،ومراسلو الصحف العربية والاجنبية ، وطير قناصل الدول الاجنبيةووزراؤها المفوضون إلى حكوماتهم برقيات وصفوا فيها حقيقة الواقع .

ولم ينته الحريق إلا في الساعة العاشرة من مساء اليوم التالي (الخميس الموافق ٢٤ تشرين الثاني) بعد ان استرقت القشرات الخارجية الثلاث كما ذكرنا في الاسطر المتقدمة واماباقي اقسام الكنيسة فلم تصب بأذى .

واصدرت الحكومة على الأثر ، بلاغاً رسمياً جاء فيه ان الحريق وقع قضاء وقدراً. هذا مع العلم ان الحريق ما كان ليقع لولا ان الكنيسة كانتفي حاجة للتعمير وان الخراب ما كان ليصيبها لولا القنابل التي ألقاها عليها اليهود . ومع ذلك فلم يحرك العالم المسيحي ساكناً

وزراء خارجيه الدول الكبرى يصدرون بياناً

في ٢٥ ايار ١٩٥٠ انتهى المؤتمر الذي عقــده في لندن وزراء خارجية الدول العظمى الثلاثة : دين اتشيسون (الولايات الاميركية المتحدة) وبيفن (بريطانيا) وشومان (فرنسا) والذي استعرضوا فيه شؤون الشرقين الاوسط والادنى ،فانتهوا إلى ضرورة استتباب الامن والاستقرار في الدول العربية والمنطقة اليهودية . فقرروا ـ فيما قرروا ـ إلغاء الحظر الذي كان مفروضاً على تصدير الاسلحة للعرب واليهود . واصدروا البيان التالي :

أولا ـ تعترف الحكومات الثلاث بأن الدول العربية وسلطات اليهود ايضاً تحتاج إلى الاحتفاظ بمستوى معين من القوات المسلحة لتعزيز أمنها الداخلي وتأمين دفاعها الشرعي عن

---

(١) تبعد النوتردام عن كنيسة القيامة زهاء خمسمئة متر فقط ، وهي منها الى الشمال الغربي . ومن ورائها الى الغرب تقوم المسكوبية . ومنها الى الشمال يقوم المستشفى الايطالي . واما كنيسة نياحة العذراء فانها الى الغرب الجنوبي من كنيسة القيامة وعلى بعد كيلو متر واحد .

ذاتها وللسماح لها بأن تقوم بدورها في الدفاع عـن تلك المنطقة بأسرها ، وسوف ينظر في جميع طلبات توريد الاسلحة إلى هذه الدول جميعاً على ضوء هذه المبادىء والاعتبارات وبهذه المناسبة ترغب الحكومات الثلاث في ان تلفت النظر إلى ما أدلى به مندوبوها عـن بيانات في مجلس الامن يوم ٤ آب سنة ١٩٤٩ وتعيد توكيدها الآن وقد صرحت فيها عندئذ بمعارضتها في قيام سباق تسلح بين الدول العربية واليهود .

ثانياً - تعلن الحكومات الثلاث انها تلقت التوكيدات من جميع البلاد المعنية بهذا الامر والتي ستسمح بتزويدها بالاسلحة المرسلة منها بأن الدول المشترية لا تنوي القيام بأي عمل من اعمال العدوان ضد اي دولة اخرى . وستطلب مثل هذه التوكيدات من اية دولة اخرى في هذه المنطقة يسمح بتزويدها بالاسلحة في المستقبل .

ثالثاً - تنتهز الحكومات الثلاث هذه الفرصة لتعلن اهتمامها البالغ ورغبتها في قيام معارضة غير قابلة للتحويل او التبديل لفكرة الالتجاء الى القوة بين دول هذه المنطقة ، وتنمية هذه الفكرة والمحافظة عليها . فاذا رأت الحكومات الثلاث ان اي دولة من هذه الدول تستعد للاعتداء على الحدود او خطوط الهدنة اتخذت في الحـال التدابير اللازمة سواء داخل هيئة الامم او خارجها لمنع هذا العدوان وذلك تنفيذاً لالتزاماتها بوصفهـا اعضاء في هيئة الامم المتحدة .

فارتاح اليهود لهذا البيان ، واعتبروه نصراً ، ذلك لأنه يطمئنهم ويمنحهم الاستقرار ولو إلى حين ، ضمن الحدود الحاضرة ، وهي الحدود التي اعطتهم اكثر مما اعطوه في قرار التقسيم . وهم الآن في حاجة لمثل هذا الاستقرار . لا لأنهم بلغوا الغـاية القصوى التي يهدفون إليـها - ألا وهي الاستيلاء على فلسطين كلها - بل ، لأن لهم مـن مشاكلهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ما يجعلهم قانعين بمـا حصلوا عليه ولو الى حين . ريثما يعالجون تلك المشاكل ، ويعدون للغد عدته .

وتبلبلت آراء العرب في هذا البيان . ذلك لأن اليهود اقـدر على شراء السلاح منهم مجتمعين ، فكيف بهم وهم متفرقون . وراحوا يتساءلون : لماذا انفردت الدول الثلاث في هذا العمل ، ولم تشترك به هيئة الامم ، وهل تنوي العدول عن التقسيم الذي اقرته عـام ١٩٤٧ ، وما بال صديقتهم (؟) بريطانيا تبحث عن تسليح العرب واليهود معاً ، في وقت يربطها فيه مع العرب (مصر والعراق والاردن) معاهدات تقضي عليها بتسليحهم ؟ أهذه هي الصداقة التي يتغنى بها الانكليز في احاديثهم مع العرب ؟ وكان احسن ما قيل في هـذا

الصدد (١) « ان الدول الثلاث بتصريحها هذا إنما تقدم لحكومة إسرائيل عقد تأمين على الحياة بعد ان عاشت وما زالت تعيش بقلب صناعي من الدولارات الأميركية » ومهما اختلفت الآراء في تفسير الأسباب التي حدت بالدول إلى إصدار هذا البيان ، فان أحداً من العرب لم يشك في أنه أقرب إلى صالح اليهود مـن العرب . وانه جاء في وقت اخفق فيه اليهود، وحلفاؤهم في إقناع العرب كي يدخلوا معهم في مفاوضات للصلح ، ولهذا اعتبر البيان خطوة جديدة إلى الأمام في سبيل تحقيق الأماني اليهودية . هذا من جهة . ومن الجهة الأخرى فانه (أي البيان) يهدف إلى إيجاد كتلة معادية لروسيا السوفياتية في هذا الجزء من الشرق .

ولكن الريح سارت في اتجاه معاكس لما انتوته الدول الثلاث الكبرى . إذ ما كاد البيان يذاع وغايته تفهم حتى راح العرب ، في معظم أقطارهم ونواديهم ، يتنادون للتفـاهم مع الروس ، من الناحية السياسية ، وليس من الناحية العقائدية ، وتجنب الاصطدام معهم .

وفي الإجتماع الذي عقده مجلس الجامعة العربية في الاسكندرية في ١٢ حزيران ١٩٥٠ بحث المجلس هذا البيان ووضع الرد المشترك التالي الذي سلمت نسخه بتاريخ ٢١ حزيران إلى وزراء الدول الثلاث في العواصم العربية ، قالوا :

« عنيت الحكومات العربية منفردة ومجتمعة، بدراسة البيان الثلاثي الذي أصدرته بريطانيا وفرنسا وأميركا في الخامس والعشرين من شهر أيار عام ١٩٥٠ . وقد كان تبادل الرأي في البيان الثلاثي من أهم الأسباب التي رأت الدول العربية من أجلها التعجيل في اجتماع مجلس الجامعة العربية في الثاني عشر من شهر حزيران الحالي ، ومن أهم الموضوعات التي اشتمل عليها برنامج العمل في الاجتماع المذكور .

وقد اتفقت الدول العربية على إصدار البيان التالي :

١ ــ ليس احرص من الدول العربية على استتباب السلام والاستقرار في الشرق الأوسط فهي بطبيعتها في طليعة الدول المحبة للسلام . وقد أثبتت الحوادث المتوالية مبلغ احترامهـا لميثاق هيئة الأمم المتحدة

٢ ــ إذا كانت الدول العربية قد اهتمت ، وتهتم دائماً ، باستكمال تسليحها فانما يرجع الى شعورها العميق بمسؤولية حفظ الأمن الداخلي ، والدفاع الشرعي عن حياضها ، والقيـام بواجب حفظ الأمن الدولي في هذه المنطقة ، الذي يقع أولا عليها بالذات وعلى الجامعة العربية باعتبارها منظمة إقليمية ينطبق عليها حكم المادة ٥٢ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة .

٣ ــ سبق ان كررت الحكومات العربية مـن بادىء أمرها وقبل تفكير الدول الغربية

---

(١) هذا القول هو لوزير مصر المفوض في عمان ، عثمان بك عبيد ، قاله لي

الثلاث في تصريحها المشترك ، الاعراب عن نياتها السلمية وتكذيب الشائعات التي تبثهـا سلطات تل أبيب من ان الدول العربية تطلب ابتياع الاسلحة لأغراض عدوانية ، والدول العربية لا ترى بأساً في الاعراب من جديد عن نياتها السلمية وان السلاح الذي تطلبه انما هو للأغراض الدفاعية .

٤ـ من البديهي ان مستوى القوات المسلحة التي تحتفظ بها كل دولة من الدول العربية لأغراض الدفاع والقيـام بقسطها في حفظ الأمن الدولي هو أمر يرجع تقديره إلى الدولة نفسها ، ويخضع لعوامل كثيرة أهمها عدد السكان ومساحة البلاد وترامي حدودها ونوعها.

٥ـ يهم الدول العربية ان تسجل التأكيدات التي تلقتها بأن الدول الغربية الثـلاث لم تقصد من تصريحها محابـاة سلطات تل أبيب أو الضغط على الدول العربية لكي تدخل في مفاوضات مع السلطات اليهودية أو المساس بالتسوية النهائية لقضية فيسطين أو المحافـظة على الوضع الراهن بل قصدت إظهار معارضتها الالتجاء إلى القوة والاعتداء على خطوط الهدنة .

٦ـ تعلن الدول العربية ان افضل الطرق واضمنها لصيانة الاستقرار في الشرق الاوسط حل قضاياها على اساس الحق والعدل واعادة التجانس السائد فيه والمبادرة إلى تنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة بعودة اللاجئين العرب إلى ديارهم وتعويضهم عن خسائرهم .

٧ـ كذلك يهم الدول العربيةان تسجل التأكيدات التي تلقتها بأن تصريح الدول الغربية الثلاث وطريقة تقديمه وما نص عليه بشأن تقديم التعهدات من الدولة التي تود شراءالاسلحة منها لا يعني تقسيم الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ او الاعتداء بأية صورة على سيادةالدول العربية واستقلالها .

٨ـ من الواضح ان الشكوك التي اريد تبديدها بالتأكيدات المشار إليها في البند السابق قد اعان على اثارتها نص البند الثالث من البيان الثلاثي . وهو ان الدول الغربية الثلاث إذا علمت ان أياً من دول منطقة الشرق الأوسط تستعد لادخال تغيير على الحدود أو خطوط الهدنة فستبادر إلى منعها سواء اكان ذلك في نطاق الأمم المتحدة أم خارجه . وما من شك في أن العمل وحده هو الكفيل بتبديد الشكوك إذا أثبتت الدول الغربية الثلاث انها تقصد مـن ذلك إيجـاد الاستقرار دون تحيز أو ميل واحترامها للدول العربية ، لا بسط السيطرة عليها .

٩ـ لا يسع الدول العربية إلا أن تؤكد مرة أخرى انها مع بالغ حفظها للسلام ، لايمكن أن تقر أي عمل يكون ماساً بسيادتهاواستقلالها . »

قبية

في الساعة السابعة والنصف من مساء الاربعاء المرافق ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٣ شن اليهود هجوماً قوياً على قرية (قبية) (١) العربية القريبة من خط الهدنــة داخل الحدود الاردنية . فنسفوا ستة وخمسين منزلا من منازلها ، وقتلوا سبعة وستين عربياً مــن ابنائها . بعضهم رجال ، والبعض الآخر نساء وأطفال . بعضهم قتل برصاص اليهود الغــادرين ، والبعض الآخر قضى نحبه تحت الردم . وبين المباني التي تهدمت مسجد القريـــة ومدرستها وخزان الماء . وأحرقت سيارة كبيرة للركاب ، وأخرى صغيرة وعسكرية . وذبحوا اثنين وعشرين رأساً من الماشية . وأما الجرحى فكثيرون .

وثبت بعد التحقيق ، ان الذين قاموا بهذا الهجوم كانوا جنوداً نظاميين وعددهم يربو على الستمئة . وكانوا مجهزين بأحدث الاسلحة . وقد مهدوا لهجومهم هذا بسيل من قذائف المورتر وقنابل الهاون من عيار ثلاث بوصات (٢). ولئلا يركض ابناء القرى المجاورة لنجدة اخوانهم راحت فئات يهودية أخرى تشاغل سكان تلك القرى ومنها شقبا وبدرس ونعلين، وبدت كأنها تريد ان تهاجمها . وقد ثبتت الالغــام في الطرق التي تربط تلك القرى بقبية . وكان نصيب قرية بدرس من قنابل المورتر اليهودية خمساً وأربعين ، كلها مــن عيار ٣ بوصات .

وقاومهم سكان القرى ورجال الحرس الوطني . وظلوا يقاتلونهم إلى أن نفد عتادهم ، فانسحبوا . وبعبارة أخرى انسحب منهم من استطاع الانسحاب، ووقع في الفخ من وقع وظل اليهود سادرين في أعمالهم البربرية حتى الساعة الرابعة من صباح اليوم التــالي ثم انسحبوا .

ورغم ان اشارات الاستنجاد أرسلت باللاسلكي من مركز الشرطة في بدرس ومن القرى المجاورة عند بدء الهجوم ، إلا أن الجيش العربي لم يتقدم للنجدة الا متأخراً (٣) ، وان قال قائل ان تسعة من رجال هذا الجيش كانوا ساعة الهجوم في قرية بدرس حاولوا القيام بهجوم معاكس ، الا أنهم لم يفلحوا لتفوق المهاجمين عليهم عدداً وعدة .

---

(١) قرية من اعمال الرملة سابقاً « ورام الله حالياً » كان فيها في أواخر عهد الانتداب « ١٩٤٥ » ١٢٥٠ نسمة من السكان . وازداد هؤلاء مع الايام فأضحوا الفين . كلهم عرب مسلمون . كانت لهم أراض واسعة « ١٦٥٠٤ دونما» ولم يبق لهم الان سوى القليل . تبعـــد القرية عـــن رام الله ٤٤ كيلو متراً . وهي من القرى الامامية القريبة من خط الهدنة . لا تبعد عنه اكثر من كيلو مترين .

(٢) عد احد ابناء القرية القنابل التي قذفها اليهود في تلك الليلة ، فقال انها بلغت ١٠٤ قنابل .

(٣) كان هذا التأخر مدار جدل بين الناس ، الامر الذى حدا بالحكومة لاجراء التحقيق . وسنذكر نتيجة التحقيق في اخر هذا الفصل .

قال اليهود في تبرير عملهم الوحشي هذا انهم انما أرادوا الانتقام لطفلين يهوديين قتلا وامرأة يهودية جرحت في حادث جرى قبل يومين (١٢ تشرين الاول) عندما تسلل جماعة من العرب عبر الحدود ، وهاجموا مستعمرة (طيرة يهودا) (١) وزعم اليهود ان الذين قاموا بعملية الانتقام هذه هم سكان تلك المستعمرة ، ولم يكن للجيش دخل فيما جرى .

وسألت في اليوم التالي ، من كتبت له النجاة من سكان قبية ، فذكروا لي الأسماء التالية من بين الشهداء : مصطفى محمد حسان . عبد المنعم قادوس وأفراد أسرته البالغ عددهم أحد عشر نفراً . موسى أبو زيد وأربعة من أفراد أسرته . زوجة محمود ابراهيم وأطفالها الثلاثة . أربعة من أولاد محمد المسلول. زوجة شحادة سندس . بنت حسين شحادة سندس. زوجة أحمد عبد المجيد وابنها . شقيقة زوجة حسن ابراهيم ووالدتها . بنت احمد محمد حماد . ابن حسين قاسم .عبد الكريم محمود حسن وزوجته . بنت موسى قاسم . زوجة سعود العبد . ابراهيم البيك . أبو السعود العبد وبنته . زوجة حسين صالح ووالده . ابن محمد صالح . زوجة مراد عبد الفتاح وبنتها . بنت أحمد الجندود . محمود البريش ...

وما كادت هذه الانباء تنتشر بين الناس حتى ثارت براكين غضبهم . فراحوا يتنادون للأخذ بالثأر . وقامت مظاهرات في القدس ، ونابلس ، وعمان ، وفي كل مكان . واعلن الاضراب في معظم الجهات . وأرسلت إلى المقامات العليا برقيات الاحتجاج والاستنكار وانصبت آيات الغضب على الاستعمار والمستعمرين (وفي الطليعة الأمريكان والانكليز) اكثر من اليهود المجرمين . ولا سيما على كلوب باشا الانكليزي لأنه لم يعمل عملا جديداً لتقوية الحرس الوطني ، ولأن الجيش العربي الذي يأتمر بأوامره لم يلب نداءات الاستغاثة التي وجهت اليه ، ولم يركض لنجدة السكان . وراح الناس يطالبون باقالته من رئاسة أركان الجيش ، وتسليم قيادة الجيش الفعلية لأيد عربية . وتنادى نواب الضفة الغربية للعمل . فعقدوا اجتماعاً برام الله يوم السبت الموافق ١٧ تشرين الاول . وأصدروا بياناً قالوا فيه « ان الاجراءات التي اتخذتها السلطات المسؤولة حتى الآن لوقف الاعتداءات اليهودية المتكررة غير كافية وغير مرضية . وهذا هو الذي شجع اليهود على اجرامهم » ومما ذكره النواب ان الحرس الوطني لم يكن مسلحاً تسليحا كافيا ، وان النجدات من قبل القوات النظامية لم ترسل بسرعة . وطلب النواب إلى رئيس المجلس النيابي دعوة المجلس وتكوين لجنة برلمانية للتحقيق في الحادث وفي الظروف التي احاطت به . وأصروا على الحكومة كي تعمل على تنفيذ ميثاق الضمان الجماعي ، وتحصين القرى ، وتسليح الحرس الوطني .

---

(١) قرية «العباسية» ـ ابقا

وعقد مجلس الوزراء في اليوم نفسه ، جلسة طارئة دعا إليها الفريق كلوب باشا وطلب منه إيضاحا لما جرى . ثم قرر ما يلي : ـ

١ــ إسعاف القرية بالمواد الغذائية والصحية وبالكساء والمأوى

٢ ـ إعادة بناء البيوت المتهدمة

٣ــ إعادة بناء المدرسة

٤ــ إنفاق عشرة آلاف دينار كدفعة أولى لاغاثة المحتاجين .

وقرر مجلس الوزراء أيضا انتداب ثلاثة من الوزراء للتحقيق وتحديد المسؤولية في موضوع (عدم ارسال النجدة من الجيش في حينها) . كما قرر تحصين الحدود ، وأوعز إلى وزارة الدفاع كي تحكم وسائل الدفاع على الحدود . فحشدت هذة جانبا من قواتها في المنطقة التي وقع فيها العدوان .

وكان أهم قرار اتخذه مجلس الوزراء يومئذ دعوة اللاجنة السياسية لجامعة الدول العربية إلى عمان لبحث مسألة التعديات اليهودية وحالة الحدود . وطلب إلى دول التصريح الثلاثي (بريطانيا وأميركا وفرنسا) أن تعمل على تنفيذ ما تعهدت به في بيانها .

فطلبت تلك الدول ، في مساء اليوم نفسه (١٧/١٠/١٩٥٣) ، من مجلس الامن الدولي عقد جلسة طارئة لبحث حالة الحدود بين الاردن واسرائيل . تلك الحالة التي وصلت إلى درجة تهدد أمن الشرق الأوسط . وتقـــدم الأردن أيضا بالشكوى إلى مجلس الأمن طالبا بحث التعدي اليهودي على قبية . واجتمع مجلس الأمن في ١٩/١٠/٥٣ فقرر دعوة الجنرال فان بينيكه كبير المراقبين الدوليين لاستماع آرائه في هذا الصدد .

وفيما كان مجلس الامن يبحث حوادث الحدود بين الاردن واسرائيل ، كان اعضاء اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية يتوافدون الى عمان تلبية للدعوة التي وجهها اليهم رئيس الوزراء الدكتور فوزي الملقي ، وقد عقدوا أول اجتماع لهم في يوم الاربعاء الموافق ٢١ تشرين الاول ١٩٥٣ (١) وزاروا في اليوم التالي (٢٢/١٠/٥٣) قرية قبية ، وعدداً مـــن القرى الامامية الاخرى ولفرط تأثرهم بما شاهدوا ؛ أقسموا الا أن يعملوا على الاخذ بالثأر ، وتمنى القوم أن يصدق رجالات العرب ، المرة هذه على الاقل في وعودهم ، وبات الناس معتقدين أن (حادث قبية) سيكون نقطة التحول في مأساة فلسطين . فتذكرنا القول القـــائل : عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم .

ومن القرارات التي اتخذتها اللجنة ــ بالاضافة الى تقوية الحرس الوطني وانعاش القرى الامامية ــ اشتراك الدول العربية كلها في اعـــادة بناء قرية قبية لكي تكون رمزاً لتصميم

( ) اقرأ ما كتبناه عن اجتماعات اللجنة السياسية في الفصل الذي خصصناه للجامعة العربية ، والاساليب التي اتبعتها في معالجة المشكلة الفلسطينية .

العرب تصميما اجتماعيا على صد كل عدوان يهودي . فراحت المساعدات المالية تنهال على من تبقى على قيد الحياة من سكان القرية . منها عشرون الف دينار ببرعت بهـا حكومة المملكة العربية السعودية . وجمعت بلدية القدس من سكان القدس الف دينار لبناء مدرسة القرية . وراحت الحكومة الاردنية تبني ما تهدم من بنيانها . وقدمت الحكومة المصريـة نصف مليون جنيه للحرس الوطني، والحكومة العراقية ١٥٠،٠٠٠ دينار عراقي؛ والحكومة السعودية ٨٥،٠٠٠ دينار سعودي .

واستمع مجلس الامن ، في الاجتماع الذي عقده يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/١٠/١٩٥٣ ، إلى تقرير الجنرال بينيكه عن حالة التوتر على الحدود وحادث قبية ؛ فأكد الجنرال للمجلس أن القوات النظامية هي التي اغارت على قبية، وكانت هذه ترتدي الملابس العسكرية الرسمية وان هذه القوات استخدمت مدافع من طراز هاون وهي من معدات الجيش الاسرائيلي ، كما انها استخدمت مدافع قوسية (مورتر) من عيار ٨١ مليمتراً ، وقنابل محرقة. وأضاف الى ذلك قوله ان الهجوم كان مبيتا ، وانه لا صحة لما قيل من ان حراس المستعمرات القائمـة على الحدود هم الذين قاموا بذلك الهجوم ، لأن الطريق التي تربط هذه المستعمرات بقبية ترابط فيها قوات يهودية نظامية. ومما قاله : ان حالة التوتر على الحدود بين العرب واليهود باتت تهدد الأمن في الشرق الاوسط وان الهجوم على قبية ليس الا حلقة من سلسلة مـن الهجات اليهودية المتكررة على الحدود (١) وان (القدس) تشبه برميلا خطراً مليئا بالبارود اذا انفجر طغى على البلاد كلها ... واجاب الجنرال على الاسئلة العديدة التي طرحها عليه أعضاء مجلس الامن ، وقد نافت على الستين ، فقال (ما ملخصه) : — ان اليهود كثيراً ما أقاموا العراقيل في طريقه وطريق معاونيه ... وان لجنة الهدنة المشتركة أدانت اليهود في ١٦ حادثا من مجموع ٢١ حادثاً ، وأمـا الاردن فقد أدينت في ثلاث فقط ... وان حوادث خرق الهدنة لم تنقطع منذ أمضيت اتفاقيات الهدنة . وان اسرائيل قدمت خلال تلك المدة ٨١٦ شكوى ضد الاردن، وقدمت الاردن ٥٤٢ شكوى ضد اسرائيل.. وقالت اسرائيل ان ٨٩ يهوديا قتلوا و١٠١ جرحوا خلال تلك المدة ، وقالت الاردن ان عدد القتلى الاردنيين ١٧٥ والجرحى ١٢٩

وفي يوم الاربعاء الموافق ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٣ أصدر مجلس الامن قراره بتوبيخ اسرائيل وتوجيه اللوم اليها للعمل الفظيع الذي اقترفته قواتها النظامية في قرية قبية .

ان موقف غلوب هذا من حادث قبية ومواقفه المخزية التي ذكرناها في مواضع أخرى ، هي التي جعلت الملك حسين بن طلال .. ذلك الملك الشاب الجريء .. يقيله من منصبه . فغادر البلاد غير مأسوف عليه .. وسنذكر ما جرى بالتفصيل في الاجزاء القادمة ان شاء الله

---

(١) هنا اشار الجنرال بنيكيه الى حوادث الحدود ، ولا سيا الغارة التي شنها اليهود على معسكر البريج في غزة بتاريخ ٢٨/٨/٦٣ يوم قتلوا ٢٠ عربياً وجرحوا ٥٢ .وذكر أيضاً عوجا-الحفير على الحدود المصرية

فهرس الاعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ﻫ)

(و)

(ي)

فهرس الاماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

تصويب الاخطاء المطبعية

خطأ	صواب	صفحة	سطر
كانفهام	كاننفهام	٧٧٤	٢
الجليل	الخليل	—	٥
النبي داود	النبي يعقوب	٧٧٩	٢١
عوجا ـ الخضير	عوجـا ـ الحفير	٧٨٠	٢٩
قضاياها	قضياها	٧٨٥	١١
Harcus	Marrus	—	٢٣
١٩٤٧	١٩٤٨	٧٨٧	١
Brittain	Britain	٧٨٨	٢٦
صربا	صوبا	٧٩٠	١٦
تبير	بتير	٧٩٢	١٩، ٢١
اجدى	اجدى	٧٩٩	٤
سويدان	عراق سويدان	٨١٨	٢٦
بربر	بربره	—	—
كلمافيا	كلمانيا	٨٢٥	١٩
حجزو	جمزو	٨٤١	٩
١٩٤٦	١٩٥٦	٨٤٣	١٩
ابو هدن	ابو مدين	٨٤٦	٢٥
بقية عسكرية	بعثة عسكرية	٨٤٨	٢٧
فراينورغ	فرايبورغ	٨٥٤	٢٤
هرقليا	هرتسليا	٨٥٥	٢٧
داخار	دافار	—	٣١
يوعلى تسيونن	يوعلى تسيون	٨٦٦	١٩
إهمالهم	أعمالهم	٨٧٠	١٨
حى الشورى	حي الثورى	٨٨٣	٩، ١٣

خطأ	صواب	صفحة	سطر
قصر المعلى	قصر المصلى	٨٨٨	٢٠
العيوش	العبوشي	—	٢٥
١٠٥٣	١٩٥٣	٨٨٩	١٩
خريثة	خربتا	٨٩٠	٢١
الاورضه لى	الاورفه لى	٨٩٦	١٤
غابة العبابثة	غابة العبابشة	٩٠٠	٢٥
النزلقان	النزلتان	—	٢٨
الشيخ يونس	الشيخ مونس	٩٠٥	٧
شعبان	شعنان	٩١٨	١٢
حى الشورى	حي الثورى	٩٢٠	١٥
غريرغورى	غريغورى	٩٢٤	٢٨
الدوميثيون	الدورميثيون	٩٣١	٢

وهناك اخطاء مطبعية اخرى ، لم يكن في الامكان تجنبها ، ولن يصعب على القارىء أن يدركها من تلقاء نفسه . ولهذا لم نر لزوماً لذكرها هنا مثل : كلمة (حنود) بدلا من (جنود) . . وكلمة (حعل) بدلا من (جعل) . . و (كيبو متراً) بدلا من (كيلو متراً) . . وما الى ذلك من اخطاء طفيفة ، لابد ان يفطن اليها القارىء اللبيب .